كتاب

الخواطر الحسان

في

المعاني والبيان

تاليف

جبر ضومط م.ع

استاذ اللغة العربية سابقاً في جامعة بيروت الاميركية

مطبعة الوفاء : بيروت سنة ١٩٣٠

الطبعة الاولى بمصر سنة ١٨٩٦

الطبعة الثانية في بيروت سنة ١٩٣٠

اهداء الكتاب

الى الطيب الذكر الخالد الاثر المرحوم

نعمه شديد يافث

اعترافا بفضله

مقدمة الطبعة الثانية

جاء الى لبنان سنة ١٩٢٠ المرحوم نعمه شديد يافث ، صديق المؤلف ورفيقه في طلب العلم ، ولأنه كان قد سبق له قبل ان نزح الى البرازيل أن اعطى تلاميذه في مدرسة الثلاثة الاقمار الارثوذكسية في بيروت دروس المعاني والبيان بكتاب الخواطر الحسان وكان قد اعجب به ، رغب الى صاحب الكتاب ان يعيد طبعه وتبرع بنفقة الطبع . لكن قبل ان تمس الحاجة الى اعادة الطبع توفي هذا المثري الكبير والمحسن الذي كان اذا احسن فبحكمة الكتاب المقدس القائل : واما انت فاذا صنعت صدقة فلا تعرّف شمالك ما تفعله يمينك

درت السيدة الفاضلة عفيفه ناصيف يافث بالرغبة التي كانت في صدر المرحوم قرينها العزيز فكان اتمامها واجباً مقدساً عندها وكتبت الى المؤلف رسالة ملؤها الشعور الكريم والغيرة على ابراز هذا الكتاب الى حيز النشر وصحبت الرسالة بحوالة مالية لتأدية نفقة الطبع

في اواخر العام الماضي كان والدي يعيد النظر في هذا الكتاب ، اول كتبه المدرسية ، لتأتي طبعته الثانية محتوية على آخر ما وصل اليه من العلم والاستنتاج في هذا الموضوع الواسع . لكن توفاه الله قبل ان ينجز عمله كما أحب ، فوقع عبء العمل على منكبي لغياب شقيقي في الولايات المتحدة .

فبذلت جهدي للقيام به اتماماً لرغبة رجلين كانا من رجال الوطن المعدودين رحلا الى عالم البقاء مخلفًا اثاراً خالدة وفراغًا لا يسدّ

ليس من شأني ان اتصدى لعبارة الكتاب او لاحكامه فاني مقرٌّ بعجزي عن شيء من ذلك . لكنَّ والدي كان قد نقح بعض صفحاته فاثبتها كما جاءت بخط يده . سوى اني قد غيرت في تنسيق ابوابه وترتيب فصوله : واخترت للفصول عنوانات تتناسب حروفها مع مباحثها ليسهل على التلميذ والمطالع رد كل قطعةٍ من قطعهِ الى البحث الذي تعود اليه ، وعنيت بضبط رواية الابيات المستشهد بها وجلائها بالشكل اللازم

وفي الختام انوّه بفضل الذين اعانوني على اتمام هذا العمل وهم الشيخ امين ظاهر خيرالله الذي قام بضبط الابيات روايةً وتشكيلاً ، والاستاذ داود قربان والاستاذ نجيب نصار اللذان راجعا معي المسودات

ارجو ان تكون فائدة طلاب العلم من هذه الطبعة على وفق ما كان يرومه المرحومان المؤلف والمحسن الكبير نعمه يافث

بيروت في ٢١ حزيران سنة ١٩٣٠ نجيب جبر ضومط

مقدمة

في بيان الغرض الداعي الى تأليف هذا الكتاب

الحمد لله الذي الهمنا البيان وارشد بلطفه الى وضع علمي المعاني والبيان

اما بعد فاني اقدمت على هذا التأليف بعد مزاولة تعليم هذين الفنين نحواً من ست سنوات في المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت رأيت في خلالها الحاجة الماسة الى تأليف يناسب حال الزمان الذي نحن فيه · فان الكتب الموضوعة قديماً في هذين الفنّين ولا سيما المعاني على جلالة قدرها ونفاسة ما حوته انما وضعها اولئك الفضلاء ليستعين بها غيرهم من العلماء على فهم ما في القرآن من مواقع الفصاحة والبلاغة التي بلغت حدّ الاعجاز فكانت من ثم مؤلفاتهم خاصة موضوعة للخواصّ · وما كان كذلك من المؤلفات فلا يبعد ان تكون مراميه بعيدة عن افهام اكثر التلامذة ولا سيما تلامذة عصرنا الحاضر الذين شغلهم درس اللغات الاجنبية عن ان يوفوا لغتهم حقها من الدرس الواجب والتوسع في مطالعة القرآن وغيره من الكتب التي لا بد من مطالعتها واطالة التروّي فيها قبل فهم ما اودعهُ ايمة البيان في مصنفاتهم من الاشارات الى ما في تلك الكتب «واخصها القرآن» من الشواهد والآيات المبنيّ عليها ما اصّلوه من قواعد هذا الفن وهنالك امرٌ آخر لا بد من اعتباره وهو ان تلك المؤلفات الجليلة انما كان يدرّسها اهلها او من اخذها عنهم حتى

برع غاية البراعة فيها واعطي منهم اجازة باهليته لتدريسها فكان من ثم مدرّس هذا الفن يشرح لتلامذته الدقائق التي ارادها المؤلف في كل جملة فجملة وكلمة فكلمة بل كان يشرح لهم لايّ دقيقة عدل المؤلف عن لفظٍ الى ما يرادفه في تأليفه مع ما كان عليه الطلبة من الاستعداد والاقبال على هذا العلم

فاذا تأملت ما ذكرناه من حال الاساتذة قديماً وحال الطلبة واستعدادهم وغايتهم من درس المعاني والبيان لذلك العهد وقابلت كل ذلك بحال الطلبة لعصرنا الحالي واستعدادهم وغايتهم ثم ما كان من تعدُّد دروسهم وانقلاب نسق تدريسهم من مجرَّد سماع شرح الاستاذ الى امثولة معينة في كل يوم او في كل يوم بعد آخر يكلَّفون بدرسها لانفسهم واستخراج ما فيها من المعاني بدون كبير اعتمادٍ على مساعدة مدرسيهم ثم يستجوبون عن تلك الامثولة في ساعة معينة لا تسمح لهم بقية دروسهم المختلفة ان يتجاوزوها الى دقيقة مما بعدها تبين لك جلياً ان تلك الكتب الجليلة المؤلفة لاولئك اصبحت لا تناسب حال هؤلاء وهي في كثير من المواضع غامضة عن افهامهم تدقُّ اشاراتها عن مقدار استعدادهم وبالتالي عن مدار كهم فصارت الحاجة اذن ماسة الى كتاب يناسب حالهم الحاضرة ومقدار استعدادهم في معرفة اللغة مع مراعاة سنهم واساليب دروسهم الاخرى التي يتلقونها مع هذا العلم فانه اذا كانت اساليب بقية الدروس سهلة الفهم على مدار كهم قريبة المنال على تحصيلهم وكان اسلوب علم البيان على غير هذه الصورة فلا جرم اذا استوعروا طريقه وتولد في قلوبهم النفرة عنه فمالوا الى غيره من بقية الدروس الاخرى ولم يكن حظهم من هذا العلم الجليل الا

التشكي منه وزعمهم عدم الحاجة اليه فتفوتهم من فوائده الجليلة ما لا يعلم قيمتها الاَّ العارف بها

هذا ما حملني على تأليف هذا الكتاب اقرّب فيه على التلامذة ما كان بعيد المنال عليهم ولذلك اخترت ان يكون اسلوبه تعليمياً واكثرت فيه من الامثلة والايضاحات والادادات ومهدت فيه لكل باب فذكرت قبله ما يحتاج فيه الى فهمه وجعلت الابواب آخذةً بعضها باعناق بعض ومدارها جميعها على الجملة كما سترى ولم اغفل عن ان اودع في تلك الابواب جميع ما اودعه اهل هذا الفن في مطولاتهم مع زيادات لم يذكروها في كتبهم مع انها من القضايا الهامة في علم المعاني على ما سترى ان شاء الله

خطة الكتاب

ولتأنيس المطالع وتهيئة ذهنه الى ما في هذا الكتاب ارى ان اذكر له الصورة التي جريت عليها في وضعه فاقول

اني بعد ان مهدت في علاقة العلوم الثلاثة النحو والبيان والمنطق بعضها ببعض وانفراد كل منها بفسحة من البحث خاصة به وبعد ان اشبعت الكلام في الفصاحة والبلاغة لانهما غاية لعلم البيان وذكرت هنالك من الملاحظات ما تعظم فائدته علماً وعملاً ، واكثرها مما وجدته في مواضع متفرقة من كتب ايمة هذا الفن وفلاسفته ، عمدت الى فصل في التصورات والافكار توصلت فيه الى الجملة ما هي . ولما كانت الجملة هي العمدة في هذا العلم جعلت الكلام دائراً فيها وقسمت الكتاب بحسب ذلك الى ثلاثة اقسام :

الاول · في تقسيم الجملة ، وقد قسمتها الى ثلاثة اقسام وميزت كل قسم عن الآخر وكل ذلك على اسلوب يناسب اساليب بقية العلوم على ما وضعها علماء الجيل الحاضر واقل ما في هذا التقسيم من الفائدة ترويض عقل التلميذ وحمله على الفكر واعمال النظر بما يقوي من قواه العاقلة وينبه خاطره الى ما بين الجمل من التشابه والتخالف والى امكان انها قد تختلف صورة وتتفق معنىً

الثاني · في ذكر عوارض تعرض للجملة ، من ذكر وحذف وتقديم وتأخير الخ وهنا تسهيلاً للبحث فرّقت ما بين جملة فعلية واسمية وبعد ان فرغت مما يعرض للجملة الفعلية اخذت في الكلام عن الجملة الشرطية لانها من قبيل الفعلية واشبعت الكلام فيها ووفّقت في جميع ما ذكرته عنها بين احكام العقل ومنقولات اللغة ثم انتقلت الى الجملة الاسمية وذكرت ما يعرض لهذه ايضاً

وقد اودعت في هذه المباحث جميع ما ذكره البيانيون من تقديم وتأخير وذكر وحذف وتعريف وتنكير واتباع وفصل وقصر وانواع قصر مع ذكر فوائد شتى وبيان اسباب وعلل وكل ذلك على اسلوب سهل يقرب فهمه على المطالع ولا يملُّ منه وعزّزت ذلك بشواهد وامثال رأيت الحاجة ماسّة اليها

الثالث · في اوصاف تتصف بها الجملة ، من خبرية وانشائية وايجاز واطناب وقد اودعت في هذه المباحث كل ما ذكره القوم مما يتعلق بالخبر والانشاء وانواع الانشاء وانواع الايجاز والاطناب مع ملاحظات ستمرُّ ان شاء الله بها ولا تنكر فائدتها · وختمت بهذا القسم مباحث المعاني وجعلته كتاباً على حدة · وفي النية ان اتبعه بكتابين اخرين احدهما في البيان والبديع والآخر في اساليب الانشاء

واني اسأل جميع الافاضل الكرام من المشتغلين بهذا الفن ان ينتقدوا عليَّ ما كتبته ويبينوا ما تعم به الفائدة فاني اسرع من خواطرهم الوقادة في اصلاح ما تبينه انتقاداتهم من مواقع الخطإ مع المنة لهم والاعتراف بفضلهم والله المسؤول ان يجازينا على اتعابنا في تأليفنا هذا بان يقع موقع القبول عند اهل الفضل ويعمَّ نفعه كثيراً من التلامذة والمطالعين انه السميع المجيب

تمهيد

موضوع المعاني والبيان

غاية اللغة التفاهم فنتكلم او نكتب لبيان افكارنا وايصالها الى فهم السامع او القاري ولا بدَّ لنا في هذا من استعمال الجمل فانها صور للفكر خطاباً وكتابة ذلك لان الجملة تحتوي على شيئين الفاظ منسوقة على ترتيب مخصوص ومعانٍ تقابل تلك الالفاظ يدلُّ عليها بها . الاَّ أنَّ المعاني المدلول عليها لا تكون محسوساً بها عند المخاطب شفاهاً او كتابة لا بالحواس الظاهرة ولا بالحواس الباطنة انما يتنبَّهُ الذهن لها بواسطة الالفاظ سماعاً في الخطاب وعياناً في القراءة . وهذا المتنبهُ له والمقصود نقلهُ الى ذهن السامع او القاري انما هو الفكر وعليهِ فالجملة « صورة الفكر اللفظية » او « علامةٌ تدلُّ عليهِ »

ثم لما كان البيان ينظر في الفكر المدلول عليهِ بالجملة من جهة وفي الالفاظ الدالة من جهةٍ اخرى كانت وظيفتهُ مزدوجةً وابحاثهُ من جهة اللفظ تماسُّ أبحاث النحو وتتصل بها ، ومن جهة المعنى تماسُّ ابحاث المنطق وتتصل بها مع استقلال فسحة ابحاث كلٍّ من هذه العلوم الثلاثة على حدتها

ولبيان كل ذلك من غير تعرُّضٍ للتحديدات الاصطلاحية نقول ان النحو يبحث عن وظيفة الالفاظ كلّ لفظةٍ لوحدها في الجملة وما يلحقها من

العلامات الدالة على تعلقها بغيرها في تلك الجملة ويبحث في تراكيب الجمل من جهة صحتها وفسادها وشيوعها وندورها وموافقتها للمتعارف او خروجها عنهُ . واما المنطق فبحثهُ مقصور على المعاني او الافكار في الجملة لكن لا من حيث استقلال كلّ فكرٍ بجملته على حدتها فليس من وظيفتهِ ان يبحث عن صحة الفكر المودَع في الجملة انما وظيفتهُ ان يبحث عن صحة النتيجة او فسادها فيما اذا كانت القضايا صحيحة او مسلم بصحتها وعن ضروب القياس المنتجة والعقيمة وفيما اذا كانت النتائج ضرورية او غير ضرورية الى غير ذلك مما يعلمهُ اهل المنطق

واما البيان فابحاثهُ اللفظية تبتدئ حيث تنتهي ابحاث النحو ذلك انهُ يعلمنا ايّ الفاظٍ ننتقي وايّ التراكيب نختار لغاية ان نبين افكارنا تبييناً واضحاً سهلاً خلواً من التعقيد والالتباس . وذلك هو المعبر عنه بالفصاحة اصطلاحاً مع المطابقة لمقتضى الحال من جهة التوكيد او تركه والاقتصار في الكلام على الغاية او استطرادهُ الى ما وراءها فضلاً عن توخي الحذف او الذكر تبعاً لما يتطلبه الامر الواقع من حال السامع او القاري وذلك مما قد يعبر عنه بالبلاغة

واما ابحاثه المعنوية فغايتها النظر في ايجاد الفكر الصحيح المناسب لمقتضى الحال او الاهتداء الى ما يمكنك من ان تجعل الصورة اللفظية الخارجية اقرب ما يكون الى صورة الفكر الداخلية كما هي في ذهن المتكلم اذا كان غيرهُ السامع او القاري وبالعكس ، وابحاثهُ من هذه الجهة تنتهي حيث تبتدي ابحاث المنطق فبان لك مما تقدم استقلال فسحة كل بحث من هذه العلوم الثلاثة مع تجاوُرِها واتصال اغراضها بعضها ببعضٍ

خاطر في الفصاحة والبلاغة

الفصاحة والبلاغة محور المعاني والبيان واليهما مرجع ابحاثه لانهما الغاية التي يقف عندها المتكلم والكاتب والضالة التي ينشدانها وما عقد ائمة البيان الفصول ولا بوّبوا الابواب الا بغية ان يوقفوا الطالب او المسترشد على تحقيقات وملاحظات وضوابط اذا روعيت في خطابهِ او كتابهِ بلغت الحد المطلوب من سهولة الفهم وايجاد الاثر المقصود في نفس السامع واتصفت من ثم بصفة الفصاحة والبلاغة واذا كانت الفصاحة والبلاغة بهذه المنزلة فلا يحسن بطالب فن البيان ان يجهل ماهيتهما ولا يسع المؤلف فيه ان يؤخر البحث فيهما واذا قدّم البحث فلا يحسن به ان يشير اشارة لا تغني في بيان الحقيقة وتترك الطالب دون الاحاطة بما يمكن ان يقال فيهما مع الفائدة المقتضاة . وعليه فقد قدمنا القول فيهما وتحرّينا الافادة من غير وقوف مع تقليد ولا إكثار من قال فلان او قيل واجيب وبالله التوفيق

الفصاحة

وهي صفة تكون في الكلام والكلمة والمتكلم . اما في الكلمة فان تكون مما يسهل لفظها على اللسان ويحلو وقعها في السمع ويسهل فهمها على الذهن ، وبعبارة اخرى ان تكون مأنوسة في الاستعمال . فاذا استصعب فهم المعنى المراد من اللفظة على الذهن او عسر التلفظ بها على اللسان خلت تلك اللفظة من

وصف الفصاحة واذا عدمت السهولتين معاً فحكمها حكم الالفاظ الاعجمية لا يستعملها الا المتصدّي للكتابة وهو يجهل اسرار اللغة والمراد منها

الالفاظ التي تعرى عن وصف الفصاحة
وفقاً لقواعد البيان

(١) مثل « المستشزرات » التي جاءت في قول امرؤ القيس :

غدائرهُ مستشزرات الى العلى   تضل العقاص في مثنيّ ومرسَلِ

فانها يعسر النطق بها على اللسان بشهادة الحس

(٢) مثل لفظة « المسرّج » التي وردت في كلام روبة ، قال

أزمان ابدت واضحاً مفلّجاً   ومقْلَة وحاجباً مزجّجا

وفاحماً ومرسِناً مسرّجا [1]

واما ما عابهُ البيانيون على الشاعر في استعماله « النقاخ » صفةً للماء بمعنى النمير او الفرات ، فارى عكس ما رواه وأن بداهة فطرته ادّته الى استعمال انسب لفظٍ من هذه الالفاظ الثلاثة واليك بيته ، قال

واحمق ممن يكرع الماء قال لي   دع الخمر واشرب من نقاخٍ مبرد

(١) الواضح ومعناه الثغر . والمفلّج ذو الفَلَج للوصف المستحسن في الاسنان والمزجّج المرقّق وكنّ يرققن حواجبهنّ قديماً كما يفعلنَ اليوم . والفاحم الاسود صفة قائمة مقام الموصوف اي شعراً فاحماً . والمَرْسِن موقع الرسن من الحيوان ويراد به الانف . والمسرّج نعتٌ له ولكنهُ غير مالوف في الاستعمال ويصعب ان لم نقل لا يُعرف ماذا اراد به الشاعر وسواء قلنا باشتقاقه من السيف السريجي او من السراج بمعناه المعروف او بمعنى الشمس فوصف الانف به غير مانوس بالاستعمال ولا ترضاه بداهة او سلامة الذوق

ومعناه انَّ مَن يكرع الماء ويترك الخمر احمقُ ، ولكن ثَمَّ مَن هو احمق منه وهو الذي يقول للشاعر «دع الخمر واشرب الماء البارد» . واختار «النقاخ» دون «الماء» ودون «النمير» او «الفرات» لانه يتمكن بلفظ النقاخ من اظهار الاشمئزاز الشديد المكرّه بشرب الماء دون الخمر ولو كان الماء مبرّداً . جرّب الفرق بين لفظ النقاخ ومرادفيه النمير والفرات ، واحكم بشهادة حسك

وأهم الشرطين المار ذكرها شرط سهولة الفهم ولنا في سبب عدم سهولة فهم المعني المراد من اللفظة كلام اليك هو مع بعض الاختصار

سبب عدم سهولة فهم المراد من اللفظة
او سبب «غرابة الاستعمال»

اللفظة اما ان تكون موصوفاً او تكون صفةً فان كانت موصوفاً فاما ان تكون اسماً لشيء موجودٍ مشاهدةٍ عينهُ كثيراً او اسماً لشيء كان يوجد ثم فقد من الوجود او اصبحت مشاهدتهُ نادرة لا تتهيأُ الا للقلائل وفي الازمان المتطاولة ايضاً فان كان الاول فاللفظة الدالة على ذلك المسمّى قلما يصعب فهم المراد بها او بما هو من متعلقاتها ومتعلقات المسمى بها وذلك كمعظم الفاظ اللغة المتداولة المتعارفة . وان كان الثاني اي ان كانت اللفظة اسماً لشيء كان يوجد ثم فقد من الوجود او كان الشيء كثير المشاهدة مألوفاً ثم قلَّت مشاهدته وقلت الالفة به ، وبقيت اللفظة الدالة عليه اوعلى شيء من صفاته او متعلقاته

فقلما يخلو استعمال مثل تلك اللفظة من صعوبة في معرفة المراد بها ، ومثل هذه الالفاظ هي الالفاظ المنعوتة بالغريبة والوحشية وذلك كما كثر الالفاظ التي كانت مسمياتها موجودة مألوفة عند العرب ففقدت تلك المسميات لعصرنا الحاضر او قلّت مشاهدتها وقلت الالفة بها ولنورد لك هنا ما اورده صاحب المثل السائر مثالاً على تلك الالفاظ الغريبة الوحشية . قال في كتابه طبعة بولاق صفحة ٩٧ ما يأتي

« واما ما ورد من اللفظ الوحشي في الاخبار النبوية فمن جملة ذلك حديث طهفة بن ابي زهير النهدي وذاك انه لما قدمت وفود العرب على النبي صلعم قام طهفة بن ابي زهير فقال اتيناك يارسول الله من غوري تهامة على اكوار الميس ترتمي بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام في ارضٍ غائلة النطا غليظة الوطاء قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهديّ وفاد الوديّ . برئنا اليك يارسول الله من الوثن والفتن وما يحدث الزمن لنا دعوة السلام وشريعة الاسلام ما طمى البحر وقام تعار . ولنا نعمَ همل اغفال ما تبضُ ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل اصابتنا سنية حمراء مؤزلة ليس لها علل ولا نهل . فقال رسول الله صلعم اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وفرقها وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلاة كان مسلماً ومن آتى الزكاة كان محسناً ومن شهد انْ لا اله الاَّ الله كان مخلصاً . لكم يا بني نهد وضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة . وكتب معهُ كتاباً الى بني نهد من

محمد رسول الله الى بني نهد السلام على مَن آمن بالله ورسوله لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس · لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ولا يوكل اكلكم ما لم تضمروا الآماق وتاكلوا الرباق · مَن اقرّ بما في هذا الكتاب فله من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة· وفصاحة رسول الله صلعم لا تقتضي استعمال هذه الالفاظ ولا تكاد توجد في كلامه الا جواباً لمن يخاطبه بمثلها كهذا الحديث وما جرى مجراه على انهُ قد كان في زمنه متداولاً بين العرب ولكنهُ صلعم لم يستعمله الا يسيراً لانهُ اعلم بالفصيح والافصح وهذا الكلام هو الذي نعده في زماننا وحشياً لعدم الاستعمال فلا تظن ان الوحشيّ من الالفاظ ما يكرهه سمعك ويثقل عليك النطق به وانما هو الغريب الذي يقل استعماله فتارة يخف على سمعك ولا تجد به كراهةً وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة وذلك في اللفظ عيبان احدهما انه غريب الاستعمال والآخر انه ثقيل على السمع كريهٌ على الذوق واذا كان اللفظ بهذه الصفة فلا مزيد على فظاظته وغلاظتهِ وهو الذي يسمى الوحشي الغليظ ويسمى ايضاً المتوعر وليس وراءهُ في القبح درجة اخرى ولا يستعملهُ الا اجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيءٌ من معرفة هذا الفن اصلاً » انتهى

ونزيد هنا ان العرب لشدة أُلفتهم الابل وكثرة تعهدهم لها واهتمامهم بها قد وضعوا لها من الالفاظ الدالة على مسمياتها وأوصافها وشياتها وتنوع حالاتها ما هو بالغ مبالغهُ من الكثرة · وهذه الالفاظ على كثرتها نقلها الينا الذين عنوا بجمع اللغة لم يغفلوا شيئاً منها مما سمعوه عن القوم، صبيانهم وعبيدهم

وامائهم، لا في احاديثهم فقط بل في اسجاعهم وسمرهم واشعارهم ايضاً كما لا يخفى على عارف. فهاته الالفاظ اصبح اكثرها الآن لبعد عهدنا بالابل وقلة الفتنا لها وتعهدنا اياها غريباً عندنا وحشياً اذا استعملناه لا نحسن استعماله في مواضعه ولا على ما يراد به واذا رأيناه في كتابات المتطفلين على الكتابة لا نفهم ما يعنون به ولاما يقصدون باستعماله. وشبيه بالالفاظ الموضوعة للابل اكثر الالفاظ الموضوعة للسيف والرمح والاسد وادوات الصناعات التي كانت عندهم وضروب مساكنهم وملبوساتهم وما يتعلق بها من الاوصاف والاشكال والحالات واسماء اجزائها وما يتلبس بها من الافعال والصفات فاكثر هذه الالفاظ ان لم نقل جميعها امست، لقلة مشاهدتنا اياها وبعد عهدنا وعهد آبائنا عن الفتها وتعهدها، غريبة عن مألوفاتنا لا يتصور لها في اذهاننا اذا سمعناها او قرأناها لا صورة حقيقية ولا ما يقرب من الحقيقية بل منها ما لا نتصور له في اذهاننا صورة اصلاً لان اعيان المسميات بها اما زالت من الوجود منذ مئات من السنين او انقلبت اوضاعها وتبدلت حالاتها واشكالها عما كانت عليه واطلق عليها متعهدوها اسماء غير الاسماء الاولى. وبالاجمال لم يبقَ عندنا الا اسماء المسميات مع انقراض اعيانها او تبدلها بصور غير صورها الاصلية في جميع ضروب ادوات الصناعات المختلفة وانواع المساكن والملبوسات وآنية البيوت والمفروشات وما شاكلها من آنية المشروب والزينة وادوات المطابخ والموائد. واذا كان الامر كذلك فمن الواضح ان هذه الالفاظ اما لا يفهم ما المراد بها او يعسر فهمها واحضار صورة ما هي مستعملة لهُ في الذهن ومن امثال ذلك على ما يحضرني طراف وخباء وكنّ وكنة وكنيف الدار والرف

والطاق والطيلسان والرداء والحلة والوشاح والمكوك والصاع والوبة والكيلجة والمنا والاستار والقصعة والجفنة والعس والنمط والنمرقة والسفط والقفة وغير ذلك من الاسماء التي يقال فيها انها كذا او كذا وهي في جميع اشكالها غير مشاهدة في وقتنا الحاضر ولا مستعملة فيه والمستعمل منها انما هو على شكل غير الشكل الذي كان له من قبل ' ومن مادة غير المادة التي كان يصنع منها وله اسم يعرف به الآن غير الاسم الباقي لنا في كتب اللغة ومعجماتها حتى اذا استعمله (اي الاسم الباقي) كاتب في كتابتهِ لا يدري القاري ما المراد منه ولا يتصور له في ذهنهِ صورة معينة يتخيلها الذهن ويعرف انها الصورة المرادة

والذي يقضي بالعجب ان كثيرين يزعمون ان امثال هذه الالفاظ ينبغي المحافظة على قداستها واستعمالها دون غيرها من الالفاظ المتعارفة والمستعملة الآن لما هو مألوف ومشاهدٌ في وقتنا الحاضر . واعجب من هذا انهم قد يطلقونها في الاستعمال من غير قيد يقيد ما المراد منها على التعيين او ما يقرب منه

هذا خلاصة ما يقال في سبب عدم سهولة فهم ما يراد باسماء الموصوفات واما سبب عدم سهولة فهم المراد من الصفات المسمى بغرابة الاستعمال على ما يؤخذ من تمثيل البيانيين فراجع الى ان الصفة لا تنطبق على الموصوف ولا تناسبه لا حقيقةً ولا مجازاً كلفظة المسرّج المار ذكرها في قول رؤبة ولهذا السبب عينه لم ترد في استعمال البلغاء وكبار الكتبة والشعراء الذين ينبغي متابعتهم والتعويل على ما عوّلوا على استعماله والاَّ بطل التفاهم او تعسر خلافاً للمقصود من اللغة . ولنضرب لك مثلاً يوضح ما قصدنا ، نقول علتْ همة

فلان فهو عالي الهمة وهمة عالية لمناسبة الصفة للموصوف توهماً وتخيلاً وهكذا ورد استعمال كبار الكتبة لهذه الصفة مثلاً ولا تقول ذهن عالٍ وفلان عالي الذهن لعدم انطباق الصفة على الموصوف لا حقيقة لغوية لانك لا تقول علا ذهنه ولا مجازاً على سبيل الوهم او التخيل وانت اذا تتبعت استعمال الكتبة لم ترَ في استعمالهم جعل هذه الصفة لهذا الموصوف ونعته بها · وعليه فاذا استعمل كاتب ما يشاكل هذه اللفظة قلنا انها غريبة الاستعمال وبعيدة عن المأنوس عند الكتاب وحكمنا بعدم فصاحتها بل حكمنا (اذا كانت على هذه الدرجة من الغرابة) برفض استعمالها وعدم سواغيتهِ اصلاً

ملاحظات

(١) لا تستعمل الالفاظ المبهمة اذا كان غرضك التعيين واحضار صورة الشيء او المعنى المراد في الذهن

(٢) لا تستعمل اللفظ المشترك الاَّ مع قرينة تبين المراد من معانيه المشتركة

(٣) لا تستعمل اللفظ الاَّ اذا عرفت تمام المعنى المراد به وانه هو المعنى الذي تريده بعينه

(٤) لا تستعمل لفظاً كان اسماً لمسمى لم يبق في المشاهد او تبدَّل عن صورته الاصلية لمسمى آخر من جنسه الاَّ اذا فهم انك تريد به المسمى الثاني بعينه

(٥) اذا وجد لديك مترادفان فاستعمل ادلهما وضعاً وعرفاً على المعنى المراد

(٦) اذا وجد لديك مترادفان دلالتهما واحدة فاستعمل اقلهما حروفاً وتحرَّ ان يكون اسهلهما لفظاً واوقعهما حسناً في السمع

(٧) لا تخالف المتعارف من القواعد الصرفية الاَّ اذا كان اللفظ متداولاً مشهوراً

(٨) اذا وجد لديك مترادفان من مزيدات الفعل ودلالتهما واحدة فان كان مرادك التعدية فاستعمل اشهر الصيغتين في التعدية او التكثير فاشهرها في التكثير وهكذا في

المشاركة والمغالبة والصيرورة والمطاوعة والوجدان على صفة الأ اذا شاع استعمال كلتا الصيغتين بين الكتبة والتكلمين فاستعمل ايهما شئت مع تحرّي اختيار انسبهما لما تقدم عليها وتاخر عنها

(٩) استعمال الكتبة البارعين والشعراء المفلقين حجة فتابعهم فيما استعملوه من الالفاظ في كل ما سهل فهمهُ وعرف المراد منهُ وتحرَّ ذلك

الفصاحة في المركبات

من شروط الفصاحة في الجملة ان تخلو من الالتباس اولاً ويسهل فهم المقصود منها ثانياً اما الالتباس فممنوع ابداً لمنافاته القصد من وضع اللغة واما سهولة الفهم فشرط اوليٌّ وضروري ايضاً لما انه غاية اللغة ومطلب من مطالبها المقصودة بالذات وهو دليل على ارتقائها وارتقاء اهلها والاَّ فالتفاهم المطلق قد يحصل بالاشارات والاصوات الطبيعية الاَّ ان مثل هذا التفاهم لا يطلق عليه اسم لغة الاَّ على سبيل التجوُّز والتسامح كقولنا لغة الحيوان الاعجم فاعلم هذا

وهناك شرط آخر لفصاحة المركبات وهو ان تكون الفاظها متناسبة بعضها مع بعض يسهل النطق بها مجموعة معاً فلا تلتوي على اللسان ولا يرى فيها معاظلة يستكرهها السمع · وهذا الشرط بحسب الظاهر اميل الى الحسن والاناقة مما هو الى سهولة الفهم وان كان مرجعه آخراً اليها

ولما كانت كل التراكيب النحوية الضعيفة والشاذة توجب شيئاً من عسر الفهم كانت كلها اذا وقعت في الجملة من المخلات بفصاحتها · الا انه قد يكون في بعض هذه التراكيب من التقديم والتأخير والفصل بين المتلازمات ما يفضي بالجملة الى الخروج عن صور التراكيب الشائعة المألوفة فيتسبب من

جرّاء هذا الخروج عسر في الفهم ينفر منه الذوق ويقضي على القاري بالشيء الكثير من اطالة الفكرة والتأمل في الجملة قبل ان يستخرج المعنى المقصود منها وهذا ما يسميه البيانيون بالتعقيد اللفظي ويعدونه من اكبر المخلات بالفصاحة وهو كذلك فتجنبه كل التجنب فانه مما لا تؤذن به الفصاحة ولا يسوغه الفصحاء بوجه من الوجوه في سائر الجمل على انواعها

امثلة مما يجب تجنبه لما فيه من ضعف التركيب او التعقيد

١ : كَسَا حِلْمُهُ ذَا الْحِلْمِ أَثْوَابَ سُؤْدَدٍ ... وَرَقَّى نَدَاهُ ذَا النَّدَى فِي ذُرَى الْمَجْدِ

٢ : جَزَى بَنُوهُ أَبَا الْغِيلَانِ عَنْ كِبَرٍ ... وَحُسْنِ فِعْلٍ كَمَا جُوزِيَ سِنِمَّارُ

٣ : أَرْضٌ لَهَا شَرَفٌ سِوَاهَا مِثْلُهَا ... لَوْ كَانَ مِثْلُكَ فِي سِوَاهَا يُوجَدُ

٤ : أَلشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ ... تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا

٥ : خَالِي لَأَنْتَ وَمَنْ جَرِيرٌ خَالُهُ ... يَنَلِ الْعُلَى وَيُكْرِمُ الْأَخْوَالَا

٦ : غَدَاةَ أَحَلَّتْ لِابْنِ أَصْرَمَ طَعْنَةٌ ... حُصَيْنٍ عَبِيطَاتِ السَّدَائِفِ وَالْخَمْرُ

٧ : إِلَى مَلِكٍ مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ ... أَبُوهُ وَلَا كَانَتْ كُلَيْبٌ تُصَاهِرُهْ

٨ : وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكًا ... أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

من المخلاّت بالفصاحة في المركب

المعاظلة : وهي على ما ذكره ابن الاثير ماخوذة لغة من قولهم تعاظلت الجرادتان اذا ركبت احداهما الاخرى فسمي بها الكلام المتراكب في الفاظه اخذاً من ذلك . وليس مجرد التراكب يعدُّ اخلالاً بالفصاحة انما اخلاله اذا تسبب عنه قلقلة بين الالفاظ وعسر في النطق بها يمجه الذوق ويستكرهه السمع وقد قسمها هذا العلامة الى اقسام خمسة (الاول منها) يختص بادوات

الكلام نحو من والى وعن وعلى واشباهها فان منها ما يسهل النطق به اذا ورد مع اخواته ومنها ما لا يسهل بل يرد ثقيلاً على اللسان فان كان الثاني فالمعاظلة متحققة فيه كقول ابي تمام

إِلَى خَالِدٍ رَاحَتْ بِنَا أَرْحَبِيَّةٌ   مَرَافِقُهَا مِنْ عَنْ كَرَاكِرِهَا نُكْبُ

والا فلا كقول قطريّ بن الفجاءة

وَلَقَدْ أَرَانِي لِلرِّمَاحِ دَرِيئَةً   مِنْ عَنْ يَمِينِي تَارَةً وَشِمَالِي

والاصل في ذلك راجع الى السبك فاذا سبكت هاتان اللفظتان او ما يجري مجراهما مع الفاظٍ تسهل منهما لم يكن بهما من ثقل كما جاءتا في بيت قطريّ واذا سبكتا مع الفاظ تثقل منهما جاءتا كما جاءتا في بيت ابي تمام

(القسم الثاني) ويختص بتكرير الحروف كأن يتكرر حرف واحد او حرفان في كل لفظةٍ من الفاظ الكلام المنثور او المنظوم فيثقل حينئذٍ النطق به كقول بعضهم

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرُ   وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

و كقول الحريري

وَازْوَرَّ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِراً   وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عِرْفَانَهُ

ومثل قولها قول المتنبي وقول كشاجم

كَيْفَ تَرْثِي الَّتِي تَرَى كُلَّ جَفْنٍ   رَاءَهَا غَيْرَ جَفْنِهَا غَيْرَ رَاقِي

حَدَائِقُ كَفٍّ كُلِّ رِيحٍ   حَلَّ بِهَا خَيْطُ كُلِّ قَطْرٍ

(القسم الثالث) ان ترد الفاظ على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضاً فمنها ما يختلف بين ماضٍ ومستقبل ومنها ما لا يختلف فالاول كقول القاضي الأرجاني

بِالنَّارِ فَرَّقَتِ الْحَوَادِثُ بَيْنَنَا وَبِهَا نَذَرْتُ أَعُودُ أَقْتُلُ رُوحِي

والثاني كقول ابي الطيب المتنبي

أَقِلْ أَنِلْ أَقْطِعِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ زِدْ هَشِّ بَشِّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ

(القسم الرابع) وهو الذي يتضمن مضافات كثيرة كقول ابن بابك في مفتتح قصيدة له

حَمَامَةَ جَرْعَى حَوْمَةِ الْجَنْدَلِ اسْجَعِي فَأَنْتِ بِمَرْأًى مِنْ سُعَادَ وَمَسْمَعِ

(القسم الخامس) ان ترد صفات متعددة على نحو واحد كقول ابي تمام

وَمَرَّ تَهْفُو ذُؤَابَتَاهُ عَلَى أَسْمَرَ مَتْنٍ يَوْمَ الْوَغَى جَسِدِهْ
مَارِنِهِ لَدْنِهِ مُثَقَّفِهِ عِرَّاصِهِ فِي الأَكُفِّ مُطَّرِدِهْ

وكقول المتنبي

دَانٍ بَعِيدٍ مُحِبٍّ مُبْغِضٍ بَهِجٍ أَغَرَّ حُلْوٍ مُمِرٍّ لَيِّنٍ شَرِسِ
نَدٍ أَبِيٍّ غَرٍ وَافٍ أَخِي ثِقَةٍ جَعْدٍ سَرِيٍّ نَهٍ نَدْبٍ رَضٍ نَدُسِ

انتهى محصلاً عن المثل السائر طبعة بولاق من وجه ١٧٧ الى ١٨٣ فمن اراد زيادة تفصيل فليراجع الفصل هناك فانه غاية في بابه

وجوب ردّ الضمير الى ما هو له : اعلم انه قد يتقدم في الكلام اسمان ظاهران او عدة اسماء ثم يردُ عليها الضمير فاذا لم يتنبه الكاتب او المتكلم لردّ هذه الضمائر اشتُبه في المراد بالضمير من هو ووقع الاختلال بسبب ذلك في فهم المقصود من الجملة حتى يأُول الامر اما الى الالتباس او اطالة الفكرة قبل معرفة اسم المردود عليه الضمير وكل ذلك مما لا يرضي اما الالتباس فلانه ممنوع في اللغة واما اطالة الفكرة فلأن السامع لا يمكنه الحال منها والقاري يشق عليه امرها ويتبرَّم بها فاياك واياً ذلك

راجع الفقرات الآتية من تاريخ العتبي طبعة بولاق وجه ٢٠٩

« وبث الامير سبكتكين كتبه الى من تفرّق عنه في دار مملكته واطراف ولايته من قوّاده واجناده في استنهاضهم الى مخيمه واستعجالهم الى مضربه فانهض الوزير ابا نصر الى والي سجستان يجشمهُ اللحاق به وكتب الى والي الجوزجان ابي الحارث الفريغوني بمثله وطالع حضرة الرضي باستعداده وانتظار ما يرد عليه من مثاله فكتب الى القواد بنواحي خراسان بالبدار اليه وتتابعت الامداد من كل جانب عليه فصار الامير سبكتكين في جيوش لو راموا الجو لاستنزلوا طيارتهُ او وردوا البحر لأبدوا قرارته وسار للانتقام مسير الليل غابت كواكبه والسيل ضاقت مذاهبه . وقد كان فائق عدل الى طوس يكاتب الامير سبكتكين مداهناً ويطمعه في الانحياز اليه مهادناً فتلقى وجهه بمثاله وكال عليه مثل مكياله وتكفأ اميركُ الطوسي احد الامرا التاروزية لابي عليّ بين الطاعة والمناعة والموافقة والمنافقة يقدم رجلاً للورود ويوخر اخرى للقعود فارسل ابو علي ابا القاسم الفقيه اليهما للاستمالة وتحذيرهما قدم الضلالة فنهض اليهما واخذ له الميثاق عليهما وكتب اليه يستعجله اللحاق بهما » انتهى . فانك اذا تأملت ما نقلناه عن هذا الكاتب الشهير وجدت كثيراً من الضمائر تحتاج الى شرح المنيني او الى شرح النجاتي والناموسي في ردها الى من هي له

ملاحظات على الفصاحة في المركب

(١) لا تستعمل التراكيب النحوية الشاذة ولا الضعيفة الأ ان تكون جارية مجرى المثل في كثرة استعمال الكتبة والتكلمين لها

(٢) احذر من المعاظلة ولا سيما في المخاطبات والوعظ شفاهاً

(٣) تجنب كل تعقيد ان من جهة اللفظ او من جهة المعنى فالتعقيد دليل العيّ ويذهب بتأثير الخطاب والكتاب ووقعهما في النفس

(٤) توخَّ سهولة الفهم في كل جملة تكتبها بحيث يفهم القاري الفكر المودع فيها عند اتيانك على آخرها من دون ان يتكلف مراجعتها او التأمل فيها (وهذا الشرط في المخاطبات اهمّ منه في المكاتبات ايضاً)

البلاغة

البلاغة على ما عرّفها علماء البيان هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ويوصف بها الكلام والمتكلم دون اللفظ المفرد فيقال مثلاً كلام بليغ ومتكلم بليغ ولا يقال لفظة بليغة ويريدون بالمتكلم البليغ من له ملكة يقتدر معها على الاتيان بالكلام البليغ واما الحال فقالوا فيه انه «هو الأمر الداعي الى التكلم على وجهٍ مخصوص ومقتضاهُ يختلف بحسب اختلاف مقامات الكلام فان مقام التنكير يخالف مقام التعريف ومقام الذكر يخالف مقام الحذف ومقام الفصل يخالف مقام الوصل ومقام الايجاز يخالف مقام الاطناب والمساواة ومقام التاخير يخالف مقام التقديم وخطاب الذكيّ يخالف خطاب الغبي ولكل كلمة مع اخرى تصحبها في اصل المعنى مقام فالفعل المصاحب لإنْ ليس كالفعل المصاحب لإذا لما سيأتي في الفرق بينهما وانما يقضي على الكلام بالارتفاع في الحسن والانحطاط بمطابقته للاعتبار المناسب وعدمها فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب اي الامر الذي اعتبر مناسباً بحسب

تتبع تراكيب البلغاء » اه (عقود الجمان للسيوطي الطبعة الاولى بالمطبعة الشرفية في مصر وجه ٦)

على اني ارى ان ما ذكرهُ هذا الكاتب الشهير انما هو شروط كمال لا بد منها في الكلام البليغ · والبلاغة ، وان كانت تقتضيها جميعها ، هي امرٌ آخر من ورائها مرجعهُ الى امر في الذهن قائم بارتباط الافكار بعضها ببعض وسردها على وجهٍ مخصوص يفهم منه كنهُ المراد والمحيطات به مما يريدهُ المتكلم او الكاتب على اخصر طريق واسهلهِ بحيث لا يتكلف ذهن السامع او القاري شيئاً من العناء واجهاد الفكر مما يمكن ان يكون في غنى عنهُ ولا يضيع عليه ايضاً مع هذا شيءٌ من ايجاد الاثر المقصود على اشده في النفس اذا كان المقام خطابياً او التمكين مع الوضوح اذا كان المقام علمياً او فلسفياً وهذه الغاية تقتضي بطبعها الشروط التي ذكرها العلامة السيوطي كما قدمنا

والحقُّ ان متعلق البلاغة انما هو في المقالة او الكتاب برمته لا في الجملة المفردة او القِطع الواحدة وليكون الكتاب بليغاً لابد من ارتباط الجمل بالقطعة والقطعة بالمقالة او الفصل والفصول بابحاث الكتاب على الجملة ثم لا بد من ان يكون الارتباط والترتيب المخصوص على ما ذكرناه ويؤدي الى الغاية التي اشرنا اليها · ولا يخفى ان الارتباط يكون باعتبار الزمان والمكان او الاستصحاب والعلة والمعلول والغاية والصورة والمادة والوهم والتخيل الى غير ذلك والكاتب البليغ من احسن جميع هذه الاعتبارات وربط بين جملهِ وقطعهِ وفصولهِ على ما يقتضيه الحال بانسب الروابط وادلها على الغرض المقصود بجميع اعتباراته ومحيطاتهِ على ما اشرنا

ودليلنا على ان متعلق البلاغة انما هو في المقالات المستقلة بموضوع بخصوصه او في الكتب المشتملة على مسائل علم من العلوم او فن من الفنون بجملته انما هو ما نراه من تعدد المؤلفين والكتاب في الموضوع الواحد وتفضيلنا ما يكتبه الواحد على ما يكتبه الآخر على حين يكون كل من الكاتبين اماماً في اللغة واذا تتبعنا ما كتبوه لم نجد في احدهما نقصاً او اخلالاً في المقامات التي ذكرها العلامة السيوطي من توكيد وتركه وذكر وحذف وتنكير وتعريف وفصل ووصل وايجاز واطناب بل قد نرى بعض الاختلاف بين ايجاز واطناب الاّ اناّ نحكم بالذوق ان ليس شيء منهما بذاته داعٍ الى الحكم ببلاغة المقالة او الكتاب بل قد نكتفي بايجاز الواحد ولا ننكر اطناب الآخر مع بقاء الحكم بان هذا المؤلف ابلغ من ذاك . وليس هذا الا لاحكام الارتباط بين قطع هذا المؤلف وفصوله دون ذاك وترتيب مخصوص في هذا دون ذاك يكون معهما الكتاب الذي الفه زيد ابلغ من الكتاب الذي الفه عمرو وبالضرورة اكثر قبولاً منه عند القراء واوقع في نفوسهم فاعرف هذا

البلاغة درجات متفاوتة

تعرف هذا اذا اقترحت انشاء مقالة في موضوع على عدة كتاب فانك اذا وقفت على ما كتبوه ترى كل مقالة بليغة بحد ذاتها ولا يظهر لك انحطاط في درجة بلاغة احدى تلك المقالات الا اذا قابلتها بالمقالات الاخرى ومقياس التفاوت راجع الى وضوح المقالة وتوجهها الى الغرض المقصود مع ما توجبه من التأثير في النفس بما يدعو الى الفعل او الترك والتحبيب او التنفير رأساً هذا في الخطابيات او ما توجبه من الاقناع واليقين في العمليات

والفلسفيات اولاً ثم ما توجبه من الفعل او الترك ثانياً تبعاً لما كان حصل قبلاً من الاقناع او اليقين وهذا لا يكون بمجرد مراعاة المقامات المختلفة في كل جملة على حدتها من تنكير وتعريف وحذف وذكر واشباه ذلك انما يكون بداعي ما يذكر من العلاقات الخارجية والذهنية وترتيب ذلك على نسق مخصوص يفعل على النفس فيوجب ما يوجب من الفعل والترك والتحبيب والتنفير والترغيب والترهيب والشك واليقين والاقناع بصحة امر او فساده وتمكين الحقيقة في الذهن او تقريبها من الفهم الى غير ذلك مما يراد

عليك اذا توخيت البلاغة بمراعاة الشروط الآتية :

(١) تحرَّ البيان والوضوح في الفاظك وعباراتك وافكارك وغايتك

(٢) فكر في موضوعك قبل ان تكتب سواداً على بياضٍ ووفهِ حقه من التأمل والنظر

(٣) فكر بما يتعلق بموضوعك من احوال خارجية وذهنية واعتبارات وهمية وتخيلية مما اذا قرنت بموضوعك تزيده بياناً ووضوحاً من جهة وتؤديك الى غايتك بايجاد ما تريده من الاثر في النفس من جهة اخرى

(٤) اذا كان موضوعك شيئاً محسوساً يقتضي الرؤية او السمع او اللمس او الشم او الذوق او كل هذه معاً او بعضها معاً فانظر واسمع والمس وشمّ وذُقْ وتحرَّ الاحاطة والتحقيق في جميع ذلك

(٥) اذا رأيت من نفسك عدم الاحاطة بالموضوع او شككت باحكامك فيه او لم تركن الى اختباراتك وملاحظاتك الشخصية فاقرأ مؤلفات الثقات في ذلك الموضوع وقابل ما عندهم بما عندك واياك والاعجاب برأيك والاعتداد بما عندك فانه آفة التحقيق ووصمة تشين في قناة المحققين

(٦) باحث اهل العلم والخبرة بموضوعك واستوضح منهم عن آرائهم وما اشكل عليك فهمه وأضف كل ذلك الى ما عندك

(٧) اذا بلغ الامر بك أنْ صار الموضوع جلياً واضحاً في ذهنك فارسم لهُ اولاً صورة رؤوس اقلام واعد نظرك ثانياً في ترتيب تلك الصورة الى أن تتحقق بقدر امكانك انك بلغت غاية ما في وسعك من احكام الترتيب واتقانه

(٨) راجع الالفاظ الدالة على المعاني المفردة وانتق افصحها وادلها على ما تعنيه وكذلك عبارات البلغاء من معاصرين وغير معاصرين وخذ انصحها واكثرها تداولاً الا ان ترى خلافها مما هو ادقُّ دلالةً على مقصودك

(٩) اذا هيأت جميع هذا فابدأ بالكتابة بموضوعك ثم اعد نظرك فيما كتبت وقدم وأخر واحذف وزد على حسب ما تراه مناسباً بعد الفكرة والتأمل مراعياً في جميع ذلك حال المخاطبين واذواقهم

(١٠) المهم من جميع ذلك ان تكون الصور والافكار التي عندك واضحة والمقصود متجلياً أتمَّ التجلي في ذهنك مرتباً فيه على اقرب ترتيب وأتمهِ والاَّ فلا تطمع في كتابتك ان تكون تعجب احداً او تنعت بفصاحة او بلاغة ولا تطمع ايضاً في أن استاذك او مشيرك يستطيع اصلاح ما كتبت ويقوم لك من منآده

خاطر في الصور الذهنية والافكار

الالفاظ انما هي علامات او اقمصة للمعاني فلا يحتاج اليها العقل الاَّ عند التفاهم فقط وهي ليست صوراً لاشخاص المدركات كصورة البيت للبيت وصورة زيد (التي يصورها المصوّر) لزيد والشجرة والحيوان للشجرة والحيوان في الخارج انما هي علامة للصورة الذهنية او قميصٌ لها اعتاد العقل ان يقرن تلك العلامة بها فانك اذا سمعت لفظة بيتٍ بالانكليزية مثلاً او رأيت صورتها الكتابية (هَوْسْ House) فلا تفهم منها ما تفهمه فيما لو رأيت صورة المصوّر للبيت الخارجي الاَّ بعد ان يألف العقل اقتران تلك اللفظة بالصورة الذهنية التي عنده وعليه فلا فرق (الآن) بين لفظة ولفظة للدلالة

على تلك الصور الذهنية في باديء الامر كالطفل فانه لا فرق عنده بين ان تجعل لفظة بيت او (هَوْس House) علامة لتلك الصورة الذهنية التي كان ادرك وجودها في الخارج من قبلُ الاً انه اذا جعل التفاهم بلفظة معينة لمعنى معين واعتاد العقل ان يقرن ذلك اللفظ بذلك المعنى حالما يسمع اللفظ او يرى صورته الكتابية فلا يصح بعدها العدول عن ذلك اصلاً والاً بطل التفاهم كما اذا قلتَ قلم وأردت الدواة فانَّ المخاطب لا يفهم ما تريده وإذا جرى المتكلمون على ذلك فلا يفوتهم الان ما اصاب اهل بابل قديماً من بلبلة الالسنة وتفرقهم على وجه كل الارض . ظهر لك مما قلنا ان الالفاظ انما هي علامات للصور الذهنية يقرن العقل بينهما حتى يصبح بعد طول الالفة واستمرار العادة قادراً ان يحضر الصورة الذهنية اذا حضرت علامتها عنده اولاً وبالعكس .
والصور الذهنية اما ان تكون من المحسوسات الخارجية مما كان ادرك العقل اعيانها بالحواس الظاهرة او من المحسوسات الوجدانية التي كان ادركها بالحواس الباطنية او من المعقولات الذهنية المتعلقة اما بالمحسوسات او بغيرها مما كان ادركها بالواهمة او بغيرها من القوى العقلية المدركة فانَّ هذه المدركات على انواعها يدركها العقل كل مدرَك على حدته ويرتسم لها في الذهن صورة يستطيع العقل ان يحضرها ثانية ولو مع غيبوبة اعيانها المدركة وهذه الصور يستطيع العقل ان يخزنها لوقت الحاجة في الخيال اذا كانت من صور المحسوسات او في الحافظة اذا كانت من مدركات القوة الوهمية او من مدركات غيرها من بقية القوى العقلية والادبية ودليله انك بعد ان تكون رأيت شيئاً او سمعت صوتاً او ذقت او لمست او شممت يمكنك بعد غيبوبة

اعيان هذه المدركات ان تحضر صورها في ذهنك ثانية وتدرك اذا تكرَّر عليك الاحساس بها انك كنت ادركت مثلها سابقًا

فهذه الصور الذهنية هي الموضوع بازائها اللفظ علامة لها وهي المرادة بقولنا معنى هذه اللفظة كذا ومعنى تلك كذا وهلمَّ جرًّا حتى اذا سألك سائلٌ ما معنى لفظة سنبلة او موز مثلاً ورسمت له صورة السنبلة وصورة الشجرة على مثل ما يكونان في الخارج تكون قد اجبته عن سؤاله · ولسهولة التعبير نسمي هذه الصور الذهنية بالتصورات او المعاني المفردة ونقول ان كل لفظة موضوعةٌ بازاء تصوُّر ما علامة لهُ يقرنها العقل به ويحضره عند حضورها سماعًا او كتابةً · فاذا وضع لتصوُّر واحد عدة الفاظ علامة له وتدلُّ عليه قيل عن تلك الالفاظ انها الفاظ مترادفة واذا وضع لعدة تصوُّرات لفظٌ واحد علامة لها و يدل عليها قيل عن اللفظ انه لفظ مشترك فاعرف هذا

قلنا ان هذه التصورات يحفظها العقل في الذهن و يستطيع احضارها ثانية متى شاء هي والعلامات الدالة عليها ايضًا الآ ان للمدركات فيما بينها كما لا يخفى عليك تعلقًا وارتباطًا فتتشابه او تتخالف وتوجد معًا او تتعاقب في الوجود فاذا جمعت بين تصورين وحملت احدهما على الآخر حملاً يفيد التشابه او التخالف او الاستصحاب او غير ذلك من التعلقات الواقعة كان لك الفكر في ابسط احواله فالفكر اذن (انما هو الجمع بين تصورين في الذهن وحمل احدهما على الآخر) وللفكر علامة تدل عليه وهي (الجملة) كما ان للتصور او المعنى المفرد علامة تدل عليه وهي اللفظة المفردة وما قيل في الالفاظ المفردة من جهة الترادف والاشتراك يمكن ان يقال مثله في الجملة فيقال مثلاً جمل

مترادفة او جملة مشتركة ونعني بالمترادفة ان قد وضع لفكر واحد اكثر من جملة واحدة علامة تدل عليه وبالمشتركة ان قد وضع لعدة افكار جملة واحدة علامة تدل عليها

الافكار الصحيحة والافكار الفاسدة

اذا كان الجمع ما بين تصوُّرين وحمل احدهما على الآخر على ارادة التشابه او التخالف او غيرهما من التعلقات الاخرى مطابقاً للواقع في الوجود، كان الفكر (الذي هو حمل احد هذين التصويرين على الاخر) صحيحاً وحقيقياً وان لم يكن مطابقاً للواقع، كان الفكر فاسداً وغير حقيقي. ثم ان كان الجمع بين التصوُّرين حملاً صحيحاً لم يسبق احد الى معرفته من قبل، كان الفكر مبتكراً او مبتدعاً حقيقة. فان سبق احد الى معرفته ولم يكن لمن جمع علم بهذه السابقية، كان الفكر مبتكراً بالنسبة اليه ومسبوقاً بالنسبة الي غيره ممن له العلم بها من قبلُ فاعلم هذا. وقد عقدنا هذا الفصل ترويضاً لذهن الطالب من جهة وتوصلاً الى حقيقة الجملة ما هي من جهة اخرى. فانَّ على الجملة مدار الكثير من ابحاث البيان وهي مقصودة بالذات لانها صورة للفكر او علامة تدل عليه

القسم الاول

في تقسيم الجملة

قلنا ان الجملة صورة للفكر او علامة تدلُّ عليه والصحيح انها علامة لصورة الفكر في الذهن تدل عليها ويمكن بها اذا حضرت احضار تلك الصورة استئنافاً لدى العقل . ولسهولة البحث نقسم الجملة الى ثلاثة اقسام : (بسيطة) و (مركبة) و (مؤلفة) وهنا نقول ان تقسيمنا الجملة الى هذه الاقسام انما هو تقسيم صناعي يراد به فضلاً عن سهولة البحث تفقيه الطالب في صناعة الجمل حتى يتمكن من الاحاطة بجميع ضروبها ويُلقي اليه بمقاليدها فلا يعود يشتبه عليه شيء من امرها مهما تقلبت احوالها واختلفت مظاهرها ولذلك فيمكن لغيرنا من الكتاب ان يقسمها الى غير هذه الاقسام على شرط ان يكون في التقسيم ما يمكّن الطالب من قياد الجمل ويسهل عليه البحث فيها فوق ما في تقسيمنا او يكون اجمع منه واحوط بحدود كل جملة حتى لا تتجاوز مكانها الى غيره

فصل في الجملة البسيطة

ونقسمها الى قسمين **بسيطة مطلقة** و **بسيطة مقيدة** فالبسيطة المطلقة انما نريد بها الجمع بين تصوُّرين وحمل احدهما على الآخر من غير قيد بزمان او مكان او اضافة او غير ذلك من القيود التي سنذكرها . مثال ذلك « العلم نافع » فان في هذه الجملة تصورين مفردين وهما العلم والنفع وقد حملنا احدهما وهو النفع على الاخر وهو العلم بمعنى انَّ الثاني يوجد اذا وجد الاول ولم نقيد العلم ولا النفع بشيء من القيود فاذا قلنا « العلم الصحيح نافع » فالجملة بسيطة ايضاً الأ انها مقيدة والمقيد فيها موضوعها في اصطلاح المناطقة او المسند اليه

في اصطلاح النحاة والبيانيين فانه تقيد بلفظة صحيح نعتاً له بخلاف المسند فانه على اطلاقه فاذا قلنا « العلم الصحيح نافع لصاحبه » كان لنا حينئذٍ جملة بسيطة مقيدة الموضوع والمحمول او المسند اليه والمسند معاً فان العلم مقيد بالصحة والنفع مقيد بانه حاصل لصاحب العلم كما ترى. واعلم ان الفعل يدلُّ وضعاً على نوع الزمان من دون تعيين كقام فانهُ يدلُّ على قيام في الزمن الماضي، الاَّ انهُ لا يتعين معه ذلك الزمان فيما اذا كان البارحة او اول البارحة او الشهر الماضي او ما قبله، لذلك لم نعد تقيده الوضعي هذا بالزمان قيداً له. وعليه فجملة « العلم ينفع » نحسبها بسيطة مطلقة وان كان المسند فيها مقيداً بحسب وضع الفعل بزمان الحال او الاستقبال وكذلك جملة « ذهبَ زيدٌ » فانا لا نقول فيها ان المسند مقيد بالزمان الماضي بل نحسبها مطلقةً وذلك (اولاً) لان هذا القيد انما هو من اصل وضع الفعل (ثانياً) انهُ لا يدلُّ كما تدلُّ البارحة واول البارحة على زمن معين محدود ويمكن تقييدهُ بهما وبغيرهما من القيود الزمانية كقولنا « ذهب اليوم صباحاً او البارحة مساءً او اول البارحة » وهلمَّ جرًّا. ان هذا القيد الوضعيّ للفعل يستغرق كل الزمن الماضي والماضي غير محدود ولا متناهٍ واذا كان القيد على هذه الصورة لا يحسب قيداً كما لا نحسب القيد في رجل الفرس قيداً اذا طال حتى لا يمكنك معه ان تجعل لحركة الفرس في جهة واحدة حدًّا معلوماً ولا تستطيع ايقافها به عن تلك الحركة في تلك الجهة هذه حجتنا في عدم جعل دلالة الفعل وضعاً على الزمان قيداً له بالزمان فان شئت بعدها ان تحسبه قيداً فالامر اليك لانا لا نشاحُّك على اعتباراتك اذا كان لها وجه تسند اليه ويضح اعتبارها من جهة

امثلة على الجملة البسيطة المطلقة

العلم نافع · المال قوة · الادب جمال · الظالم مكروه · النافع محبوب · الفراغ مفسدة · الجهل يشين · العلم يزين · سافر زيد · طلعت الشمس · غابت النجوم · اجتهد · لا تتكاسل · الموت حق · الفقر مصيبة

تنبيه : اعلم ان الصفة اذا نابت مناب الموصوف في جملة كقولنا «الظالم مكروه» اعتبرنا تلك الجملة بسيطة مطلقة فاذا ذكرت معه كقولنا «الحاكم الظالم مكروه» اعتبرنا الصفة قيداً لموضوع الجملة وحسبنا الجملة بسيطة مقيدة وتعليل ذلك لا يخفى على المتأمل لان الجملة البسيطة المطلقة انما هي ما جمعت بين تصورين مطلقين محمولاً احدهما على الآخر من دون تقييد وهذا متحقق في جملة الظالم مكروه فانه ليس فيها الاً تصوُّران مطلقان وهما الظالم والمكروه واحدهما محمول على الآخر بخلاف جملة الحاكم الظالم مكروه فان هنا لك ثلاثة تصوُّرات او تصوُّرين احدهما وهو الحاكم مقيد بالظالمية محمول عليه الآخر كما لا يخفى فلا يشتبهُ عليك الفرق بينهما

الجملة البسيطة المقيدة

تتقيد الجملة البسيطة بتقييد موضوعها (المسند اليه) او محمولها (المسند) او بتقييد موضوعها ومحمولها معاً

ويتقيد موضوعها بواحد او باكثر من واحد من القيود الآتية وهي الاضافة والمجرور والظرف والنعت والتوكيد والبدل والعطف ، عطف البيان

وعطف النسق ، والاستثناء والحال والتمييز · واليك بعض الامثلة للتوضيح

حب العلم فضيلة · دوام الحال من المحال · زينة التلميذ الاجتهاد · الرغبة في الخير خير · الزهد في الدنيا غنى · القيام صباحاً نافع · العلم الصحيح غنى · قدم الحجاج كلهم · العلم كثيرهُ وقليله نافع · الشر كثيره وقليله ضار · اخوك زيد فاضل · العلم والجاه يجتمعان · العلم والمال قد يفترقان · الكريم مع فقره كريم · والبخيل مع غناه بخيل · جاء زيد راكباً · اشتعل الراس شيباً · ما لي مال الاّ درهم · لا إله الاّ الله

تنبيه : قد ياتي المسند اليه مقيداً باكثر من قيد واحد من القيود المارّ ذكرها وقد يمكن تحويل القيد من صورة الى صورة اخرى مع بقاء معنى الجملة على حاله وقد يمكن تقييد القيد بقيد آخر ايضاً · واليك بعض الامثلة على التقييد باكثر من قيد

الزهد الصحيح في زخرف الدنيا غنى · العلم كلهُ كثيره وقليله نافع · الجهل كلهُ كثيره وقليله ضارٌ · قدم حجاج بيت الله كلهم · المال والجاه على تلازمهما يفترقان · العلم والمال على تباينهما يجتمعان

زِيَادَةُ ٱلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ وَفِعْلُهُ غَيْرَ تَقْوَى ٱللهِ خُسْرَانُ

امثلة على امكان تحويل القيد من صورة الى صورة اخرى :

طاب زيد نفساً او طابت نفس زيد · العلم كلهُ نافع او كل العلم نافع · العلم كثيره وقليلهُ فضيلة او كثير العلم وقليلهُ فضيلة · المال والجاه المتلازمان قد يفترقان او المال والجاه على تلازمهما قد يفترقان · العلم والمال المتباينان قد يجتمعان او المال والعلم على تباينهما قد يجتمعان

(انّا اكتفينا بما ذكرناه من الامثلة اعتماداً على ان المطالع النبيه يمكنه ان يصوّر لنفسه الكثير من الامثلة التي يتقيد فيها المسند اليه بقيد او بعدة قيود وكذلك الامثلة التي يتقيد فيها القيد نفسه · ويمكنه ايضاً اذا اراد تحويل صور القيود من غير اخلال بمعنى الجملة · واما التلميذ فعلى المعلم ان يطلب منهُ امثلة على قدر ما يرى الحاجة ماسة ترويضاً لذهنه وقصداً لتنبيه خاطره الى ما لا يكون قد تنبه اليه من ذي قبل)

تقييد محمول الجملة او المسند

يتقيد محمول الجملة اما بقيد او بعدّة قيود من القيود الآتي ذكرها وهي الفاعل مضافاً الى ضمير الموضوع او مذكوراً بعد ضمير منصوب يرجع اليه اي الى الموضوع او المفعول به. والمفعول المطلق والمجرور والزمان والمكان والسبب والاضافة والنعت والتوكيد والبدل والعطف . وكل ذلك قد يكون مع اطلاق المسند اليه او مع تقييدهِ على ما مرّ. واليك بعض الامثلة للتوضيح :

الكريم لا يخفى كرمهُ، والصديق لا تخفى صداقتهُ، والعدو لا تخفى عداوتهُ، او كقول ابي العلا «والحسن يظهر في شيئين رونقهُ». نجاسة الثوب يطهرها الماء، ونجاسة الذنوب تطهرها التوبة . القناعة تستر الخلة، يعدُّ عليه الواشيان ذنوبه . بالتدبير يكثر القليل، العرب تفتخر بإيفاء الوعد وخُلف الوعيد . القطار يسافر كل يوم صباحاً من بيروت الى الشام . اراني الله وجهك كل يوم صباحاً للتيمن والسرور . الجمال جمال الاخلاق، والقبح قبح الافعال. انت الخل الوفي. اعدل ملوك الفرس كسرى انوشروان . قام حقاً قام ربُّ المعجزات، مخافة الله العلم كلهُ . الكلمة اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ . صن سمعك عن سماع القبيح كصون لسانك عن ذكره. وهكذا

تقييد المسند اليه والمسند معاً

يمكن في الجملة الواحدة ان يتقيد كل من المسند اليه والمسند معاً بقيد او باكثر من قيد من القيود المار ذكرها وقد يمكن ان يكون القيد مقيداً ايضاً حتى يصير الفكر الواحد المدلول عليه بالجملة مؤلفاً من تصوُّرات شتى متعددة تبلغ كتابة الى بضعة اسطر وكل ذلك لا يخفى على المتأمل بعد ان وقف على ما ذكرناه ومثلنا به من تقييد كل من المسند والمسند اليه على حدته

مطلوب

على المعلم ان يطلب من التلميذ احضار امثلة على قدر ما يراه مناسباً يكون فيها كل من المسند اليه والمسند مقيدين بقيد او عدة قيود وفقاً لما مرّ به قبلاً والاولى ان تكون تلك الامثلة بعضها من عند نفسه وبعضها ماخوذاً من اقوال الكتاب التي لا يخلو منها كتاب من كتب الادب نظماً كانت او نثراً

هل تعتبر النواسخ قيوداً

تدخل النواسخ على المبتدا والخبر كما عُلمت من ابحاث النحو، والنواسخ اما ان تكون افعالاً ، كباب كان واخواتها وباب كاد واخواتها وباب ظنّ واخواتها ، واما ان تكون حروفاً كما ولا وليس (فان معنى الفعلية منتفٍ من هذه الاخيرة فهي في حكم ما كما لا يخفى) وكالاحرف المشبهة بالافعال . ولنا في حسبان النواسخ قيوداً برهانٌ يتجاذ به طرفا التسليم والانكار يمكن المطالع ان يتجاوزهُ الى غيره من الابحاث التابعة الاّ من قصد الرياضة الذهنية وأحب ان يشحذ قواه العاقلة بمثل هذه المسائل المعنوية . واليك هو :

اذا قلنا « زيد مريضٌ » فالجملة بسيطة مطلقة لان المسند فيها محمول على المسند اليه من دون قيد ومدلولها انّ زيداً والمرض مجتمعان معاً واما زمان هذا الاجتماع فاذا لم يكن في الجملة لفظة اخرى تدلُّ عليه تعين ان يكون زمن الحال ضرورة (وسيرد معنا فيما يأتي زيادة تفصيل في دلالة الصفة على الزمان)

ثم اذا قلنا « مرض زيدٌ » فالجملة ايضاً بسيطة مطلقة ومدلولها ان زيد والمرض اجتمعا معاً في الزمن الماضي من غير قيد يحدد زمان ابتداء هذا الاجتماع

وقيد الزمان المدلول عليه وضعاً بالفعل لا يعدُّ قيداً وقد ابناً ذلك فيما مرَّ بخلاف ما اذا قلنا «مرض زيد البارحة» فان لفظة البارحة قيدٌ للفعل لانها حددت زمن ابتدائه

وبناءً على ما قدمناه نقول انا اذا قلنا «كان زيد مريضاً» دلت هذه الجملة على ان المرض وزيد اجتمعا في الزمن الماضي وبهذا فارقت دلالة «زيد مريض» ودلت ايضاً على ان هذا الاجتماع منفك في الحال وبهذا فارقت دلالة «مرض زيد» وذلك يحملنا على القول ان جملة «كان زيد مريضاً» مقيدةٌ وان لفظة كان قيد لاننا بزيادتها اردنا انَّ الاسناد تقيد بالزمان الماضي من جهة وانتهى في الحال من جهة اخرى وهذه الدلالة من جهتيها مجعولة قصداً والدال عليها لفظة كان فهي اذن قيد كما كانت لفظة البارحة في قولنا «مرض زيد البارحة» قيداً الاَّ ان البارحة قيدت الزمن من جهة بداءته وكان من جهة نهايته فلا يذهب عليك هذا والله اعلم

هل تعتبر ادوات النفي قيوداً

اذا قابلنا بين جملتين احداهما مثبتة كقولنا «ذهب زيدٌ» والاخرى منفية كقولنا «ما ذهب زيدٌ» تبادر الى الذهن في باديء الرأي انَّ الجملة الثانية تزيد على الاولى بتصوُّر ثالثٍ هو النفي قيداً لمحمولها وبناءً على هذا التبادر يحكم عليها انها مقيدة وان اداة النفي قيدٌ ايضاً لتحقق معنى القيد فيها بحسب الظاهر لان القيد في الجملة انما هو لفظ غير لفظ المسند اليه والمسند يدلُّ على تصوُّر لهُ تعلق باحدهما او باحد متعلقاتهما. على انا بعد انعام

النظر يظهر لنا فساد هذا الحكم وفساده انما جاء من قبيل ما تبادر كما قلنا من ان جملة «ما ذهب زيد» تتضمن ثلاثة تصورات وهي زيد (الموضوع) والذهاب (المحمول) والنفي المدلول عليه بما قيداً للمحمول والحال ان ليس هنالك الاّ تصوُّران وهما زيد والذهاب على ما في جملة «ذهب زيد» الاّ ان الحمل في ذهب زيد وجوديٌّ بمعنى ان المحمول وجد مع الموضوع بخلاف الحمل في «ما ذهب زيد» فانهُ عدميٌّ بمعنى ان المحمول لم يوجد مع وجود الموضوع لأنَّ هنالك موضوعاً ومحمولاً وتصوُّراً آخر وجودياً مدلولاً عليه باداة النفي على مثل ما هو الواقع في قولنا «ذهب زيد البارحة» فان في هذه الجملة ثلاثة تصورات وجودية هي زيد والذهاب والبارحة والحمل فيها على ان المحمول وجد مع وجود الموضوع في هذا الزمان المعين المدلول عليه بلفظة البارحة

وبناءً على هذا الفارق الظاهر كل الظهور ما بين لفظة البارحة واداة النفي نعتبر ان جملة «ذهب زيد البارحة» جملة بسيطة مقيدة بخلاف جملة «ما ذهب زيد» فانها بسيطة مطلقة ونعتبر ايضاً البارحة وامثالها قيوداً دون ادوات النفي واشباهها وان عدّت من جملة النواسخ . هذا ومع ان فيما مرَّ كفاية لترجيح مستندنا في عدم اعتبار حرف النفي وشبهه قيداً للجملة الاّ انا نزيد مثلاً آخر لزيادة الايضاح وعمدتنا الافعال الدالة على النفي بوضعها كأبى فانها بمعنى لم يرضَ فاذا قلنا «أبى زيد ان يقيم في بيروت» و«لم يرضَ زيد ان يقيم في بيروت» كان لنا جملتان بمعنى واحد ولا يخفى ان قيد «ان يقيم في بيروت» مشترك فاذا طرحناهُ بقيت الجملتان على هذه الصورة «أبى زيدٌ» و«لم

يرضَ زيد» وهما بمعنى واحد والاولى منهما غير مقيدة بقيد فالثانية ينبغي ان تكون كذلك ولا عبرة بحرف النفي

تبديل صورة الجملة البسيطة المقيدة من غير اخلال بمعناها

ويكون ذلك بتبديل القيود فيها من صورة الى صورة اخرى مع بقاء معنى الجملة على حاله كقولك «ادب المرء يزيده كرامة» فانه يمكنك تبديل صورتها على ما يأتي

(١) الادب في المرء يزيد في كرامته
(٢) المرء الاديب يزيدهُ الادب كرامة
(٣) يزيد الادب المرء الاديب كرامة
(٤) يزيد الادب في كرامة المرء الاديب

وهكذا · ومثله قول القائل :

فالحسن يظهر في شيئين رونقهُ بيت من الشعر او بيت من الشعر

فانه يمكن تبديلهُ الى ما يأتي من غير اخلال بالمعنى ومع بقاء الجملة بسيطة مقيدة ايضاً

(١) يظهر رونق الحسن في شيئين بيت من الشعر او بيت من الشعر
(٢) يظهر رونق الحسن في شيئين في بيت الشعر او بيت الشعر
(٣) رونق الحسن يظهر في شيئين في بيت من الشعر او في بيت من الشعر
(٤) رونق الحسن يظهر في شيئين في بيت شعر او في بيت شعر

وهكذا · على ان اختيار صورة من هذه الصور يرجع الى ذوق المتكلم او الكاتب ولا بدَّ في ذلك من مراعاة المناسبة في الزمان والمكان والمجاورة والوزن والقافية وغير ذلك من المناسبات التي يقتضيها الحال

وعلى الاستاذ ان يمرّن التلميذ على تبديل صورة الجملة من غير اخلال بمعناها ولا مخالفة للقوانين النحوية المتعارفة الى ان يتقن علم ذلك مع السرعة والسهولة فان ذلك ينبه قواه العاقلة من جهة ويملكهُ قياد اللغة وحسن التصرف فيها من جهة اخرى

امثلة يطلب فيها من التلميذ ان يبين القيد والمقيد على التفصيل

(١) مَجْدِي أَخِيرًا وَمَجْدِي أَوَّلًا شَرَعٌ (٢) العلم في الصغر كالنقش في الحجر (٣) أَلْبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ ٱلْبَخِيلْ (٤) غرر البحتري ووسائط قلائده وابيات قصائده اكثر من غرر ووسائط وابيات غيره من الشعراء المجيدين

(٥) سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهٍ بِشَعْرِهَا شَبِيهَةَ خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ
فَمَا زِلْتُ فِي لَيْلَيْنِ شَعْرٍ وَمِنْ دُجًى وَشَمْسَيْنِ مِنْ رَاحٍ وَوَجْهِ حَبِيبِ

(٦) ما اقبح الخضوع عند الحاجة والتيه عند الغنى (٧) الملك حلو الطعم مرّ التكاليف (٨) شيئان لا يستعملان عند الملوك التسليم والتشميت (٩) انا اقدم في وزارتي على كل شيء الاّ على هتك الحرم واستئصال النعم (ابو علي البلعمي) (١٠) العيش في شيئين محادثة الاخوان والانقلاب الى كفاية (١١) اشدُّ امور الدنيا واصعبها محاربة العدو وركوب البحر (١٢) اول المؤمنين بالنبي اربعة ابو بكر من الكهول وزيد بن حارثة من الشباب وعلي بن ابي طالب من الصبيان وخديجة زوجته من النساء

فصل في الجملة المركبة

اذا قيدنا الجملة البسيطة المطلقة بقيد من القيود التي اشرنا اليها كان لنا على ما مرّ بك الجملة البسيطة المقيدة الاَّ انَّ القيد قد يكون جملة فيجتمع معنا اذ ذاك جملتان او اكثر احداهما اصلية مقصودة بالذات لا يمكن الاستغناء عنها بحسب الصناعة اللفظية والاخرى فرعية قيداً لموضوع الاولى او لمحمولها

ويمكن طرحها والاستغناء عنها ولو صناعة فالجملة المؤلفة من هاتين الجملتين او هاتيك الجمل هي الجملة المركبة في تقسيمنا وبياناً لذلك نقول ان جملة « الماء عنصر ضروري للحياة » مثلاً جملة بسيطة مقيدة المحمول والقيد مفرد ايضاً كما لا يخفى فاذا قيدنا موضوعها بقيد هو جملة وقلنا مثلاً « الماء وهو مؤلف من الاكسجين والهيدروجين عنصر ضروري للحياة » او قيدنا محمولها وقلنا « الماء عنصرٌ يضطر اليه كل ذي حياة » او لو قيدنا كلاً من موضوعها ومحمولها وقلنا « الماء وهو مؤلف من الاكسجين والهيدروجين عنصرٌ يضطر اليه كل ذي حياة » كانت كل صورة من الصور الثلاث المارّة جملة مركبة اي جملة مشتملة على جملة اصلية مقصودة بالذات لا يمكن طرحها بحسب الصناعة اللفظية وجملة اخرى او جملتين فرعيتين يمكن الاستغناء عن كل منهما او عن كلتيهما معاً كما يستغنى عن القيد المفرد في الجملة البسيطة المقيدة والمقصود من الاستغناء هنا ان الكلام يستقل بنفسه ويسمى جملة باعتبار الصناعة النحوية وان كان لا يستقل بالنظر الى المعنى المراد ايضاحه والتعبير عنه. فالفارق اذاً بين الجملة البسيطة المقيدة وبين الجملة المركبة انما هو في نوع القيد لا غير فاذا كان مفرداً كانت الجملة بسيطة مقيدة او جملة كانت الجملة مركبة ولزيادة الايضاح نزيدك امثلة من البسيطة المقيدة الا انها بتحويل قيدها المفرد الى صورة الجملة تنقلب الى مركبة مع بقاء معناها الاصلي على حاله

امثلة

(١) العالم العامل بموجب علمه مكرَّمٌ (أ) العالم اذا عمل بموجب علمه مكرَّمٌ
(٢) الكريم مع فقره كريم (ب) الكريم وان كان فقيراً كريمٌ

(٣) العلم يرغب الناس فيه حين استفادتهم منه (ج) العلم يرغب الناس فيه اذا استفادوا منه

(٤) جاء زيد ماشياً على قدميه (د) جاء زيد يمشي على قدميه

(٥) جاء زيد طلوع الشمس (ه) جاء زيد وقد طلعت الشمس

(٦) هربت خوفاً من القتل (و) هربت لاني خفت من القتل

(٧) الصابر ينال بغيته (ز) من صبر نال بغيته

تنبيه : الجملة المركبة ينبغي ان تشتمل على اسنادين في الاقل احدهما قيد لموضوع الجملة الاصلية او لمحمولها وهذا متحقق في سائر الجمل المتقدمة عليها الاعداد الابجدية

ما يدخل تحت الجملة المركبة

(١) الجملة الشرطية وجوابها (٢) القسمية وجوابها (٣) الطلبية وجوابها (٤) المنفية وجوابها (٥) الندا وجوابه (٦) القول ومقولته (٧) الجملة الداخل اسم الموصول فيها اما موضوعاً او محمولاً او قيداً . جميع هذه نحسبها داخلة تحت الجملة المركبة

بقي علينا بعض صور لا يمكننا ادخالها تحت الجملة المركبة الاَّ مع شيء من التكلف وهي ما كانت انَّ واسمها وخبرها واقعة فيها موقع المبتدا او الخبر او الفاعل او نائب الفاعل بحسب الصناعة النحوية نحو « عندي ان الفقر خير من الغنى مع التقتير » ونحو « الحق ان القناعة كنزٌ لا يفنى » ونحو « بلغني ان الحرب الصينية على وشك الانتهاء » ويلحق بهذه ما كان المسند اليه بصورة أنْ والفعل المضارع كقولك « ان تدرس خير لك » ووجه التكلف

انما هو في تقدير مسند اليه وجعل ان والفعل المضارع او انَّ واسمها وخبرها قيداً لهذا المقدر فتنطبق الجملة اذ ذاك على الحد الذي حددنا به الجملة المركبة واليك بيان ما نريده

اذا قلت « عندي ان الفقر خير من الغنى مع التقتير » لم يتحقق في هذه الجملة حد الجملة المركبة الاَّ اذا جعلت الظرف خبراً لمبتدا محذوف تقديرهُ هذا وان وما بعدها قيداً لاسم الاشارة المقدر يفسر ما فيه من الابهام فكانما كان اصل الجملة على ما يأتي « عندي هذا ان الفقر خير من الغنى مع التقتير » فحذف المفسر واقيمت الجملة المفسرة مقام المحذوف فاغنت عن ذكره فانه على هذا التكلف بالنظر الى الصناعة النحوية يتهيأُ لنا جملتان احداهما قيد لموضوع الاخرى او لمحمولها فتنطبق الجملة حينئذٍ على حد الجملة المركبة كما لا يخفى والله اعلم

بيان رد الجملة الشرطية الى جملة مركبة

لا يخفى ان الشرط والجواب جملتان حكمهما حكم الجملة الواحدة لارتباط كل من الشرط والجواب بالآخر وعدم افادته بدونه الا انها لا تحسب بسيطة لاشتمالها على اسنادين وعلى ما في الظاهر لا ينطبق عليها حد المركبة لان احدى الجملتين لا تنزَّل من الاخرى منزلة القيد المفرد على اننا بعد انعام النظر يمكننا ردها الى بسيطة مقيدة وفي هذا الرد دليل على ان احداهما تنزل من الاخرى منزلة القيد المفرد فيتعين اذن انها من قبيل المركبة

مثال ذلك جملة « ان قام زيد قمت » واشباهها فانها يمكن ردها الى احدى صورتين من غير اخلال بالمعنى المقصود منها وهما (١) « قيامي مترتب

على قيام زيد» او (٢) «اقوم حين قيام زيد» . وكلا الصورتين من قبيل البسيطة المقيدة

هذا اذا كانت (ان) اداة الشرط واما اذا كانت الاداة غيرها فليس من صعوبة اصلاً في رد الجملة الى مركبة وانطباق الحد عليها واضح كل الوضوح كقولك «من تأنى نال ما تمنى» و «من صبر ظفر» وكقولك «متى تذهب اذهب» و «حيثما تذهب اذهب» فانك اذا اعربت (مَن) مبتدأ والفعل بعده صلة لهُ ظهر لك من الاعراب انها مركبة لان المسند اليه تقيد بجملة الصلة واما متى وحيثما فاذا تعلقتا بالجواب كانتا قيداً لهُ وهما مقيدتان بالاضافة الى الجملة بعدهما فلنا اذ ذاك جملة قيد القيد فيها جملة فهي اذن مركبة لانطباق الحد عليها فتأمل

بيان رد الجملة القسمية وجوابها الى جملة مركبة

«والله ما قتلت زيداً ولا مالأت على قتله» وترد هذه الجملة الى احدى صورتين اما الى (١) «احلف بالله على هذا ما قتلت زيداً ولا مالأت على قتله» فتكون جملة ما قتلت زيداً ولا مالأت على قتله قيداً يفسر ما في اسم الاشارة من الابهام واما الى (٢) «احلف بالله على اني ما قتلت زيداً ولا مالأت على قتله» فتكون على ومجرورها الجملة بحسب الصناعة اللفظية قيداً لفعل القسم كما هو ظاهر ولا يلتبس على المحقق انه يصح في الصورة الثانية ايضاً تقدير مجرور «على» اسم اشارة وتجعل جملة ان تفسيراً لما فيه من الابهام على ما في الصورة الاولى

بيان رد جملة الطلب وجوابها الى جملة مركبة

وهي كقول القائل «لا تنه عن خلقٍ وتاتي مثله» او كقول بعض الصحابة «يا رسول الله لا تشرف يصبك سهمٌ» او كقول المتنبي

أَلَمْ يَسْأَلِ ٱلْوَبْلُ ٱلَّذِي رَامَ ثَنْيَنَا ... فَيُخْبِرَهُ عَنْكَ ٱلْحَدِيدُ ٱلْمُثَلَّمُ

فان جملة الجواب لا تخلو اما ان تكون بمعنى الحال او بمعنى السبب او التعليل كما لا يخفى وكلٌّ من الحال والسبب قيدٌ من قيود الجملة كما علمت فقس على هذه الامثلة غيرها من انواع الجملة الطلبية وجوابها

بيان رد الجملة المنفية وجوابها الى جملة مركبة

وذلك لان الجواب (ويكون مقترناً بفاء السبب او بالواو التي بمعنى مع) اما ان يكون سبباً للنفي او حالاً عن متعلق من متعلقاته وفي كلا الحالتين تكون جملة الجواب قيداً فتكون الجملتان معاً جملة مركبة لان احداهما تنزل من الاخرى منزلة القيد المفرد فلا يذهب عليك هذا

بيان رد جملة الندا وجوابه الى جملة مركبة

اذا كان المنادى مفرداً كقولهِ

أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ جَمَعْتَ دِينًا ... وَحِلْمًا فَاضِلاً لِذَوِي ٱلْحُلُومِ

وكقول الآخر

بَنِي عَامِرٍ هَلْ تَعْرِفُونَ إِذَا غَدَا ... أَبُو مُكْنِفٍ قَدْ شَدَّ عَقْدَ ٱلدَّوَابِرِ

بِجَيْشٍ تَضِلُّ ٱلْبُلْقُ فِي حَجَرَاتِهِ ... تَرَى ٱلْأُكْمَ مِنْهُ سُجَّدًا لِلْحَوَافِرِ

وَجَمْعٍ كَمِثْلِ ٱللَّيْلِ مُرْتَجِسِ ٱلْوَغَى ... كَثِيرٍ تَوَالِيهِ سَرِيعِ ٱلْبَوَادِرِ

او كقول الآخر

يَا رَبُّ قَدْ عَبَثَ ٱلْبَيَاضُ بِلِمَّتِي   لَكِنَّ وَجْهِيَ بِٱلْمَعَاصِي أَسْوَدُ

فجملة الندا والجواب حكمها حكم جملة الجواب وهي في المثل الاول بسيطة مقيدة وفي الثاني مركبة وفي الثالث مؤلفة وفقاً لجملة الجواب كما ترى

واما اذا كان مقيداً بجملة كقول القائل

فَيَا ٱبْنَ ٱلْمُطْعِمِينَ إِذَا شَتَوْنَا   وَيَا ٱبْنَ ٱلذَّائِدِينَ عَنِ ٱلْحَرِيمِ
سَمَا بِكَ خَالِدٌ وَبَنُو هِشَامٍ   إِلَى ٱلْعَلْيَاءِ فِي ٱلْحَسَبِ ٱلْجَسِيمِ

او كقول الآخر

أَيُّهَا ٱلْمَادِحُ ٱلْعِبَادَ لِيُعْطَى   إِنَّ لِلَّهِ مَا بِأَيْدِي ٱلْعِبَادِ

فالجملة ابداً من قبيل المركبة او المؤلفة

بقي علينا القول ومقولهُ وردهما الى الجملة المركبة واضحٌ لا يحتاج فيه الى زيادة ايضاح واللبيب تكفيه الاشارة

تذييل في العطف بالواو الدالة على الجمع

اذا عطفنا بها على المسند الفعل نحو «قال وفعل زيد» ونحو قول القائل

مَا صَابَ قَلْبِي وَأَضْنَاهُ وَتَيَّمَهُ   إِلَّا كَوَاعِبُ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا

او اذا عطفنا بها على المسند الخبر وكان فعلاً كقولنا «زيد وعد ووفى بوعدهِ» فالجملة من قبيل المركبة وكذلك تحسب الجملة من قبيل المركبة اذا كانت الواو حالية في نحو قولنا «جاء زيدٌ ويده على قائم سيفه» او كانت صدر جملة تفسيرية في نحو قولنا «الماء وهو مركب من الاكسجين

والهيدروجين عنصر ضروري للحياة» اما اذا كانت للاستئناف نحو «ودعا الله الجلد سماء وكان مساءٌ وكان صباح يوماً ثانيا» فالجملتان مستقلتان والفصل تام بينهما

امثلة على الجملة المركبة

(١) لِمَا تُؤْذِنُ ٱلدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا   يَكُونُ بُكَاءُ ٱلطِّفْلِ سَاعَةَ يُولَدُ

إِذَا أَبْصَرَ ٱلدُّنْيَا ٱسْتَهَلَّ كَأَنَّهُ   بِمَا سَوْفَ يَلْقَى مِنْ أَذَاهَا يُهَدَّدُ

(٢) رَأَيْتُكُمْ تُبْدُونَ لِلْحَرْبِ عُدَّةً   وَلَا يَمْنَعُ ٱلْأَسْلَابَ مِنْكُمْ مُقَاتِلُ

فَأَنْتُمْ كَمِثْلِ ٱلنَّخْلِ يُشْرِعُ شَوْكَهُ   وَلَا يَمْنَعُ ٱلْخُرَّافَ مَا هُوَ حَامِلُ

(٣) قَدْ شَرَّفَ ٱللهُ أَرْضاً أَنْتَ سَاكِنُهَا   وَشَرَّفَ ٱلنَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا

(٤) وَمِنْ نَكَدِ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْحُرِّ أَنْ يَرَى   عَدُوّاً لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

(٥) وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ   شَكْوَى ٱلْجَرِيحِ إِلَى ٱلْغِرْبَانِ وَٱلرَّخَمِ

(٦) وَإِذَا مَا خَلَا ٱلْجَبَانُ بِأَرْضٍ   طَلَبَ ٱلطَّعْنَ وَحْدَهُ وَٱلنِّزَالَا

(٧) لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ   مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهَا رُوحَكَ ٱلْبَدَنُ

(٨) تَصْفُو ٱلْحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ   عَمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ

(٩) الصبر على ما تكرههُ وتحتويهِ . يؤديك الى ما تحبهُ وتشتهيهِ

(١٠) من ضيع امره ضيع كل امر . ومن جهل قدره جهل كل قدر

(١١) الحازم من حفظ ما في يده . ولم يؤخر امر يومهِ الى غده

(١٢) اغمد سيفك ما ناب عنه لسانك واشتمل على عدوك اذا اصلحهُ احسانك

(١٣) من لا عقل لهُ يفسد من حيث يريد ان يصلح

(١٤) العفو احتمال الذنب الذي لا يكون عن عمد ولا يقضى فيهِ بحدفاما ذنب يرتكب عمداً ويوجب حدّاً فاحتماله ترخيص في الذنوب والتجاوز عنه ابطال للحدود . وهو مما يفسد السياسة ويوهن الشريعة والديانة

(١٥) كل امر لا يدارى قبل ان يستفحل ولا يستدرك قبل ان يستكثر يعجز عنه مداويه ويصعب تداركهُ وتلافيه

بسط الجمل وقبضها

اعلم انه يمكن تحويل الجملة البسيطة المقيدة الى جملة مركبة ويمكن على العكس رد الجملة المركبة الى بسيطة مقيدة من غير اخلال بمعنى الجملة وذلك ببسط الجملة او بقبضها ونعني ببسطها تحويل قيدها او قيودها عن صورة المفرد الى صورة الجملة وبقبضها تحويل قيدها او قيودها من صورة الجملة الى صورة المفرد مثال ذلك جملة « الحق الظاهر لا يقوى احد على انكاره » فانها بسيطة مقيدة فاذا بسطتها فقلت « الحق اذا ظهر لا يقوى احد على انكاره » انقلبت الى مركبة كما لا يخفى وعلى عكسه في جملة « العلم وان صاحبه الفقر خير من الجهل وان صاحبه الغنى » فانها مركبة فاذا قبضتها وقلت « العلم مع الفقر خير من الجهل مع الغنى » انقلبت الى بسيطة مقيدة وهكذا

مطلوب بسط الجمل الاتية

(١) المروءة اربع العفاف واصلاح المال وحفظ الاخوان واعانة الجيران

(٢) اربعة الحسب والسرور والقرابة والعقل تحتاج الى اربعة الادب والامن والمودة والتجربة

(٣) السعادة اربع سلامة الخلقة وجودة الحفظ وجودة العقل والتأني في المطلوبات

(٤) الموت اربعة الفراق ثم الشماتة ثم العزل ثم الخروج من الدنيا

(٥) اربعة من امارات العاقل حفظ الصحة واختصار الطرق وتوقي الشنيع من كل ملبس وترك الغلو في كل مذهب

(٦) كَسَوْتَنِي مِنْ لِبَاسِ ٱلعِزِّ أَشْرَفَهُ ٱلْمَالَ وَٱلعِزَّ وَٱلسُّلْطَانَ وَٱلجَاهَا

(٧) خير الخدام خادم كاتم السر عديم الشر قليل المونة كثير المعونة صموت اللسان شكور الاحسان حلو العبارة درّاك الاشارة عفيف الاطراف عديم الاتراف

(٨) تعجب الجاهل من العاقل اكثر من تعجب العاقل من الجاهل

(٩) لا بد للعاشق من وقفة بين الصد والصرم

(١٠) ما وهب الله لامرىء هبة احسن من عقله ومن ادبه

(١١) الحزم تجرُّع الغصص الى نوال الفرص

(١٢) الراحة اربع راحة الجسم وراحة الروح وراحة القلب وراحة اللسان في اربع قلة الطعام وقلة الآثام وقلة الاهتمام وقلة الكلام

مطلوب قبض الجمل الآتية

(١) لا تعاد احداً وان ظننتَ انهُ لا يضرُّك ولا تزهد في صداقة احدٍ وان ظننتَ انهُ لا ينفعك

(٢) علامات المنافق ثلاثٌ اذا حدَّث كذب واذا وعد اخلف واذا أُؤتمن خان

(٣) الجبن والبخل صفتان تذمّان في الرجال وتحمدان في النساء

(٤) من وجهَ رغبته اليك وَجبت اعانته عليك

(٥) الزم الصمت تعدَّ في نفسك فاضلاً وفي جزلك عاقلاً وفي قدرك حكيماً وفي عجزك حليماً

(٦) من انحط سلطانه تعرَّض للمنية . ومن اوحش اخوانهُ تبرأ من الانسانية

(٧) من مصائب العلماء وانعكاس حظوظهم ان يصيروا عند من يعلّمونه مستجهلين وعند من قدَّموهُ مسترذلين

(٨)	إِنَّا وَإِنْ كَرُمَتْ أَوَائِلُنَا	لَسْنَا عَلَى الأَحْسَابِ نَتَّكِلُ
(٩)	يُرِيكَ إِذَا بَدَا وَجْهًا	حكَاهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
(١٠)	وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الحُبَّ إِذَا دَنَا	يَمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الصَّدْرِ
(١١)	لاَ تَحْقِرَنْ عَالِمًا وَإِنْ خَلَقَتْ	أَثْوَابُهُ فِي عُيُونِ رَامِقِهِ

(١٢) من كان عبداً للحق فهو حرٌّ

(١٣) الحرُّ عبدٌ اذا طمعَ والعبدُ حرٌّ اذا قنع
(١٤) لا تشرب السمَّ اتكالاً على ما عندك من الترياق
(١٥) اذا كثرت المقدرة قلت الشهوة
(١٦) لا تنالون ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون
(١٧) الخطُّ هندسةٌ روحانية وان ظهرت بآلة جسمانية
(١٨) من شارك سلطاناً يميل مع هواهُ في عزّ الدنيا شاركهُ في ذل الآخرة

فصل في الجملة المولفة

قلنا انه اذا اجتمع جملتان او اكثر على ارتباط بينهما بحسب الصناعة اللفظية وامكن تنزيل احداهما من موضوع الاخرى او محمولها او من قيد من قيودهما (اي الموضوع والمحمول) منزلة القيد المفرد فالجملتان او الجمل في حكم الجملة الواحدة لفظاً ومعنى ويطلق عليهما او عليها اسم الجملة المركبة ونقول هنا اذا اجتمع معنا جملتان (او اكثر) ولم يمكن تنزيل احداهما بحسب الصناعة اللفظية منزلة القيد المفرد من الجملة الاخرى وكان بينهما مع ذلك تعلق معنوي بحيث لا يتاتى بحسب اعتبار المتكلم او الكاتب فصل الفكر في الواحدة عن الفكر في الاخرى فالجملتان (او الجمل) في حكم الجملة الواحدة معنى وهذا ما نريده بالجملة المؤلفة

وبعبارة اخرى نقول ان الجملة المؤلفة هي جملتان (او اكثر) بينهما تمام الاستقلال بحسب الصناعة النحوية الاَّ انَّ مبنى الفكر معهما من اول الامر انما هو على احضارهما معاً في الذهن لما بينهما من الارتباط المعنوي

المترتب اما على علاقة واحدة او اكثر من علاقة واحدة من العلائق المعنوية الآتية

(اولاً) الاستدراك وادواته (ا) على انَّ . كقول الشاعر

بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفَ مَا بِنَا عَلَى أَنَّ قُرْبَ ٱلدَّارِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْبُعْدِ
عَلَى أَنَّ قُرْبَ ٱلدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِذِي وُدِّ

(ب) غير انَّ . كقول الآخر

وَبِي مِثْلُ ٱلَّذِي بِكِ غَيْرَ أَنِّي أُجِلُّ عَنِ ٱلْعِقَالِ وَتُعْقَلِينَا

(ت) الاَّ انَّ . كقول الآخر

حَيِيُّونَ إِلَّا أَنَّهُمْ فِي نِزَالِهِمْ أَقَلُّ حَيَاءً مِنْ شِفَارِ ٱلصَّوَارِمِ

(ث) الا ان . او اللهم الا ان . كقول الحريري

وما قيل في المثل الذي سائره ُ خير العشاء سوافره ُ الاَّ ليعجل التعشي ويجتنب اكلُ الليل الذي يعشي اللهم الاَّ ان تقد نار الجوع وتحول دون الهجوع

(ج) لكنَّ . كقول القائل

اذَا نُصِبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسَنُوا وَلَٰكِنَّ حُسْنَ ٱلْقَوْلِ خَالَفَهُ ٱلْفِعْلُ

وكقول الآخر

فَعَيْنُ ٱلرِّضَى عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَٰكِنَّ عَيْنَ ٱلسُّخْطِ تُبْدِي ٱلْمَسَاوِيَا

(ح) لكنْ . كقول المتنبي

وَمَا تَرَكُوكَ مَعْصِيَةً وَلَٰكِنْ يُعَافُ ٱلْوِرْدُ وَٱلْمَوْتُ ٱلشَّرَابُ

(خ) قد يكون المراد بالاستدراك بيان فصل المستدرك فتحذف

حينئذٍ (لكنَّ) وتبقى الواو المصاحبة لها في اكثر مواقعها او تنوب عنها جملة (لا سيما) مثال ذلك قول بعضهم

هُمُ الْمُحْسِنُونَ الْكَرَّ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى وَأَحْسَنُ مِنْهُ كَرُّهُمْ فِي الْمَكَارِمِ

وقول الآخر

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ وَلَا سِيَّمَا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ

(ثانياً) السببية وما يساوقها اما على صورة الاستئناف او عطفاً بالفاء نحو قوله

تَرَكْتُ ضَأْنِي تَوَدُّ الذِّئْبَ رَاعِيَهَا وَأَنَّهَا لَا تَرَانِي آخِرَ الْأَبَدِ
الذِّئْبُ يَطْرُقُهَا فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً وَكُلَّ يَوْمٍ تَرَانِي مُدْيَةٌ بِيَدِي

وكقول الآخر

أَدْرِكْ ثِقَاتِكَ أَنَّهُمْ وَقَعُوا فِي نَرْجِسٍ مَعَهُ ابْنَةُ الْعِنَبِ
فَهُمْ بِحَالٍ لَوْ بَصُرْتَ بِهَا سَبَّحْتَ مِنْ عَجَبٍ وَمِنْ عَجَبِ
رَيْحَانُهُمْ ذَهَبٌ عَلَى دُرَرٍ وَشَرَابُهُمْ دُرَرٌ عَلَى ذَهَبِ

وكقول الآخر

إِحْذَرْ مُعَاشَرَةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّهُ يُعْدِي كَمَا يُعْدِي السَّلِيمَ الْأَجْرَبُ

ويساوق السببية التعليل والغاية فمثال الاول « انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » ومثال الثاني ما جاء في سفر التكوين « وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الارض »

(ثالثاً) التمثيل . والتمثيل على ما نريد به هو تشبيه مضمون احدى الجملتين بالاخرى بياناً لامكان صحة الاسناد في احداهما سلباً او ايجاباً وقد يكون

ذلك مع ذكر اداة تشبيه او بدون ذكرها فمثال الاول قوله

فتىً عِيشَ في معروفهِ بعدَ موتهِ ... كما كانَ بعدَ السَّيلِ مجراهُ مرتعا

ومثال الثاني قول الآخر

وبلاهُ إنْ نظرتْ وإنْ هيَ أعرضتْ ... وقعُ السِّهامِ ونزعهنَّ أليمُ

وقول الآخر

مَنْ يهنْ يسهلِ الهوانُ عليهِ ... ما لجرحٍ بميتٍ إيلامُ

وقوله ايضاً

اعيا زوالكَ عنْ محلٍّ نلتهُ ... لا تخرجُ الأقمارُ عن هالاتِها

(رابعاً) اذا كانت الجملة الاولى بمنزلة المشبه والثانية بمنزلة المشبه به او كانت الثانية بياناً لوجه الشبه في الاولى بتفصيل احوال المشبه به فمثال الاول قوله

يهزُّ الجيشُ حولكَ جانبيهِ ... كما نفضتْ جناحيها العُقابُ

ومثال الثاني قوله

النَّاسُ للموتِ كخيلِ الطِّرادْ ... فالسَّابقُ السَّابقُ منها الجوادْ

وكقول الآخر

إني وإيَّاكَ كالصَّادي رأى نهلاً ... ودونهُ هوَّةٌ يخشى بها التَّلفا
رأى بعينيهِ ماءً عزَّ موردهُ ... وليسَ يملكُ دونَ الماءِ منصرفا

وكقول الآخر

وبينَ الخدِّ والشَّفتينِ خالٌ ... كزنجيٍّ أتى روضاً صباحا
تحيَّرَ في الرِّياضِ فليسَ يدري ... أيجني الوردَ ام يجني الأقاحا

وكقول الاخر

فإنكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

ويلحق بهذا الباب ما اذا كانت الجملة الثانية بيانًا لوجه الاختلاف المصرَّح به في الاولى وذلك نحو قول القائل

هَوَى نَاقَتِي خَلْفِي وَقُدَّامِيَ الْهَوَى وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَمُخْتَلِفَانِ
تَحِنُّ فَتُبْدِي مَا بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ وَأُخْفِي الَّذِي لَوْلَا الْهَوَى لَقَضَانِي

(خامساً) اذا كانت الثانية تشبيهاً اداته كأنما ومبناه على معنى الاول كقوله

ارى كلَّ ذي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ

وكقوله ايضاً

وَيَحْتَقِرُ الْحُسَّادَ عَنْ ذِكْرِهِ لَهُمْ كَأَنَّهُمُ فِي الْخَلْقِ مَا خُلِقُوا بَعْدُ

(سادساً) اذا كانت الثانية نتيجة او شبه نتيجة عن الاولى وذلك نحو قولهم « العالم مؤلف فهو محدث » وكقول القائل

قَضَى بَيْنَنَا مَرْوَانُ أَمْسِ قَضِيَّةً فَمَا زَادَنَا مَرْوَانُ إِلَّا تَنَائِيَا

(سابعاً) اذا كانت الثانية مشتملة على منطوق الاولى او على مفهوم منها وهذا ما يعبر عنه البيانيون باسم التذييل نحو « تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، ونحو « يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير » ، وكقول القائل

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئاً أُؤَمِّلُهُ تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ

وكقول الآخر

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لَا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ ايُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ

(ثامناً) اذا كانت الاولى تمهيداً لما يأتي من الحكم بعدها في الثانية على سبيل التفصيل سواء كان الحكم في الثانية مغايراً للحكم في الاولى او موافقاً له مع زيادة قيد او بعض قيود كقول البشير في انجيل متى « سمعتم انه قيل

للقدماء لا تحنث بل أوفِ للرب اقسامك واما انا فاقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء لانها كرسيّ الله ولا بالارض لانها موطئ قدميه » ونحو قوله ايضاً « قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزنِ واما انا فاقول لكم ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه » ونحو قوله ايضاً « سمعتم انه قيل تحبُّ قريبك وتبغض عدوَّك واما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم باركوا لاعينكم احسنوا الى مبغضيكم وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم »

(تاسعاً) اذا كانت الجمل واقعة في جملة برهانية على سبيل القياس اما كقولهم « العالم مؤلف وكل مؤلف حادث » او كقول الفخر الرازي في تفسيره « ان الشيطان لو قدر على ان يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب ان يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد . وحينئذٍ وجب ان يقتلهم وان يمزّق تصانيفهم وان يخرّب ديارهم : ولما بطل ذلك في حق آحاد العلماء فلأن يبطل مثله في حق اكابر الانبياء اولى »[1]

(عاشراً) اذا اجملت في جملة ثم فصلت ما فيها من الاجمال في جملة اخرى او في اكثر من جملة كان مجموع ذلك جملة مؤلفة كقول انوشروان « اربعة ايام لاربعة اعمال : يوم الغيم للصيد : ويوم الريح للنوم : ويوم المطر للشرب : ويوم الصحو للكسب » وقد يكون انك تجمل في عدة جمل متتابعة ثم تأتي على تفصيل ما اجملت بما يملأ الصفحتين ويكون مجموع ذلك كله جملة مؤلفة (انظر خمس رسائل طبع الاستانة وجه ١٢٦ — ١٢٨ في عدد الاربعة . فصل . قالوا العناصر اربعة والحدود اربعة والرياح اربع الخ)

(١) الفخر الرازي جزء ٧ وجه ٢٠٢

(حادي عشر) اذا كانت الثانية استئنافاً عن الاولى ويراد بالاستئناف ان تكون الجملة الثانية اما جواباً عن سؤال اقتضته الاولى كقول بعضهم

قالَ كيفَ انت قلتُ عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويل

وكقول الاخر

زعم العواذل انني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

او جواباً عن سؤال يتعلق باحد متعلقات الجملة الاولى ثم من الاستئناف ما يأتي باعادة اسم من استؤنف عنه مثل « احسن الى زيد زيد حقيق بالاحسان » وقول ابي تمام

سَلَبْنَا غِطَاءَ الْحُسْنِ عن حُرِّ أَوْجُهٍ تَظَلُّ لِلُبِّ السَّالِبِيهَا سَوَالِبَا
وُجُوهٌ لوَ انَّ الأَرْضَ فيها كواكبٌ توقَّدُ للسَّارِينَ كانت كواكِبَا

(ثاني عشر) اذا كانت الثانية مترتبة على الاولى وتقع عند وقوعها وهذه الثانية ان عطفت عُطِفَت بالفاء والاَّ ترك معها العطف اصالة نحو قوله « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرُّ مرَّ السحاب »

(ثالث عشر) اذا كانت الثانية معطوفة على الاولى بالفاء او ثم او بل على شريطة العطف المعتبرة والمنصوص عليها عند النحاة نحو قولك « نزل القوم مساءً فارتحلوا صباحاً ». وكقول القائل

قالَتْ سُلَيْمى مُذْ رأَتْني بِبابِها مَنِ الوالِهُ الباكي : فقُلْتُ غريبُ

وكقول الاخر

سَأَلْتُهَا حينَ زَارتْ نَضْوَ بُرقُعِهَا الْـ (م) قاني وإِيداعَ سَمْعِي اطيبَ الخبرِ
فَزحزحَتْ شَفَقاً غشّى سَنَا قمرٍ وساقطَتْ لُؤلُؤاً من خاتمٍ عطرِ

ونحو قول بعضهم

بِنتُ كرمٍ يتّموها أُمَّها وأَهانوها وديستْ بالقدمْ

ثمَّ عادوا حكَّموها بينهم ويحهم من جورِ مظلومٍ حكمْ

وكقول الاخر

تُخبِرُ مَنْ لاقيتَ انكَ عائذٌ بل العائذُ المظلومُ في سجنِ عارمِ

(رابع عشر) اذا كان العطف بالواو على شرط ان يكون الجامع بين الجمل المعطوفة بيناً واضحاً لما هنالك من العلاقة الذهنية الموجبة حضور الواحدة في الذهن عند حضور الاخرى وذلك كما اذا كان الجامع مبنياً على التضاد كقولك «خير الناس من نفع الناس وشرُّ الناس من اضرَّ بالناس» وكقولك «من الناس من يسعده الجهل ومنهم من يشقيه العقل» وكقول القائل

فإن هجرتني شيَّبتني بهجرِها وإن واصلتني شيَّبتني بطيبِها

ونحو قول المتنبي

ازورهم وسوادُ الليل يشفعُ لي وأنثني وبياضُ الصبح يُغري بي

او مبنياً على العكس كقولك «زيد باطنه خير من ظاهره وعمرو ظاهره خير من باطنه». ومثله قولك. «فلان كثير القول قليل الفعل وفلان قليل القول كثير الفعل». او كان الجامع زمانياً والمقصود تعداد الحوادث التي وقعت فيه ومثله اذا كان المراد تعداد الحوادث المتعاقبة التي لها علاقة بشيء واحد على حسب ما وقعت اولاً فاولاً فمثال الاول ما ورد في سفر الملوك الثاني «وفي الشهر الخامس في سابع الشهر الخ جاء نبوزرادان رئيس الشرط عبد ملك بابل الى اورشليم واحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت اورشليم وكل بيوت العظماء احرقها بالنار»[1]. وكقوله هناك ايضاً «وفي السنة التاسعة لملكه في الشهر العاشر في عاشر الشهر جاء نبوخذ ناصر ملك بابل هو

---

(١) ص ٢٥ عدد ٨

وكل جيشه على اورشليم ونزل عليها و بنوا عليها ابراجاً» ومثال الثاني « وقتلوا بني صدقيا امام عينيه ٠ وقلعوا عيني صدقيا وقيدوه بسلسلتين من نحاس وجاؤوا به الى بابل»

ويلحق بهذا الباب ما اذا اردت حكاية ما وقع في مجلس واحد على طريق السؤال والجواب على انه لا يلزم هنا الوصل بين الجمل لاستقلالها في الاصل ومثاله ما حدث بعضهم قال : «قيل لانشروان اي الخير اوفى : قال الدين قيل فايُّ العُدد اقوى : قال العدل : قيل فايُّ الاعمال ابقى : قال الخير » ٠ فانَّ جميع هذه الجمل هي في حكم الجملة الواحدة ومثله حديث انوشروان وبزرجمهر : «قال انوشروان لبزرجمهر ايُّ الاشياء خير المرء قال عقل يعيش به : قال فان لم يكن : قال فاخوان يسترون عيبه : قال فان لم يكن : قال فمال يتحبب به الى الناس : قال فان لم يكن : قال فعيٌّ صامت : قال فان لم يكن : قال فموت جارف »

(خامس عشر) اذا كانت الجملتان بعد ليس وانما او بعد لا ولا او كانت الاولى امراً والثانية نهياً مثال الاول قول بعضهم

ليس مَنْ يقطعُ طرقاً بطلاً إنما مَن يتقي اللّهَ البطلْ

وكقول الاخر

ليس منْ مات فاستراح بميْتٍ إنما الميْتُ ميّتُ الاحياء

ومثال الثاني قول بعضهم «لا ترجُ من لا يرجو خيرك ولا تأمن من لا يامن شرَّك» وكقولك «لا تحسن بالجاهل السيادة ولا تليق به الكرامة» ومثال الثالث قوله «يا ابني احفظ شريعة ابيك ولا تنسَ شريعة امك»

(سادس عشر) اذا كانت الثانية معطوفة بحتى ولا محل لها من الاعراب كقولك « مرض زيد حتى لا يرجونه » و كقول القائل

يخافوكَ حتى ما لقتلٍ زيادةٌ وجاؤوكَ حتى ما تراد السلاسلُ

فان كان للثانية محل من الاعراب فالجملة من قبيل المركبة كقول الشاعر « سريت بهم حتى يكلَّ مطيهم » . بنصب المضارع ويحتملهما الحديث « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه او ينصرانهِ » فان نصبت المضارع (يكون) كان التقدير « كل مولود يولد على الفطرة ويستمر عليها الى زمن ان يكون ابواه هما اللذان يهوّدانه » وان رفعته كانت الجملة على الاستئناف اي « كل مولود يولد على الفطرة ويكون ابواهُ الخ » فتدبر

هذه بعض ملاحظات في شان الجملة المؤلفة لا تخلو من فائدة فانها ان لم تكن حاصرة فالواقف عليها يهتدي معها الى تمييز المؤلفة اذا احسن اعتباره للحد الذي حددناها به وزد عن ذلك فانها تنبه الخاطر الى ما بين الجمل من العلاقات المعنوية وحسبنا ما بذلك من الفائدة والله يعلم وانتم لا تعلمون

تنبيه : اعلم ان الجملة المؤلفة لاتخلو من ان يكون فيها الجملتان بسيطتين او مركبتين اومختلفتين اي احداها بسيطة والاخرى مركبة فان كانت على الصورة الاولى نحو والله يعلم وانتم لا تعلمون تحققت فيها التسمية بالمؤلفة والاَّ فهي مركبة مؤلفة وكل ذلك لا يخرج عن الاصطلاح فاعلمهُ ثم انهُ اذا اجتمع معنا جملتان مستقلتان بحسب الصناعة وبحسب المعنى ايضاً اي ليستا من قبيل الجملة المؤلفة فالجملتان مستقلتان وكل منهما على حدةٍ ينظر فيها من اي الاقسام الثلاثة هي

القسم الثاني

في ما يعرض لاجزاء الجملة من التقديم والتأخير والحذف والذكر والتعريف والتنكير والاتباع والفصل

كان كلامنا في ما مرّ عن الجملة من حيث هي واقسامها واردنا بذلك توجيه خاطر المطالع الى ما بين اجزائها من العلاقات اللفظية والمعنوية علماً منا ان ذلك لا يخلو من فائدة اقلها ترويض الذهن ، وغرضنا الان النظر فيما يعرض لاجزاء الجملة من التقديم والتأخير الى غير ذلك مما ذكر اعلاه ولسهولة البحث رأينا ان نقسم الجملة الى فعلية واسمية فنقول والله المستعان في تسديدنا الى الصواب

باب الجملة الفعلية

الجملة الفعلية ما تألفت من الفعل ومتعلقاته وهي الفاعل والمفعول به والمجرور والمصدر والزمان والمكان والسبب . واهمُّ هذه المتعلقات الفاعل فانه لا يستغنى عنه بوجهٍ من الوجوه لتعذر قيام الفعل بنفسه كما لا يخفى بخلاف غيره من بقية المتعلقات فانها كلها قد يستغنى عنها اما بحسب الصناعة اللفظية او بحسب المعنى كما اذا اردت الاخبار عن تعلق الفعل بالفاعل لا غير او طلبت حصوله او تركه من الفاعل المخاطب كقولك « ذهب زيد » . « واذهبْ » . « ولا تذهبْ » . الى غير ذلك من الامثلة

فصل في ترتيب الجملة الفعلية

ترتيب الفعل ومتعلقاته

لا بدّ في الجملة الفعلية من ذكر الفعل قبل الفاعل مطلقاً واما ما سواه من بقية المتعلقات فالاصل فيها ان تتأخر عن الفعل الاّ انها بحسب الصناعة اللفظية لا يتعين بينها وبين الفعل ترتيب مخصوص فلك ان تقدم ما شئت منها على الفعل او تؤخره على ما تراه مناسباً بشرط ان تحافظ على منع الالتباس وتتجنب التعقيد . اما الالتباس فلا يسوغ بوجه من الوجوه لمخالفتهِ الغاية من وضع اللغة واما التعقيد والمراد به كل ما اوجبَ توقفاً في فهم المعنى المراد او اوجب للذهن تعباً يمكن تجنبهُ قلَّ او كثرَ فلا توذن به البلاغة والطبع ايضاً يقضي بتجنبه ما امكن

وهذان الشرطان اعني منع الالتباس وتجنب التعقيد (او توخي سهولة الفهم) لا يمكن حصرها في ضوابط معينة انما يرْجع في ذلك الى مقامات الكلام والى نظر الكاتب وخصوصية في فطرته من جهة والى معرفة القواعد والتراكيب النحوية المتعارفة والمتَّفق عليها من جهة اخرى . وارى ان الاطالة فيما يوجبهما او ينفيهما ضرب من التكلف لا حاجة بنا اليهِ وخير من ذلك ان نذكر بعض ملاحظات في شأْن ترتيب الفعل ومتعلقاته لا تخلو من فائدةٍ وهي

(١) قدّم الزمان وما يتعلق به على الفعل في كل جملة يتبادر فيها

الذهن لداع من الدواعي الى تعيين الزمان كقولك مثلاً « يوم الاربعاء الواقع في ١٠ تموز الساعة ٨ ب. ظ. تحتفل المدرسة الكلية السورية الانجيلية احتفالها السنوي الخ » وسببه انه مع ذكر الفعل الذي يدعو مقتضى الحال الى تعيين زمانه كثيراً ما يتبادر الذهن الى تعيين ذلك الزمان فان اصاب في التعيين وهو القليل النادر اقتضى ذلك احضار الزمان في الذهن مرتين مرة قبل ذكر الزمان في الجملة ومرة بعده وهذا اسراف. وان اخطأ كان في ذلك مشقة على العقل في اصلاح خطإه والرجوع الى الصواب وهو من الاسراف ايضاً بخلاف ما اذا ذكر الزمان اولاً فانه لا يكون من العقل على الغالب الا انه يتهيأ لانتظار الفعل حتى اذا ذكر ادركه من غير تكلف لاحضاره اكثر من مرة او لاصلاح ما اورثه التسرُّع

(٢) قدّم المستفهم عنه مطلقاً كقولك « ماذا فعلت » و « متى اتيت » وهو معلوم

(٣) قدّم ما اردت تعيينه او قصرهُ او تخصيصه اذا كان مقتضى الحال يدعو الى الاختصار او يؤْذن به فان مجرَّد التقديم دليل على ما اردت عند البلغاء من غير استعانةٍ بلفظ موضوع له (كلفظة لا غير او العطف بلا الخ) ومثال ذلك قولك « ماءً شربت » تعني « شربت ماءً لا خمراً » وقول القائل

بِكُم قُرَيْشٌ كُفِينا كلَّ مُعضِلَةٍ وَأَمَّ نَهجَ الْهُدَى مَن كانَ ضِلِّيلاَ

اي بكم لا بغيركم او دون من سواكم كما لا يخفى. حكي ان بعضهم شتم صاحبه شتماً قبيحاً فاعرض المشتوم عن جوابه فقال الشاتم « اياك اعني » فاجاب المشتوم « وعنك أعرض » وكل ذلك مما تقضي به بديهة الطبع فضلاً عن حسن الذوق

(٤) أخّر ذكر العلة او سبب الفعل عن الفعل لان العقل لا يسأل عن سبب الفعل الا بعد وقوعه ولذلك كان ذكر سبب الفعل قبله مما يتاذى منه العقل لما فيه من المخالفة لمقتضى الترتيب الطبيعي الا لغرض كارادة القصر او التعيين على ما مرّ وكأن يكون السبب واقعاً معلوماً من قبل والفعل (او معناه) المسبب عنه اشبه بالنتيجة له فيتقدم حينئذٍ ذكر السبب وعليه ورد في سفر التكوين « لانك سمعت لقول امراتك واكلت من الشجرة التي اوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الارض بسببك بالتعب تأكل منها كل ايام حياتك » وكقول رئيس المحكمة مثلاً « بناءً على ثبوت الدعوى المقدمة من فلان على فلان بشهادة الشهود العدول نحكم على فلان بكذا » الخ.

ومما يقرب من هذا قول بعضهم

لما رأيت موارداً	للموت ليس لها مصادرْ
ورأيت قومي نحوها	تسعى الاصاغر والاكابرْ
لا يرجع الماضي اليَّ	ولا من الباقين غابرْ
ايقنت اني لا محا	لة حيث صار القوم صائرْ

فانه قدم على الفعل (ايقنت) ما اوجبه من الاسباب الواقعة المعلومة لترتب اليقين عليها بما يشبه ترتب النتيجة على المقدمات

وقريب من هذا الباب ما اذا كان الفعل واقعاً معلوماً عند المخاطب والعقل متوجهاً للسؤال عن سبب الفعل فانه في مثل هذه الحالة تقتضي البلاغة ذكر السبب اولاً لا سيما اذا كان للفعل تبعة يجبُ التنصل منها .

حكي عن بروتس ، احد عظماء الرومان وصديق قيصر الكبير ، انه بعد ان قتل قيصر قام فيهم خطيباً واليك مفاد بعض ما قاله ولا فرق هنا بالنسبة الى غرضنا بين ان تكون نسبة هذه العبارات اليه حقاً او ادعاء قال « لان قيصر كان صديقي فانا ابكي عليه واندبهُ ولانه كان ذا حظوةٍ موفقاً فانا اهش لهذا واستعذبه ولانه كان بطلاً شجاعاً فانا اجله واحترمه لكن لانه كان يتشوّف للملك واذلال الرومانيين قمت عليه وقتلتهُ » فانظر كيف قدم ذكر السبب في هذه الجمل الاربع اما في الثلاث الاول فلانّ السبب واقع معلوم من قبل واما في الرابعة فلانّ الفعل واقع معلوم دون السبب مع انصراف الخواطر الى معرفته وتوجه غاية المتكلم الى ان يتنصل من تبعة الفعل بذكر السبب الذي يقوم به عذرهُ لدى السامعين

(٥) قدّم ما اردت على الفعل محافظة على الفاصلة في الكلام المسجوع ومحافظة على الوزن او القافية في الكلام المنظوم (على شرط عدم الالتباس وعدم التعقيد) كالآية « خذوه فغُلُّوهُ ثمَّ الجحيمَ صلُّوهُ ثمَّ في سلسلةٍ ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » وكقوله

ما بَذَلَتْ ما بهِ يجودُ يدٌ ... ولا تهدّى لما يقولُ فمُ

وكقوله ايضاً ... وما كل بمعذور ببخلٍ ... ولا كلٌّ على بخلٍ يلام

وكقوله ايضاً ... وجدتموهم نياماً في دمائكم ... كأنَّ قتلاكم اياهم فجعوا

وكقول الآخر ... عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه ... فكلٌّ قرين بالمقارن يقتدي

وهذا كثير شائع

(٦) توخّ المطابقة بين الجمل المتعاطفة فقدم في المعطوف ما هو

مقدم في المعطوف عليه واخر هنا ما هو موءخر هناك كقولك «انه كان لا يوءمن بيوم الحشر العظيم ولا يحض على طعام البائس المسكين» فاذا قلت مثلاً «انه كان بيوم الحشر العظيم لا يوءمن» فقل «وعلى طعام البائس المسكين لا يحض» وقد تكون المطابقة بين طرفي كلام واحد كقول الخوارزمي «ولكن الكبير من الكبير يصغرُ كما ان الصغير من الصغير يكبر» فاذا قلت «ولكنَّ الكبيرَ يصغر من الكبير» فقل «كما ان الصغير يكبر من الصغير» . واعلم ان متعلقات معنى الفعل كالصفة والمصدر يجري عليها مع الصفة والمصدر ما يجري على متعلقات الفعل معه مما مرَّ بك واللبيب اذا احسن اعتبارهُ فيما ذكرناهُ كفاهُ ذلك عن مزيد التطويل وكثرة الامثلة

ترتيب متعلقات الفعل فيما بينها

ليس بين متعلقات الفعل ترتيب مخصوص يقتضي متابعته فلك ان تقدم ما شئت او توءخر ما شئت المفعول به على الفاعل نحو «اذا زان جسمك عقلك فانت الرابح» وبالعكس نحو «اذا زان عقلك جسمك» الخ . والمجرور على الفاعل او المفعول به وبالعكس نحو :

اني وان قصرت عن همتي جدتي	وكان مالي لا يقوى على خلقي
لتارك كل امر كان يلزمني	عاراً ويشرعني في المنهل الرنق

وكقول الآخر

يعاتبني في الدين قومي وإنما	ديوني في اشياء تكسبهم حمدا

والظرف على احد هذه وبالعكس على ما تراه مناسباً نحو

وكلُّ شديدةٍ نزلت بقوم سيأتي بعد شدَّتها رخاءُ

وكقول الآخر

ومتى نخف يوماً فساد عشيرة نصلحْ وان نرَ صالحاً لانفسد

الاَّ انَّ المناسبة ينظر معها الى الاغراض الآتية وهي

(١) مراعاة المطابقة او المقابلة بين الجمل المتعاطفة او بين طرَفي كلام واحدٍ وهو كثير في كتابات المترسلين نحو « واستقرَّت امور سجستان على علي خلف بن احمد فطارت عليها ايامهُ وطارت فيها اوامرُهُ واحكامهُ وانبسطت بالعزّ يدُهُ وباعهُ وتموَّجت بذخائر الاموال رباعهُ وقلاعهُ » وكقولك « عاشروا في صغركم من تحترمون وفي كهولتكم من تحبون » ونحو « لو خاف ابن آدم ربهُ في الباطن كما يخاف خلقهُ في الظاهر لسعد في الدارين جميعاً » وكقولهم « اذا جلست صغيراً حيث تحب جلست كبيراً حيث لا تحب » فاذا قلت مثلاً « فطالت ايامه عليها » فقل « وطارت اوامره واحكامه فيها » وكذلك اذا قلت « لو خاف ابن آدم في الباطن ربه » فقل « كما يخاف في الظاهر خلقهُ » وهكذا

(٢) المحافظة على الفاصلة او على القافية او على الوزن والقافية وهو كثير شائع

(٣) المحافظة على حسن الرصف ونريد بحسن الرصف مراعاة الموافقات الموسيقية بين الالفاظ بحيث تجيء مؤتلفة منسجمة لا قلقلة بينها ولا وقفة تحسُّ عند التلفظ بها وهذا مما يدركه السامع بسمعه والمتكلم

بلفظه. واعلم انه قد يتفق حسن الرصف مع المحافظة على الفاصلة في الكلام المسجوع تارةً كالآية نحو «خذوهُ فغلوهُ ثمَّ الجحيم صلوهُ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه» ومع المطابقة او المقابلة اخرى نحو «عاشر من الناس الصالحين وتجنب منهم المداهنين» ونحو «اذا جلست صغيراً حيث تحب جلست كبيراً حيث لا تحب» وقد يكون احياناً امراً آخر دونهما نحو «على حسب نياتكم ترزقون» او زائداً عليهما نحو «الحمد لله الذي جعل لنا نبأ المتقدمين عبرةً وذكرى ودلنا بزوالهم على انه الباقي الذي سيعيدهم تارةً اخرى»[1] فان وضع لفظة (لنا) بعد (جعل) لا بعد (عبرة) مع انها من صلتها وتاخير (بزوالهم) عن الفعل (دلنا) جميع ذلك امر زائد على المحافظة على الفاصلة الاَّ انه داخل تحت حسن الرصف كما لا يخفى على المتأمل. وحسن الرصف هذا يمكن اعتباره في تقديم معمولات الفعل عليه او تأْخيرها عنه فقدم او أخر على مقتضاهُ بشرط ان لا يكون هنالك داع اخر اهم منه يدعو الى التقديم او التأْخير

فاذا راعيت هذه الاغراض فقدم ما شئت واخر ما شئت على شرط ان لا يقع التباس في الجملة ولا تعقيد. اما الالتباس فلا يسوغ بوجه من الوجوه ولذلك لا يصح في جملة «لو اشتريت لك بدرهم لحماً تأْكلينه» تأْخير المجرور الاول وتقديم الثاني عليه ولا في جملة «وجاءَ من اقصى المدينة رجل يسعى» ان تؤخر المجرور اصلاً لان التأْخير يؤدي في الحالين الى الالتباس

---

(١) مقدمة تاريخ اشور وبابل

واما التعقيد فان بلغ الى حدٍّ يقضي بالتروي واطالة الفكرة قبل فهم المعنى المراد كقول المتنبي

قَبِيلٌ أَنتَ أَنتَ وأَنتَ مِنهُمْ وجَدُّكَ بِشْرٌ المَلِكُ الهُمامُ

وما على شاكلته فممنوع ايضاً والبلغاء لا يعدونه من قبيل الكلام العربي بل هو عندهم اشبه بالفارسية والرومية منه بالعربية · وان بلغ ما هو دون ذلك فمكروهٌ عندهم لا يرتكب الا لضرورةٍ من اقامة وزن او محافظة على قافية او لرغبة احياناً في الايجاز · وان كان على اقل درجاته كقوله « كسا حلمه ذا الحلم اثواب سوُدد » فمتسامح فيه اذا صحبه غرض من الاغراض المارة والاَّ فلا · ونعود هنا فنقول ان موجب التعقيد اللفظي في الغالب انما هو مخالفة التراكيب النحوية المشهورة والعدول الى المذاهب الضعيفة او الشاذة فاعلم ذلك

ترتيب توابع متعلقات الفعل

قد عرفت ما هو المراد بمتعلقات الفعل بقي ان تعرف ما المراد من توابعها وما هو الترتيب بينها · اما توابعها فيراد بها الاستثناء والحال والتمييز والنعت والتوكيد والبدل والعطف، عطف البيان وعطف النسق · واما الترتيب الغالب بينها فان يتقدم النعت على جميع ما سواه ثم التوكيد ثم يتقدم البدل او عطف البيان على ما بقي والحال والتمييز على المعطوف وهذا على المستثنى الا انه اذا كان هنالك عدة نعوت لمتعلق واحد فقدم اهمها واذا استوت في الاهمية فقدم اخصرها او اقلها الفاظاً على ان المرجع المعول عليه بعد الشرطين الاصليين اعني منع الالتباس وتجنب التعقيد انما هو مراعاة حسن الرصف فقدم واخر وفقاً لمقتضاه

ولنضرب لك مثلاً هذه الجملة « وقال رجل موءمن من آل فرعون

يكتم ايمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله » فانها اشتملت على ثلاثة نعوت فقدم اهمها واخصرها وهو (موءمن) وأخر النعت الجملة (يكتم ايمانه) منعاً للالتباس ومراعاة لحسن الرصف معاً ولزيادة الايضاح نذكر لك صور التراكيب الممكنة فيها

(١) وقال رجل موءمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون الخ
(٢) وقال رجل موءمن يكتم ايمانه من آل فرعون
(٣) وقال رجل من آل فرعون موءمن يكتم ايمانه
(٤) وقال رجل من آل فرعون يكتم ايمانه موءمن
(٥) وقال رجل يكتم ايمانه من آل فرعون موءمن
(٦) وقال رجل يكتم ايمانه موءمن من آل فرعون

فمن هذه الصور الست الثانية والخامسة ممنوعتان لوقوع الالتباس فيهما والثالثة والرابعة والسادسة جائزات بحسب اللغة الاّ انّ البلاغة تنكرهن لتقدم غير الاهم فيهنّ على الاهم ولمخالفتهنّ حسن الرصف بخلاف الجملة الاولى فانها جامعة لجميع شروط البلاغة فتوخَّ فيما تكتب سائر الاعتبارات المعتبرة فيها ان قدرت

واما المعطوفات فيستحسن بالمقيد منها بنعت او بمتعلق آخر من تمام معناه ان يتأخر عن المطلق او ما هو اقل تقيداً منه كقول الشاعر

إِذَا نَازَعَ الْقَومَ الأَحادِيثَ لم يكُنْ عَيِيًّا ولا رَبًّا عَلَى مَنْ يُقاعِدُ

وكقولك « تدخل الآفات على ارباب القلوب والاخذين من اليقين واليقظة والحال بسهم » فانه يمكنك ان تقول « تدخل الآفات على الاخذين من اليقين واليقظة والحال بسهم وارباب القلوب » الاّ ان الترتيب الاول اوقع في النفس واقرب للفهم لا سيما اذا لم يُعَدْ حرف الجرّ مع المعطوف

كما لا يخفى على ان هذا ألاستحسان غير ملتزم به ويمكن الكاتب الخروج عنه لاعتبارات معنوية لا تخفى على حسن ذوقه كتقديم الاهم على غيره والسابق على اللاحق ولمراعاة الترتيب المقرر في الذهن اما بحسب مطابقته للواقع او منظوراً معه للترقي من الادنى الى الاعلى او من الاقل الى الاكثر او لاعتبارات لفظية كمراعاة حسن الرصف في النثر والمحافظة على الوزن والقافية في الشعر وهو مما لا يخفى . على انه اذا تعارض اعتباران احدهما معنوي والآخر لفظي فالمرجح مراعاة المعنوي منهما في اكثر الاحيان والحكم المتبع في مثل هذه الحال انما هو حسن الذوق فعليك به . واعلم ان مراعاة هذه الاعتبارات المعنوية واللفظية لا تختص بمتعلقات الفعل ولا بتوابع متعلقاته انما هي عامة فيها وفي غيرها من متعلقات الجملة الاسمية وتوابع متعلقاتها فقس على ما مرَّ بك اشباهه ونظائره فانها لا تخفى على المتدبر

مطلوب

انتقد الامثلة الآتية وبين الجائز من التراتيب غير الترتيب المذكور فيها واذكر الانسب منها وسبب الانسبية

(١) وجاء رجل الى ابراهيم بن ادهم بعشرة آلاف درهم فابى عليه ان يقبلها فالح عليه الرجل فقال له ابراهيم أتريد ان امحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا افعل ذلك ابداً

(٢) واستقرت امور سجستان على خلف بن احمد فطالت عليها ايامه وطارت فيها اوامرهُ واحكامه وانبسطت بالعزّ يدهُ وباعهُ وتموجت بذخائر الاموال رباعهُ وقلاعهُ وانقطعت عن بخارى مواد خدمته وانضاف الى ذلك

استهانته بالاوامر الصادرة اليه في حثه على رشده ودعائه الى ما يجمع صلاح يومه وغده

(٣) لما بويع الصديق رضي الله عنه بالخلافة اصبح اخذ الاثواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف ذلك وقد اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضيعهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيتٍ من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين اولى

(٤) يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه الى مقاصده · وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جاب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضارٍ لم ينزل به كدفع الصائل والسباع او لازالة ضارٍ قد نزل به كالتداوي من المرض

فصل في حذف بعض متعلقات الفعل

حذف الفاعل

اعلم ان النحاة يجيزون حذف سائر متعلقات الفعل ماعدا الفاعل فاذا لم يكن اسماً ظاهراً كان عندهم ضميراً بارزاً او مستتراً · والذي يؤخذ من تمثيل البيانيين نحو «واستوت على الجودي حتى توارت بالحجاب» انهم يحذفونه ايضاً وهو الحق لكن لا بد عند الحذف من دليل عليه وعلى المحذوف

وغرض يتعلق بالحذف شان سائر المحذوفات · ولنذكر لك الان دليل الحذف اللفظي فمن ذلك

(١) علامة التأنيث كقوله

أَمَاوِيُّ لا يُغني الثَّراءُ عنِ الفتى اذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاقَ بها الصَّدْرُ

اي النفس فان التاء تدل على ان الفاعل موءنث واختصاص الحشرجة يعين ما هو ومثله قول الاخر

زارتْ عليها لِلظَّلامِ رِواقُ ومنَ النُّجُومِ قلائِدٌ ونِطاقُ

اي الحبيبة فان تاء التأنيث وكون المقام مقام نسيب احدهما يدل على المحذوف والاخر يعين ما هو فان قلت لِمَ لا تجعل الضمير المستتر فاعلاً قلت جعله فاعلاً انما هو من اقامة دليل الشيء مقامه وهذا لا يمنع من كون الفاعل وهو ما يرجع اليه هذا الضمير على مقتضى حكمه محذوفاً كما لا يخفى

(٢) ضمير الغائب البارز المرفوع · كقوله

بانت سُعادُ فقلبي اليومَ متبولُ متيَّمٌ إِثرَها لم يُفدَ مكبولُ
وما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رحلوا إِلَّا أَغنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مكحولُ

فان فاعل رحلوا محذوف تقديره « اهلها » او « عشيرتها » دل عليه الضمير البارز وعينته قرينة الحال

(٣) بناء الفعل للمجهول وهو دلالة وضعية على حذف الفاعل والمهم في هذا الموقف ان ننظر الى اغراض الحذف ثم نردف ذلك ببيان ما بين المجهول والمطاوع من الفرق في الاعتبار والله الموفق الى الصواب

اغراض الحذف

(١) عدم العلم بالفاعل الحقيقي كما في نحو قولك « وافتتحت الاستانة سنة ١٤٥٣ » هذا اذا كنت لا تعرف اسم السلطان الفاتح و كقولك « سرق بيتُ زيد »

(٢) ارادة الاختصار . ولا يجوز لك ذلك الا اذا كان الفاعل مشهوراً نحو « خلق الانسان ضعيفاً » او متعيناً نحو « واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها » او اذا كان متوجه كلامك والمقصود منه لا يهم فيه معرفة الفاعل كقوله

إن كُوتِبُوا اولُقُوا او حُورِبوا وُجِدوا   في الخطِّ واللفظِ والهَيْجاءِ فُرْسانا

و كقولك مثلاً في عرض الكلام عن مدينة بابل « ولم يأْتِ عليها القرن الخامس الاَّ كانت قد هدمت اسوارها ودرست معالمها وعفيت قصورها وهيا كلها »

(٣) محافظة على وزنٍ او قافية او مراعاة لفاصلةٍ فضلاً عن ارادة الاختصار ولا بد هنا ايضاً من كون الفاعل مشهوراً او متعيناً على ما مرَّ بك مثال ذلك قوله

خُلِقُوا وما خُلِقُوا لِمَكْرُمَةٍ   فكأَنهم خُلِقُوا وما خُلِقُوا
رُزِقوا وما رُزِقوا سماحَ يدٍ   فكأَنهم رُزِقُوا وما رُزِقُوا

و كقول الآخر

وَما الْمالُ والأَهلُونَ إِلاَّ ودَائعُ   وَلا بُدَّ يوْماً أَنْ تُرَدَّ الوَدائعُ

و كقولهم « من طابت سريرته حمدت سيرته »

فان المحافظة على الوزن والقافية والفاصلة واضحة في الامثلة كما لا يخفى

(٤) اتباعاً للاستعمال كقولهم توفي فلان وجُنَّ وخولط في عقله ورُنح عليه واغشي عليه وَاُمتقِعَ لونه وَاُبتقِعَ وَاُنتُقِعَ وأُستفعَ وأُستهتِرَ الرجل بكذا وامثال هذه المحفوظات · وقد يحذف الفاعل لاغراضٍ اخرى نخوفك من الفاعل او عليه او محافظة على شرف المفعول به اذا كان في ذكر الفاعل ما يغضُّ من كرامتهِ مما لا تخفى على المتفطن لها · وجميع هذه الاغراض قد ذكرها النحاة في مطوّلاتهم فاحتفظ بها حيثما وجدتها

الفرق بين المجهول والمطاوع

واما الفرق بين المجهول والمطاوع كقولك مُحيَ الشيءُ وامحّى ودُرس الرسم واندرس وكُسر الزجاج وانكسر فهو ان المجهول يعتبر فيه التفات الذهن الى الفاعل المحذوف لغرض من الاغراض المارّة · واما المطاوع فيعتبر فيه حصول الاثر في المفعول (اي الفاعل اللفظي) من غير التفات الى الفاعل السببي ولزيادة الايضاح نقول لك ان الفاعل قد يكون مباشراً وقد يكون سببياً ونريد بالفاعل المباشر ما كان كزيد في قولك « ضرب زيد عمراً » وكسر الزجاج واكل وشرب ونظر وسمع الخ · ونريد بالفاعل السببي ما كان سبباً لحصول الفعل كالهواء والماء والصاعقة او غير هذه من الفواعل الطبيعية والكيماوية التي لا يظهر لفعلها اثر ظاهر محسوس الا مع تراخي المدة · والغالب في الفاعل السببي ان يقطع عنه النظر فيسند مفعوله الى المطاوع بصورة الفعل والفاعل كقولك امحى الرسم واندرس وتعفى وهلمَّ جرًّا · واذ علمت هذا قلنا

ان المجهول ابداً يلتفت معه الذهن الى الفاعل المباشر فيلحظ وجوده انما يحذف لغرض من الاغراض التي مرّت بك واما المطاوع فينظر معه الى حصول الاثر في المفعول مع صرف النظر عن الفاعل السببي . وعليه فاذا قلنا مثلاً « اما البابليون فمحيت اثارهم ودرست معالمهم » كان الفاعل المباشر ملحوظاً عند العقل وانما حذف لغرض كارادة الاختصار او عدم معرفة الفاعل على التعيين فاذا قلنا « اما البابليون فامحت اثارهم واندرست معالمهم » كان النظر مصروفاً الى حصول الاثر من الامحاء والاندراس فقط واذا استشرف العقل الى معرفة الفاعل قدّره من قبيل السببي بحسب دلالة القرائن عليه . وانت اذا تتبعت افعال اللغة وجدت ان الذي يسند منها الى الفاعل المباشر فقط كالضرب والقتل والاكل والشرب والاخذ والاعطاء والنظر والسمع والشم والذوق واللمس والكتابة والرمي والفهم والتأمل واشباهها لا مطاوع لها بخلاف غيرها كالقطع والمد والكسر والمحو والدروس فانّ مطاوعاتها مشهورة متعارفة . وبعبارة اخرى نقول انّ الفعل الذي لا يسند الاّ الى الفاعل المباشر مع عدم امكان اعتبار المباشر سبباً لحصول الفعل لا ترى له مطاوعاً اصلاً في المنقول الينا من الافعال واذا تكلفت له مطاوعاً رأيت الذوق ينبو عن استعماله بخلاف ما يسند الى المباشر تارة ويسند الى السببي او يمكن اسناده اليه اخرى فانك اما ان ترى له مطاوعاً في المنقول الينا عن اهل اللغة او ترى ان الذوق لا ينبو عن استعمال المطاوع له اذا دعت الحاجة الى استعماله على ان الفعل الذي يسند الى المباشرة تارة والى السببي اخرى انما ترى له مطاوعاً باعتبار اسناده الى السببي ويتعاصى عليك المطاوع باعتبار اسناده الى المباشر مثاله « ضرب زيدٌ

عمراً» فانه يتعاصى عليك المطاوع لهذا الفعل بهذا الاعتبار (اعني اسناده الى الفاعل المباشر) بخلاف ما اذا قلت «ضربتْ الريح الستر والامواج السفينة» فان مطاوعه بهذا الاعتبار مشهور متعارف لانك تقول اضطرب الستر واضطربت السفينة. واليك مثالاً آخر «داس الزرع يدوسه ودرسه يدرسه» فانه لا مطاوع لهذين الفعلين بهذين الاعتبارين كما لا يخفى ثم لما كان الفعل (داس) لا يسند الى السببي اصلاً لم يكن له مطاوع اصلاً ولما كان (درَس) يسند اليه كقولك «درستْ الريح الرسم» كان له بهذا الاعتبار مطاوع وهو منقول متعارف فانه لا اشهر من القول باندراس الرسوم كما نعلمه بل قد يعتبر في فاعل درس المباشر معنى السببية ايضاً فلا يأبى الذوق حينئذٍ استعمال مطاوعه من هذه الحيثية كاندراس الزرع

وخلاصة القول ان المجهول ينبغي ان يُلتَفتَ معه الى الفاعل المباشر باعتبار انه مقصود للمتكلم وانما عدِلَ عن ذكره لغرضٍ واما المطاوع فلا يلتفت معه الاّ الى حصول الاثر فقط وان كان قد يمكن فهم الفاعل السببي منه وتعيين نوعه احياناً لدلالة قرائن الاحوال عليه. فهذا هو الفرق بين المجهول والمطاوع فاعلمه. واعلم انا قد اطلنا الكلام في هذا الصدد لما فيه من تنبيه الخاطر وحمل الذهن على التأمل والاعتبار في مدلولات الافعال والفرق بينها وهو من غايات علم المعاني على ما نظن والله اعلم

تنبيه : اعلم ان الفاعل السببي اذا تعورف استعماله مسنداً اليه فعل بخصوصه كدرَست الريح الرسم وعفته اصبح كالفاعل المباشر في ان الذهن يلتفت اليه عند بناء فعله للمجهول ويقدّرهُ على مثل ما يقدر الفاعل المباشر. وعندي ايضاً ان كل فعل (لمفعوله) قابلية التأثر

به وفقاً لطبيعته وخصوصية في فطرته او تركيبه يجوز فيه استعمال مطاوعه قياساً سواء نقل الينا المطاوع في كتب اللغة ام لم ينقل وسواء كان الفعل مستعملاً في الحقيقة ام على سبيل المجاز كمدّ الحديد ومطله وطرقه وطرّقه ورأّقه وكرّقيت زيداً ورفعته ورعته وخوّفته وكففت الشيء وحططته ودققته ومحوته واخفيته ونضضته ورضضته وفصلته وفصّلته وفصيته وقدت الدابة وجررتها وهلمّ جرّاً

حذف المفعول به

اذا أُسند الفعل المتعدّي الى الفاعل فان كان الغرض اثباته لفاعله او نفيهُ عنه مطلقاً (اي من غير اعتبار عموم في الفعل بان يراد جميع افراده او خصوص بأن يراد بعضها . ومن غير اعتبار تعلقهُ بمن وقع عليه فضلاً عن عمومه او خصوصه) نُزّل الفعل المتعدي حينئذٍ منزلة اللازم ولم يقدّر له مفعول لان المقدّر بواسطة دلالة القرينة كالمذكور نحو قوله « والله يعلم وانتم لا تعلمون » اي توجد له حقيقة العلم ولا توجد لكم . وكقولك « جارُك نظيرك فان لهُ اذناً يسمع بها كما تسمع وعيناً يبصر بها كما تبصر ويداً يلمس بها كما تلمس الخ » وقد ينزّل المتعدّي مطلقاً منزلة اللازم ثم يجعل كناية عن الفعل متعلقاً بمفعول مخصوص كقول البحتري

شَجْوُ حُسّادِهِ وَغَيظُ عِداهُ   أَن يرى مُبْصِرٌ ويَسمعَ واعٍ

اي ان يكون ذا رؤية وذا سمع وكنى بذلك عن انه اذا وجد البصر لمبصر والسمع لسامع ابصر محاسن هذا الممدوح وآثاره وسمع بذكر اخباره ومناقبه ادعاء بالملازمة بين مطلق الرُّؤية وروُية آثاره ومحاسنه وكذا بين

مطلق السماع وسماع اخباره دلالة على ان آثاره واخباره بلغت من الكثرة والاشتهار الى حيث يمتنع خفاؤها فيبصرها كل راءٍ ويسمعها كل واعٍ

واما اذا اسند الى الفاعل باعتبار تعلقه بالمفعول فلا بدَّ حينئذٍ من ذكر المفعول فاذا حذف لفظاً كان حكمه حكم المذكور لانه مقدر معنىً على ان حذفه لا يكون الاَّ لغرض · ومع وجود قرينة تدل على المحذوف ايضاً فاذا وجدت القرينة ولم يوجد الغرض لحذفه او وجد الغرض ولم توجد القرينة ففي كلتا الحالتين لا يصح الحذف · واما اغراض الحذف فنذكر لك منها ما هو اكثر شيوعاً واعم وقوعاً فمنها

(١) الايضاح بعد الابهام كما في فعل المشيئة والارادة ونحوهما اذا وقع شرطاً نحو « من شاء فليؤمن ومن شاء كفر » اي من شاء الايمان ومن شاء الكفر فانك لما قلت من شاء ابهمت المفعول الذي يتعلق به فعل المشيئة فتهيأت النفس لطلبه ما هو فلما ذكرت الجواب اوضحت ما كنت ابهمته قبلاً وادركته النفس بعد الطلب فسرها ذلك وفيه فضلاً عن ذلك ما فيه من الاختصار

واعلم ان مفعول فعل المشيئة هذا يقدَّر بحسب دلالة الجواب عليه مطلقاً مع المطلق ومقيداً مع المقيد · وبعبارة اخرى انك اذا اردتهُ مطلقاً تركت الجواب من غير تقييد كقولك « لو شئتُ لقلت ولو اردت لذهبت » اي لو شئت ان اقول لقلت ولو اردت ان اذهب لذهبت واذا اردته مقيداً قيدت الجواب وفقاً لما تريدهُ كقولك « لو شاء الله لهدى زيداً الى الايمان » فان التقدير لو شاء الله ان يهدي زيداً الى الايمان لهداهُ اليه · واذا علمت هذا قلنا

لا حاجة لما استثناه البيانيون في موقف الايضاح بعد الابهام من ان مفعول فعل المشيئة يجب ذكرهُ معه اذا كان تعلق الفعل بالمفعول غريباً كقول الخريمي يرثي ابنه

ولو شِئتُ ان ابكي دماً لبكيتُهُ … عليهِ ولكن ساحةُ الصبرِ اوسَعُ
وأعددتُهُ ذُخراً لكلِّ مُلِمَّةٍ … وسهمُ المَنايا بالذخائرِ مولَعُ

فان تعلق فعل المشيئة ببكاء الدم فعل غريب فلا بدَّ من ذكر المفعول ليتقرر في نفس السامع ويأنس به واما قوله

فلو شِئتُ ان ابكي بكيتُ تفكُّرا … ولم يُبقِ مني الشوقُ غيرَ تفكُّري

فليس منه اي مما ترك فيه حذف مفعول المشيئة بناءً على غرابة تعلقها به (انتهى عن المطول شرح التلخيص للعلامة التفتازاني طبع الاستانة وجه ١٩٣ و ١٩٤) لان البيت الاول ليس من قبيل الايضاح بعد الابهام فان المقام مقام تفجع لا مجال فيه للابهام ولا تؤذن به الحاسيات انما هو من قبيل ايقاع الفعل صراحة على نفس مفعوله كما لا يخفى على المتأمِّل ولو انه من قبيل الايضاح بعد الابهام فما المانع من ان يقول « ولو شئت لبكيت دماً عليه ولكن ساحة الصبر اوسع » أليس انه كان يقدَّر المفعول « ولو شئت ان ابكي دماً الخ » وفقاً لدلالة الجواب وكذلك البيت الثاني فانه والبيت الاول من بابٍ واحدٍ في انهما ليسا للايضاح بعد الابهام بل لايقاع الفعل على نفس مفعولهِ صراحة كما مرَّ. والفرق بينهما ان المراد بالبيت الاول «ولو شئت ان ابكي دماً لبكيتهُ عليه» ارادة تقييد البكاء بمفعوله اعني لفظة (دماً) بخلاف البيت الثاني فان الشاعر لم يرد ان يقول « ولو شئت ان ابكي تفكراً لبكيته » بجعل (تفكراً) قيداً

لأ بكي بل قصد الى ان يقول « ولو شئت ان ابكي ما بكيت الا التفكر لعدم بقاء غيره من الدمع او الدم » وهذا مما يدلُّ عليه صدر البيت فانه قال فيه « ولم يبق مني الشوق غير تفكري » ففهم منه نفاد دمعه ودمه ثم ابرز التفكر بصورة المحسوس وادّعى انه مما يبكى كالدمع او الدم وانه لو اراد البكاء ما بكى شيئًا غيره لنفاد مادة الدمع والدم وبقاء التفكر

والحق انه لا يلزم من وقوع فعل المشيئة شرطًا ان يقصد معه دائمًا الايضاح بعد الابهام حتى يلزم حذف مفعوله فيقتضي الحال الى تكلف الاستثناء الذي استثناه العلامة التفتازاني في بيت الخريمي وفاقًا لما تكلفه صاحب التلخيص بل قد يقصد ذلك احيانًا نحو « فلو شاء لهدا كم اجمعين » وقد لا يقصد على ما هو ببيت الخريمي وبيت ابو الحسن علي بن احمد الجوهري المتقدم ذكرهما والله اعلم

(٢) ارادة الاختصار نحو « والله يمحو ما يشاء ويثبت » ونحو « ويغفر لمن يشاء » وكقولك « رعت الماشية » اي يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ويغفر الذنوب ورعت عشبًا

(٣) التعميم مع الاختصار نحو « انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به» اي ولا اشرك به احداً او شيئًا من المعبودات على انواعها وقولهم « فلانٌ لا يبدي ولا يعيد »

(٤) المحافظة على وزن او قافية كقوله

بَنَاهَا فَأَعْلَى والقَنَا يَقْرَعُ القَنَا ومَوجُ المَنَايا حولَهَا مُتلَاطِمُ

وكقول الآخر

أَخَالِيَ أَمَّا كُلُّ شَيْءٍ سَأَلْتُهُ فَيُعْطِي وَامَّا كُلُّ ذَنْبٍ فَيَغْفِرُ

وكقوله

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْنِي شُوَيْعِرٌ ضَعِيفٌ يُقَاوِينِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ

وكقول الآخر

واقضي على نفسي اذا الامرُ نابني وفي الناس منْ يُقضى عليه ولا يقضي

ونحو « فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى »

(٥) الاختصار مع تخييل صورة وقوع الفعل كقوله

وَكَمْ ذُدْتَ عني منْ تَحَامُلِ حادِثٍ وَسَوْرَةِ أَيَّامٍ حَزَزْنَ إِلى الْعَظْمِ

فان السامع اذا سمع حززْنَ الى العظم تخيل كأَن هنالك سكيناً او ما شاكلها تمضي في اللحم الى العظم وقد عدّه بعضهم من قبيل دفع ابتدار الذهن الى غير المراد بناءً على انه لو قال حززن اللحم توهم اولاً ان المقصود الاخبار بحزّ اللحم من غير نظر الى انتهائه الى العظم

(٦) طلباً لابقاء الذهن متذبذباً الى أَن يأْتي على آخر الجملة كقوله

قدْ طلبنا فلمْ نجدْ لكَ في السوْ (م) دَدِ والمجدِ والمكارمِ مثلا

فانه لو قال ولقد طلبنا لك مثلاً الخ لأَمكن احتمال ان يقف الذهن عند ذكر المفعول به ويتلاهى او يغفل عما بعده وذكر الامام جلال الدين السيوطي ان الغرض من حذفه هنا ارادة ذكره ثانياً على وجه يتضمن ايقاع الفعل على صريح لفظه اظهاراً لكمال العناية بوقوعه عليه والله اعلم

(٧) لاستهجان ذكره كقول عائشة « والله ما رأَى مني ولا رأَيت منه » اي العورة · وقد يحذف لاغراض اخرى كارادة اخفائه او التمكن من

انكاره ان مست الحاجة او ادعاء تعينه وقد تركنا التمثيل لها لانها اغراض اكثر ما تاتي في المخاطبات الشفاهية ويتنبه لها بكثرة المزاولة وهي في اكثر مواقعها لا تخفى على الفطن السريع الملاحظة وان خفيت على غيره واعلم ان الحذف لا يختص بالمفعول به بل يتناول غيره من متعلقات الفعل كالمجرور وخلافه فانها تحذف اذا وجد للحذف غرض من الاغراض المارّة مع قيام قرينة تدل على المحذوف فلا يذهب عنك

فصل في تاثير النفي في الجملة الفعلية

وقبل الشروع في موضوعنا هذا لا نرى بدأً من التنبيه الى الامور الاتية وهي :

(اولاً ان النفي لا يتوجه الاّ الى الاسناد والاسناد يقتضي الحدث او الفعل لفظاً او معنى فاذا وجد الفعل لفظاً في الجملة فهو اولى بدخول حرف النفي عليه فاذا دخل على غيره من متعلقاته فلا بدّ لذلك من غرض وهذا الغرض ان لم يكن نفي الفعل عن المتقدم واثباته لغيره من جنسه كان الاهتمام به وارادة ان النفي متوجه اليه من حيث انه قيد لمضمون الجملة مع قطع النظر عن ارادة اثبات الحكم لغيره من جنسه . ولنضرب لك مثالاً تستأنس به للمقصود نحو « ما في بيت خالدٍ رأيت زيداً اليوم » فان الغرض هنا ان لم يكن نفي رؤية زيد اليوم في بيت خالد واثبات انها كانت في بيت عمرو مثلاً كان لنفي الرؤية اليوم انها كانت في بيت خالد مع قطع النظر عن اثباتها في بيت آخر غير بيت خالدٍ وهذا ما نريد بقولنا لغيره من جنسه

(ثانياً) القيد متأخرٌ عن المقيد به مطلقاً فاذا اجتمع في الجملة متعلقان من متعلقات الفعل رتبتهما واحدة كأن يكونان زمانين او مكانين او سببين او غير ذلك فلا بد من ان تريد تقييد احدهما بالآخر والاولى ان يكون المتأخر منهما قيداً للمتقدم وبعبارة اخرى فالاولى ان تؤخر ما هو في اعتبارك قيد لصاحبه . وهذا يجب مراعاته في النفي اكثر مما في

الايجاب ولا يجوز لك ترك هذه الدلالة الخاصة الا مع قيام قرينة اوضح من الشمس على خلافها

(ثالثاً) الفعل يدل وضعاً على الزمان فاذا عدت فقيدته بزمان مخصوص فلا بد من ان يكون مقصودك تقييد مضمون تلك الجملة به والا كان ذكره عبثاً . مثاله « ما جاء زيد الى بيت اخيه » فان الزمان المدلول عليه بالفعل جاء يستغرق الماضي بأسره من غير ترجيح لاحد اجزائه على الاخر ولذلك اذا قلت « ما جاء زيد الى بيت اخيه البارحة » كان مرادك تقييد عدم مجيئه الى بيت اخيه بالبارحة لا بغيرها من الازمنة اي ان النفي متوجه الى مضمون الجملة باعتبار هذا القيد فقط وهو ظاهر . وهكذا اذا قلت « لا ترى زيداً غداً » كان المراد تقييد عدم رؤيتك زيداً بالغد او توجه النفي الى قيد الزمان دون المفعول به

واذا علمت ما قدمناه من هذه التنبيهات الثلاثة فلنتقدم الان الى ما نريد الكلام فيه من تأثير النفي في الجملة الفعلية وبالله التوفيق

يراد بالجملة البسيطة المطلقة الموجبة « كقام زيد » اثبات المسند للمسند اليه فاذا تقدم النفي على هذه الجملة كان المراد نفي المسند عن المسند اليه كقولنا « ما قام زيد » على انك اذا قيدت هذه الجملة بقيد من القيود كان النفي موجهاً الى القيد الزائد فقط لا الى الاسناد ونعني بذلك انه لا يتحقق نفي الاسناد الاَّ مع تحقق ذلك القيد . مثاله جملة « رأيت زيداً » فانك اذا ادخلت النفي عليها فقلت « ما رأيت زيداً » كان المراد نفي رؤية زيد لا نفي الرؤية مطلقاً لتوجه النفي اليها باعتبار القيد الزائد . وكذلك اذا قلت « ما رأيت زيداً صادقاً » كان المقصود نفي رؤية زيد من حيث تلبسه بالصدق لا نفي مطلق رؤيته فاذا قلت « ما رأيت اليوم زيداً صادقاً » توجه النفي الى قيد الزمان بمعنى انك ما رأيته صادقاً اليوم فلا يعارض قولك هذا قولك « رأيت زيداً صادقاً البارحة » ولا ينافيه . ثم اذا قلت « ما رأيت زيداً صادقاً فيما قالهُ عن عمرو » توجه النفي

الى المجرور (عن عمرو ٍ) فلا ينافي قولك هذا قولك « رأيت زيداً صادقاً فيما قاله عن بكرٍ او خالدٍ او عبدالله » ولا يعارض صدق النفي فيه ولا كذبه . فاذا قلت « ما رأيت زيداً صادقاً فيما قاله الان عن عمرو ٍ » توجه النفي الى الزمان بمعنى انك نفيت رؤيتك زيداً صادقاً فيما قالهُ عن عمرو ٍ (الان) لا في غيره من الازمنة . وهلم جرّاً

ولنمثل لك على صورةٍ اخرى فنقول . اذا قلت « ما جاء زيدٌ » توجه النفي الى الاسناد اي ان المجيء وهو المسند منفي عن زيد وهو المسند اليه . فاذا قلت « ما جاء زيدٌ اليوم » توجه النفي الى الزمان . ثم اذا قلت « ما جاء زيدٌ راكباً » توجه النفي الى الحال فاذا قلت « ما جاء زيدٌ راكباً اليوم » او « ما جاء اليوم زيدٌ راكباً » توجه النفي الى الزمان وكذلك اذا قلت « ما جاء زيدٌ راكباً فرساً » فالنفي موجه الى (فرساً) لا الى مجيئه ولا الى مجيئه راكباً فاذا قلت « ما جاء زيدٌ راكباً فرساً حمراء » توجه النفي الى الصفة (حمراء) فاذا زدت على الجملة قيد الزمان توجه النفي اليه على الاعتبار الذي مرّ بك . وهكذا يتمشى الحكم مع القيد بالسبب والمكان والعطف الاَّ ان القيد بالزمان مهما ذكر في الجملة المنفية فالأَولى ان يتوجه اليه النفي دون ما سواه من بقية القيود الا اذا قامت قرينةٌ على خلافه . ومن القرائن اللفظية تقدم القيد على الفعل (راجع التنبيه الاول) واما القرائن المعنوية والتي يقتضيها الحال فلا ضابط لها كما تعلم

ونزيد ايضاً انه اذا تقيد الفعل بجميع قيوده ما عدا الزمان توجه النفي الى السبب فاذا لم يذكر السبب فالى المكان فاذا لم يذكر المكان فالى المفعول به

فالى المعطوف ما لم تدلُّ قرينة على خلاف ذلك فينصرف النفي الى ما تقتضيه
تلك القرينة . وسببه على ما ارى ان الزمان المدلول عليه بنوع الفعل يتسع
لوقوع الفعل المقيد بالمكان والسبب اكثر من مرة وهذا اطلاق فاذا ذكر قيد
الزمان مع قيد المكان والسبب قيد الفعل معهما لمرّة بعينها كما لا يخفى على من
تامل فكان اذن قيداً زائداً على بقية القيود مقيداً لها فتوجه اليه النفي دون
غيره ولزيادة الايضاح نمثل بقولنا « ذهب زيدٌ الى دمشق لزيارة اخيه البارحة»
فانه لا يخفى ان الزمان المدلول عليه بلفظ الفعل يتسع لتكرار هذا الذهاب الى
دمشق لزيارة اخيه اكثر من مرة فلا يتعين ايُّ المرات يراد بهذه الجملة الآ
اذا تقيدت بلفظ البارحة كما ترى . فاذن قيد الزمان قيدٌ للفعل مخصص له
باعتبار اضافته الى مكانه وسببه معاً والنفي المتقدم على الفعل يتوجه الى القيد
المخصص كما مرَّ فاذن يتجه الى الزمان عند الاطلاق . ثم اذا قلنا « ذهب زيد
الى الشام لزيارة اخيه » فمن الواضح ان السبب قيد للفعل باعتبار اضافته الى
المكان مخصص لها فيتعين توجه النفي اليه ومثله ايضاً في الوضوح اذا قلت
« ضرب زيدٌ عمراً في ساحة البلد » فان المكان قيدٌ مخصص يتوجه اليه النفي
دون المفعول و كذلك المفعول قيد يتوجه اليه النفي دون الفاعل وهكذا

بقي لي ان اشير الى ما اذا اجتمع قيدان في الجملة من رتبة واحدة كقولك
« ذهب زيدٌ من بيروت الى الشام » فان القيدين مكانيان يصح توجه النفي
الى كل منهما ولا بد للتعيين من قرينة فاذا فقدت القرينة الخارجية فلا بد
من نصب قرينة التقديم والتأخير فاخر ما اردت ان يكون قيداً لصاحبه فيعلم
ان النفي موجه اليه (راجع التنبيه الثاني) وقس على هذا ما يشا كله كقولك

« رأيت زيداً راكباً متوجهاً الى جهة بيته » فان راكباً قيدٌ ومتهوجهاً الى جهة بيته قيد اخر وهما من رتبةٍ واحدة فان فقدت القرينة الخارجية فانصب تاخير احدهما قرينة لفظية دلالة على ان النفي متوجه اليه دون صاحبه والله اعلم

الجملة الشرطية

كلام في الجملة الشرطية عموماً

يراد بالجملة الشرطية التعميم مطلقاً فضلاً عن الربط بين الفعل والجواب فاذا قيل « من يذهب اذهب معه » مثلاً كان المراد ان ذهب زيد اوعمروٌ او بكرٌ او حامد الخ اذهب معه واذا قلت « متى تذهبْ اذهبْ » كان المراد ان تذهب اليوم او غداً صباحاً او مساءً اذهبْ وهكذا الحال مع ادوات المكان فانك اذا قلت « اينما تذهبْ اذهب » كان المراد ان تذهب الى الشام او الحجاز او العراق او الى اي مكانٍ اخر اذهب

بقي من ادوات الشرط ان واذا ولو ولولا الحرفيات . فاما (لولا) فلا خفاء في معناها واستعمالها لمن وقف على ما نصهُ النحاة فيها واما (لو) ففي معانيها بعض الاشكال والتعدد واحسن ما جاء فيها على ما اعلم ما ذكره العلامة ابن هشام في مغني اللبيب واليك اهم ما ذكره بلفظه :

بحث في (لو) واقسامها

(لو) على خمسة اوجه (احدها) لو المستعملة في نحو لو جاءني لأكرمته وهذه تفيد ثلاثة امور احدها الشرطية اعني عقد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها والثاني تقييد الشرطية بالزمن الماضي وبهذا الوجه وما يذكر بعده فارقت ان (فان) تلك لعقد السببية والمسببية في المستقبل ولهذا قالوا الشرط بإن سابق على الشرط بلو وذلك لان زمن المستقبل سابق على الزمن الماضي عكس ما يتوهم المبتدئون. الا ترى انك تقول ان جئتني غداً أكرمتك فاذا انقضى الغد ولم تجيء قلت لو جئتني امس أكرمتك. الثالث الامتناع وقد اختلف النحاة في افادتها له. وكيفية افادتها اياه على ثلاثة اقوال احدها انها لا تفيده بوجه وهو قول الشلوبين زعم انها لا تدل على امتناع الشرط ولا على امتناع الجواب بل على التعليق في الماضي — وتبعه على هذا القول ابن هشام الخضراوي وهذا الذي قاله كانكار الضروريات اذ فهم الامتناع منها كالبديهي فان كل من سمع (لو فعل) فهم عدم وقوع الفعل من غير تردد لهذا يصح في كل موضع استعملت فيه ان تعقبه بحرف الاستدراك داخلاً على فعل الشرط منفياً لفظاً او معنى تقول لو جاءني أكرمتهُ ولكنه لم يجيء ومنه قوله

ولو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ　　كفاني ولم أُطلب قليلٌ من المالِ
ولكنما أسعى لمجدٍ مؤثَّلٍ　　وقد يدركُ المجد المؤثَّلَ أمثالي

وقولهُ

فلو كانَ حَمْدٌ يُخلِدُ النَّاسَ لم تَمُتْ　　وَلكنَّ حمدَ النَّاسِ ليسَ بِمُخلِدِ

ومنه قوله تعالى «ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأنَّ جهنم» اي ولكن لم اشأ ذلك لحق القول مني وقوله تعالى «ولو اراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم» اي فلم يريكوهم كذلك وقول الحماسي

لو كُنتُ من مازنٍ لم تَستبحْ إبلي　　بنُو اللَّقيطَةِ من ذُهْلِ بنِ شَيبانا

ثم قال

لكنَّ قومي وإن كانوا ذوي عددٍ　　ليسُوا منَ الشرِّ في شيءٍ وإن هانا

اذ المعنى لكنني لست من مازن بل من قوم ليسوا في شيء من الشر وان هان وان كانوا ذوي عددٍ (والثاني) انها تفيد امتناع الشرط وامتناع الجواب جميعاً وهذا هو القول الجاري على السنة المعربين ونص عليه جماعة من النحاة وهو باطل بمواضع كثيرة منها قوله تعالى « ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا . ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله » وقول عمر (رض) « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » وبيانه ان كل شيء امتنع ثبت نقيضه فاذا امتنع ما قام ثبت قام و بالعكس وعلى هذا فيلزم على هذا القول في الآية الاولى ثبوت ايمانهم مع عدم نزول الملائكة وتكليم الموتى لهم وحشر كل شيء عليهم وفي الثانية نفاد الكلمات مع عدم كون كل ما في الارض من شجرة اقلاماً تكتب الكلمات — ويلزم في الاثر ثبوت المعصية مع ثبوت الخوف وكل ذلك عكس المراد (والثالث) انها تفيد امتناع الشرط خاصة ولا دلالة لها على امتناع الجواب ولا على ثبوته ولكنه ان كان مساوياً للشرط في العموم كما في قولك « لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً » لزم انتفاؤه لانه يلزم من انتفاء السبب المساوي انتفاء مسببه وان كان اعمَّ كما في قولك « لو كانت الشمس طالعة كان الضوء موجوداً » فلا يلزم انتفاؤه وانما يلزم انتفاء القدر المساوي منه للشرط وهذا قول المحققين و يتلخص على هذا ان يقال ان (لو) تدل على ثلاثة امور عقد السببية والمسببية وكونهما في الماضي وامتناع السبب ثم تارة يعقل بين الجزئين ارتباط مناسب وتارة لا يعقل فالنوع الاول على ثلاثة اقسام ما يوجب فيه الشرع او العقل انحصار مسببية الثاني في سببية الاول نحو « ولو شئنا لرفعناه بها » ونحو « لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً » وهذا يلزم فيه من امتناع الاول امتناع الثاني قطعاً وما يوجب احدهما فيه عدم الانحصار المذكور نحو لو نام لانتقض وضوءه ونحو لو كانت الشمس طالعة كان الضوء موجوداً وهذا لا يلزم فيه من امتناع الاول امتناع الثاني كما قدمناه وما يجوز فيه العقل ذلك نحو لو جاءني اكرمته فان العقل يجوز انحصار سبب الاكرام في المجيء ويرجحه ان ذلك هو الظاهر من ترتيب الثاني على الاوّل وانه المتبادر الى الذهن واستصحاب الاصل وهذا النوع يدل فيه العقل على انتفاء المسبب المساوي لانتفاء السبب لا على الانتفاء مطلقاً ويدل الاستعمال والعرف على الانتفاء المطلق (والنوع الثالث) قسمان احدهما ما يراد فيه تقرير الجواب وجد الشرط اوفقد

ولكنه مع فقده اولى وذلك كالاثر عن عمر فانه يدل على تقرير عدم العصيان على كل حال وعلى ان انتفاء المعصية مع ثبوت الخوف اولى وانما لم تدل على انتفاء الجواب لامرين احدهما ان دلالتها على ذلك انما هو من باب مفهوم المخالفة وفي هذا الاثر دل مفهوم الموافقة على عدم المعصية لانه اذا انتفت المعصية عند عدم الخوف فعند الخوف اولى واذا تعارض هذان المفهومان قدم مفهوم الموافقة الثاني انه لما فقدت المناسبة أُنتَفَتْ العلية فلم يجعل عدم الخوف علة عدم المعصية فعلمنا ان عدم المعصية معلل بامر آخر وهو الحياء والمهابة والاجلال والاعظام وذلك مستمر مع الخوف فيكون عدم المعصية عند عدم الخوف مستنداً الى ذلك السبب وحده وعند الخوف مستنداً اليه فقط او اليه والى الخوف معاً . وكذا «لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذاً لامسكتم خشية الانفاق» فان الامساك عند عدم ذلك اولى (والثاني) ان يكون الجواب مقرراً على كل حال من غير تعرُّض لأولوية نحو «فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين . بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل (ولو ردّوا لعادوا) لما نهوا عنه وانهم لكاذبون» فهذا وامثاله يعرف ثبوته بعلة مستمرة على التقديرين والمقصود في هذا القسم تحقيق ثبوت الثاني واما الامتناع في الاول فانه وان كان حاصلاً لكنه ليس المقصود

(الثاني) من اقسام (لو) أن تكون حرف الشرط في المستقبل الا انها لا تجزم كقوله

وَلو تَلتَقِي أَصْدَاؤُنا بَعـدَ مَوتِنا ومن دونِ رَمْسَيْنا منَ الأَرضِ سَبْسَبُ
لَظَلَّ صَدَى صوتي وإِن كُنتُ رِمَّةً لِصوتِ صَدَى لَيلى يَهشُّ ويطْرَبُ

وقول توبة

ولو أَنَّ لَيلى الأَخْيلِيةَ سَلَّمَتْ عليَّ ودُوْني جَنْدَلٌ وصفائحُ
لسَلَّمْتُ تسليمَ اَلْبَشاشةِ أَوْ زَقَا إِليها صدًى من جانبِ اَلْقبرِ صائحُ

وقوله

لا يُلفِكَ اَلرَّاجُوكَ إِلاَّ مُظهِراً خُلُقَ اَلْكرامِ ولو تكونُ عديما

وكون (لو) بمعني (ان) قاله كثيرٌ من النحو يين في نحو «وما انت بمؤمنٍ لنا ولو

كنا صادقين . ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبث » ونحو « اعطوا السائل ولو جاء على فرس » وقوله

قَومٌ إِذا حارَبُوا شَدُّوا مآزِرَهُمْ دونَ النِّساءِ ولو باتت بأَطهارِ

وتحرير ذلك ان يعلم ان خاصية (لو) فرض ماليس بواقع واقعاً ومن ثم انتفى شرطها في الماضي والحال لما ثبت من كون متعلقها غير واقع وخاصية (ان) تعليق امر بامر مستقبل محتمل ولا دلالة لها على حكم شرطها في الماضي والحال . فعلى هذا قوله « ولو باتت باطهار » يتعين فيه معنى (ان) لانه خبر عن امرٍ مستقبل محتمل اما استقباله فلأن جوابه محذوف دلَّ عليه (شدُّوا) وشدُّوا مستقبل لانه جواب اذا . واما احتماله فظاهر ولا يمكن جعلها امتناعية للاستقبال والاحتمال ولان المقصود تحقق ثبوت الطهر لا امتناعه . واما قوله ولو تلتقي البيت وقوله ولو ان ليلى (البيت) فيحتمل ان (لو) فيها بمعنى ان على أن المراد مجرد الاخبار بوجود ذلك عند وجود هذه الامور في المستقبل ويحتمل انها على بابها وان المقصود فرض هذه الامور واقعة والحكم عليها مع العلم بعدم وقوعها والحاصل ان الشرط متى كان مستقبلاً محتملاً وليس المقصود فرضه الان اوفيما مضى فهي بمعنى (ان) ومتى كان ماضياً اوحالاً اومستقبلاً ولكن قُصد فرضه الان اوفيما مضى فهي الامتناعية (الثالث) ان تكون حرفاً مصدرياً بمنزلة أن الا انها لاتنصب واكثر وقوع هذه بعد ودَّ ويودُّ نحو « ودُّوا لو تدهن . يودُّ احدهم لو يعمرُ » (والرابع) ان تكون للتمني نحو لو تأتيني فتحدثني قيل ومنه « فلو أنَّ لنا كرةً » اي فليت لنا كرةً — وقال بعضهم هي (لو) الشرطية أشربت معنى التمني بدليل انهم جمعوا لها بين جوابين جواب منصوبٍ بعد الفاء وجواب باللام كقوله

فلو نُبِشَ المَقابِرُ عن كُلَيبٍ لأُخْبِرَ بالذَّنائِبِ أَيُّ زِيرِ
ويومَ الشَّعْثَمَيْنِ لقرَّ عيناً وكيفَ لِقاءُ مَنْ تحتَ القُبورِ

وقال ابن مالك هي (لو) المصدرية أغنت عن فعل التمني . وذلك انه أورد قول الزمخشري وقد تجيء (لو) في معنى التمني في نحو لو تاتيني فتحدثني فقال ان اراد أنَّ الاصل وددتُ لو تاتيني فتحدثني فحذف فعل التمني لدلالة (لو) عليه فأشبهت ليت في الاشعار بمعنى التمني فكان لها جواب كجوابها فصحيح اوانها حرف وضع للتمني كليت فممنوع لاستلزامه منع الجمع بينها وبين فعل التمني كما لا يجمع بينه وبين ليت اه (الخامس) ان تكون للعرض

نحو لو تنزل عندنا فتصيب خيراً ذكره في التسهيل وذكر ابن هشام اللخمي وغيره لها معنى آخر وهو التقليل نحو « تصدقوا ولو بظلف محرق » وقوله تعالى « كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم » وفيه نظر

هذا خلاصة ما ذكره هذا العلامة في كتابه مغني اللبيب طبع بمصر بالمطبعة المجاورة للقطب الدرديري سنة ١٣٠٢ وجه ٢٠٥ — ٢١٥ . بقي ان واذا ولهما ابحاث خاصة بهما ستقف عليها بالتفصيل ان شاء الله

بحث في ان واذا

ويراد بهما تعليق حصول مضمون الجزاء بحصول مضمون الشرط في الاستقبال نحو « ان اكرمتني أكرمك » فان حصول اكرامي لك (وهو مضمون الجزاء) معلق بحصول اكرامك لي (وهو مضمون الشرط) و (ان) دالة على هذا التعليق ومثله قولك امهلني ريثما افرغ من هذا المكتوب « فاذا فرغت منه كتبت لك ما تشاء » فان كتابتي لك ما تشاء (وهو مضمون الجزاء) معلق على فراغي من المكتوب (وهو مضمون الشرط) و (اذا) دالة على التعليق

واعلم انه يجوز لك ان تقيد الشرط والجزاء بما تشاء من قيود الزمان والمكان فاذا كانا مطلقين فيقيدان بقرينة العرف والحال فاذا لم تدل قرينة على تقيدهما بزمان ولا مكان صح فيهما اعتبار عموم الزمان والمكان على الاطلاق كقولك « اذا رعيت عهد الاخوان رعوا عهدك . وان نكثت

نكثوا » فانه واضح من المثالين انه لا يقصد تقيد الشرط ولا الجزاء بزمانٍ ولا مكان بل المراد عموم الامكنة والازمنة معاً كما لا يخفى

ثم ان الجزاء لا يكون مضمونه الا مستقبلاً لانه مترتب على الشرط لا يحصل الا بعد حصوله واما الشرط فلا بد فيه من اعتبار الاستقبال ايضاً فان كان ظاهره المضيّ لفظاً ومعنى فلا بد من ان يكون مبناه على فعل مقدَّر له علاقةٌ به (اي بالشرط) يصح في هذا المقدر ارادة الاستقبال واعتباره كقولك مثلاً لمن اخبرك بما يسرُّك « ان كان خبرك صحيحاً فلك عليَّ حكمك » فان ظاهر الشرط هنا ماض لفظاً ومعنى على انه مبني على مقدَّر يصح فيه ارادة الاستقبال اي ان يثبت كون خبرك صحيحاً وعليه قول المتنبي

إن كانَ سرَّكُمُ ما قالَ حاسِدُنا   فما لجُرْحٍ إذا أرضاكُمُ ألَمُ

اي ان يثبت انه سركم الخ ومثله قول الآخر

إن كانتِ العُشّاقُ من اشواقِهِمْ   جَعَلُوا النَّسيمَ الى الحبيبِ رسُولاَ
فأنا الذي اتلُو لهم يا ليتَني   كُنتُ اتخذتُ معَ الرسولِ سبيلا

اي ان يثبت ان العشاق الخ وهو ظاهر وكذلك قولك لمن يعتدُّ عليك بصنيعة في الماضي « ان اكرمتني امساً فطالما اكرمتك من قبل » اي ان تعتدَّ عليَّ باكرامك امساً فاعتد عليك بما اكرمتك به من قبلُ وعليه ورد قول بعضهم وهو من الابيات التي يستشهد بها

أتغضبُ إن أذنا قُتيبةَ حُزَّتا   جِهاراً ولم تغضبْ لقتلِ ابنِ خازمِ

اي اتغضب ان افتخر عليك مفتخرٌ او اعتدّ عليك بحزّ اذني قتيبة

واما قول المتنبي

وإنْ طُعِنَتْ قبلكَ المُرْهفاتُ   فإنكَ من قبلِها المِقصلُ

وإن جادَ قبلَكَ قومٌ مَضَوا فإنكَ في الكرمِ الأوَّلُ

فان طبع المرهفات قبل الممدوح وجود من جادوا امر ماضٍ لفظاً ومعنى الاَّ انَّ الشرط مبني على فرض القول كما يظهر للمتأمل اي وان يقل قائل ان المرهفات طبعت قبلك فلها فضل التقدم عليك قلنا ليس الفضل بتقدم الطبع بل بالغرض المقصود من الطبع وهو المضاء وانت قد سبقتها فيه وكذلك تاويل البيت الثاني اي وان يقل هذا القائل جاد قبلك قوم مضوا فلهم الفضل عليك قلنا ليس فضلك لمجرد وقوع الجود منك حتى يصح القول بالفضل للمتقدم بل لبلوغك فيه غاية لم يبلغها احد من قبلك وكل ذلك ظاهر لمن انعم النظر

وقد يكون المقدَّر غير ما ذكرنا كقولك لمن تعلم من طبعه الجبانة « يا ابني ان كنت هيوباً تصيرُ الى الخيبة في امورك » فالتقدير المراد من الجملة انه ان يستمر بك التهيب وبعبارة اخرى كانك قلت له « يا ابني انا اعلم انه من طبعك الجبانة واولى بك تركها لانك ان تبقَ وتستمرَّ عليها تصر الى الخيبة في مستقبل امرك او عند ملابسة اشغالك » وهكذا في كل جملة ظاهر شرطها ماضٍ لفظاً ومعنى فانه يمكنك ردها او رد محصلها الى الاستقبال والتحول في اسلوب الرد لا يخفى على الفطن ولا يخفى عليهِ ايضاً تقدير المحذوف فانه يكون في كل جملة تابعاً لمناسبات القرائن والاحوال وما قدَّمناهُ مصداق لقول النحاة من ان الشرط والجزاء ينبغي فيهما ارادة الاستقبال والله اعلم

بقي علينا ان ننظر في امورٍ ثلاثةٍ وهي (اولاً) نوع التعليق المدلول عليه بان واذا (ثانياً) ما المراد بهما والفرق بينهما في الاستعمال (ثالثاً) متى تستعمل

كل منهما. وهي مباحث فيها من الصعوبة ما ليس في غيرها من مباحث المعاني كما لا يخفى على من وجه اليها نظره من المشتغلين في هذا الفن وتدريسه ولذلك لم نبدِ فيها رأياً ولا كتبنا سواداً على بياض الا بعد ان استقرينا جميع مواقع ان واذا في القرآن العزيز وعززنا ذلك بمراجعة مواقعهما في اكثر ديوان المتنبي وابي العلاء والحماسة وغير هذه من المؤلفات المعتبرة المشهود لاربابها بالفصاحة والبلاغة ودقة التعبير كالكامل للمبرّد والاحياء للامام الغزّالي والسيرة النبوية وديوان الفارض ورسائل الخوارزمي مع اطلاعنا على ما ذكره العلامة التفتازاني على شرح التلخيص والسيد الشريف على السكاكي وعلى كثيرٍ مما ذكره العلامة الزمخشري في كشافه والله المسؤول ان يلهمنا الى الصواب

نوع التعليق المدلول عليه بان واذا

لا يصعب على المتأمل بعد اذ يتوجه خاطره الى موضوع البحث ان يرى فرقاً في التعليق (اي ترتب الجزاء على الشرط) ما بين قولنا «واذا طلعت الشمس زارنا زيدٌ» وما بين قولنا «واذا طلعت الشمس وُجدَ النهار» فان الجزاء في المثال الاول وان كان مترتباً على الشرط فليس بلازم له عقلاً ولا مسلماً بملازمته انما هو مشكوكٌ بوقوعه والمتحقق فيه هو انَّ زيارة زيدٍ لا تكون الا بعد طلوع الشمس واما حصول الزيارة نفسها فمن المشكوك به الممكن وقوعه وعدمه بخلاف الجزاء في المثال الثاني فانه ملازم لوقوع الشرط لا ينفك عنه اصلاً. وكذلك يظهر لك الفرق بين قولنا «اذا اكرمت زيداً ملكته» وبين القول المتعارف «اذا اكرمت الكريم ملكته». فان الجزاء في

المثال الاول غير متحققة ملازمته للشرط بل يجوّز العقل ان يقع مع وقوع الشرط ويجوز ان لا يقع ايضاً والمراد من التعليق فيه الدلالة على ان الجزاء اذا وقع فانما يقع بعد وقوع الشرط بخلاف المثال الثاني فان الجزاء فيه مسلم بوقوعه عقلاً عند وقوع الشرط لا يشك في ذلك الاّ كما يشك في سائر المسلمات من جنسه . والمفهوم منه امران احدهما ان الجزاء مترتب وقوعه على وقوع الشرط على ما هو المفهوم من المثال الاول وثانيهما الملازمة بين الشرط والجزاء وان هذه الملازمة متحققة في المستقبل كما انها كانت كذلك في الماضي وهذا المفهوم زائد على المفهوم من التعليق في المثال الاوّل

فبناءً على وجود هذا الفرق بين التعليقين وحباً بسهولة البحث والتعبير قسمنا الشرط من حيث تعلق جزائه بشرطه الى قسمين سمينا احدهما (الشرط الملازم) والاخر (الشرط المنفكّ) فلنتقدم الان الى تعريف كل منهما مع ذكر بعض ملاحظات لا تخلو من فائدة ويسهل علينا معها تمييز الشرط الملازم حيثما وقع وبالله التوفيق

الشرط الملازم والشرط المنفكّ

علمت مما مرَّ بنا انَّ التعليق قد يراد به الملازمة ما بين الشرط والجزاء وقد يراد به مجرّد ترتيب الجزاء على الشرط (مع لمح اعتقاد المتكلم بوقوع الشرط او بلا وقوعه كما ستقف على ذلك ان شاء الله) وعلمت ايضاً اننا بناءً على هذا الاختلاف بين نوعي التعليق قسمنا الشرط الى ملازم ومنفك فلئلا يذهب عن ذهنك ما اردناه نعود فنذكر لك ما نريد بكل منهما على صورة

الحد فانه ادعى للرسوخ في الذهن واليكه · الشرط الملازم هو ما كان مضمون الجزاء فيه لا ينفك عن مضمون الشرط بمعنى انه متى ذكر الشرط وذكر الجزاء لا نجد بدّاً من الحكم بتلازمهما والتسليم بان الثاني واقع مع وقوع الاول او بعده لسبب يلحظه العقل بينهما بعد وقوفه على مضمون كليهما · والشرط المنفك هو ما يدلُّ على ترتيب الجزاء على الشرط فقط من دون ان يكون بينهما ملازمة يوجبها العقل ويحكم بثبوتها لسبب عام متعارف

واعلم ايضاً انا اذا نظرنا الى الشرط والجزاء من موقف اخر نصل الى نفس النتيجة التي مرت بنا من قبل ونحكم بوجود شرط ملازم واخر منفك · ولزيادة ترويض الطالب وتنبيه خاطره نذكر لك حدّاً اخر للشرط الملازم والمنفك بعد ايقافك على الطريق الموصل لذلك

انت تعلم انّ التعليق كالاخبار في انّ منزلة الشرط والجزاء في هذا كالمبتدا والخبر في ذاك اي انه يمكن رد كل جملة شرطية الى مبتدا وخبر يتوسط بينهما الترتب المفهوم من التعليق في الجملة الشرطية · مثاله جملة « اذا ساد العاقل نفع الناس » وجملة « اذا ساد زيدٌ نفع الناس » فانه يمكننا ان نردّ الجملة الاولى الى « سيادة العاقل يترتب عليها نفع الناس » وان نرد الثانية الى « سيادة زيد يترتب عليها نفع الناس » على انك بعد هذا الرد اذا نظرت الى الجملة الاولى ترى انّ الخبر فيها مقطوع بصحة اسناده الى المبتدا وثبوته له في كل الازمنة كما لا يخفى والعقل لا يشك بصدق الاسناد ومطابقته للحقيقة لوجود السبب المقتضي لذلك وهو كونه عاقلاً بخلاف الجملة الثانية فانّ اسناد الخبر فيها الى المبتدا بين ان يصدق وبين ان لا يصدق وليس للعقل من سبب

متعارف يحكم معه بصحة الاسناد وثبوته على ما في الجملة الاولى . بل نقول لك انه يمكنك ان تبدل لفظة (يترتب على) بلفظة (يوجب او يقتضي دائمًا) مع بقاء الاسناد على صحته وثبوته في الجملة الاولى لوجود سبب يوجبه بخلاف الجملة الثانية فانّ العقل يشك بصحة الاسناد فيها بعد التبديل لعدم السبب الذي يوجبه وعليه فلنا من هذه الوجهة تعريف اخر للشرط الملازم والمنفك والتعريف كما ترى . الشرط الملازم هو (ما امكن فيه رد الجملة الشرطية الى جملة مؤلفة من المبتدا والخبر يقطع العقل فيها بصحة الاسناد ومطابقته للحقيقة دائمًا) والشرط المنفك هو ما يمكن فيه ردُّ الجملة الشرطية الى جملة مبتدا وخبر لكن لا يقطع فيها العقل بصحة الاسناد ومطابقته للواقع دائمًا) (تنبيه . لا تنسَ الرابط بين جملة المبتدا والخبر بعد رد الجملة الشرطية اليها)

ابنّا لك فيما مرّ انقسام الشرط الى ملازم ومنفك وعرّفناك ما المراد من كل منهما والطريق الموصل الى تحديدهما . بقي علينا اتمامًا للفائدة ان نبين لك السبب الموجب للملازمة بين الجزاء والشرط بايقافك على انواعه ما هي

نوع السبب الموجب الملازمة بين الجزاء والشرط

اعلم ان هذا السبب انواع (اولاً) عقلي بديهي اي يعرف ببداهة العقل كقولك « اذا تحرك جسم فلا بد له من محرّك » و كقولك « اذا كان العالم حادثًا فلا يكون قديمًا » والملازمة هنا منظور اليها ابتداءً من الحال مع ارادة انها ثابتة في المستقبل كما كانت في الماضي

(ثانياً) طبيعي مادي. وهو اما مبنيٌّ على المشاهدة العامة كقولنا « اذا طلعت الشمس وجد النهار » و « اذا غلا الماء تبخر » او على الاختبار والتجربة عند اربابهما كقولنا « اذا بلغت حرارة الماء درجة ٢١٢ فهرنهيت على مساواة سطح البحر غلا واذا مرّ بخار الماء على قطع حديدية محماة الى درجة الانارة انحل الى عنصريه المؤلف منهما » والملازمة هنا منظور فيها ابتداءً من الماضي والحكم بصدقها في الحال والمستقبل

(ثالثاً) طبيعي ادبي . والملازمة مع هذا السبب اقل وضوحاً احياناً منها مع السببين المارّين وربما اوجبت الوقفة برهة مع كثيرين في بادي الرأي . كقول القائل « اذا اكرمت الكريم ملكته » وكقولك « اذا عمّ العدل ازداد العمران واذا عمّ الظلم تناقص » والملازمة مبنية على ما هو متحقق من طبيعة الكريم والعدل وينتقل فيها من الماضي الى الحال والمستقبل على ما في السبب الثاني

(رابعاً) شرعي ديني . والجزاء هنا اذا كان الشرط متعلقاً بالاعتقادات كان في الغالب بصورة الخبر وعليه ورد الحديث « اذا همّ العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتبت عشر حسنات واذا هم بخطية لم تكتب عليه فاذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عزّ وجلّ » ومنه قول الانجيل « فانه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم ايضاً ابوكم السماوي وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم ابوكم ايضاً زلاتكم » فاذا كان مما يتعلق بكيفية العبادات والمعاملات كان في الغالب بصورة الامر او النهي وامثلة ذلك في التنزيل كثيرةٌ منها « واذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا

وجوهكم وايديكم الى المرافق · فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم اموالهم · فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم »

(خامساً) عرفي اصطلاحي · كقولك « اذا وجد البناء امتنع ظهور علامة الاعراب » وكقولك « فان اقترن الجواب (اي جواب الشرط) بالسين او سوف وجب ربطه بالفاء »

وهنالك علامات لفظية تدلُّ على الشرط الملازم لا تخلو الاشارة اليها من فائدة اقلهُ انه بعد وقوفك عليها تحكم معها بان الشرط من قبيل الملازم من غير اطالة روية وهي

(ا) اذا كان الجزاء امراً او نهياً للتعليم كقول المثل الدارج « اذا دخلت على مدينة العوران فضع يدك على عينك » وعليه المثل المتعارف « اذا اردت ان تطاع فسلْ ما يستطاع » وكقولك « اذا نزلت بك الشدة فلا يخر عزمك واصبر » ومن هذا الباب قولك « اذا جئت لزيارة قوم فسلم اولاً على رب البيت ثم على غيره من الحاضرين » وهو شائع متعارف

(ب) اذا وقعت الجملة الشرطية معرّفاً كما اذا سئلت عن المروءة ما هي فقلت « اذا استغنى المرء اغنى اهله عن غيره » وعليه الحديث في الصفح الجميل « اذا صفحت عمن ظلمك فلا تعاتبه » وقد يجتمع المعرف والمعرّف في الجملة فيكون الشرط بمنزلة المعرف والجزاء بمنزلة المعرّف كقولهم في الناقة التي مات ولدها « فان درّت عليه فتلك الدرور وان لم تدر فتلك العلوق »

(ج) اذا وقعت الجملة الشرطية نعتاً كقولك « جاءني رجل اذا تقدم لا يرجع الى الوراء » او صلة لموصول كقولك « جاءني الذي اذا كتب لبّته

المعاني والالفاظ طوعاً لامره وهذا الذي اذا وعد وفى واذا قالَ فعل»
وعليه قوله

جانِبِ السُّلطانَ وَاحذَرْ بَطشَهُ لا تُخاصِمْ مَنْ إذَا قالَ فَعَلْ

(د) اذا وقعت جملة الشرط خبراً عن مبتدا ما لم يكن معرفة معيناً كقولك «الكريم اذا رغبته في صنيعة رغب» فاذا كان المبتدا معرفة معيناً كقولك «زيد اذا رغبته في صنيعة رغب» جاز ان تسلم الملازمة وجاز ان لا تسلم فاذا قلت «زيد كريم اذا رغبته في صنيعة رغب» وسلمت له بوصف الكرم سلمت الملازمة هنا كما تسلم في مثل «الكريم اذا رغبته في صنيعة رغب»

(ه) اذا وقعت الجملة الشرطية خبراً لكان فانه يقصد من التعليق حينئذٍ الدلالة على العادة في الماضي ولا بد في العادة من اعتبار مزاولة الفعل في الماضي وتوقع حصوله في المستقبل وهذا نوع ملازمة كما لا يخفى نحو قول بعضهم « وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي » فانمفهوم الملازمة بين نزولهم في وادٍ وقولهم نعوذ بعزيز هذا الوادي واضح كل الوضوح الاَّ انه حكاية ماضية وقريب من هذا قول القائل

وكُنتُ إذا غَمَزْتُ قَناةَ قومٍ كَسَرْتُ كُعُوبَها او تَستَقِيما

وقول الآخر

وكُنتُ إذَا قومٌ رَمَوني رَمَيتُهُمْ فهل انا في ذَا يا لَهَمْدَانَ ظالمُ

الاَّ انه ينبغي ان تعلم ان مفهوم هذا النوع من الملازمة ما كان العقل ليقول به لولا ذكر (كان) ولما كان ذكرها لازماً في هذا الموضع كانت ابداً تنبه العقل الى الملازمة كما لو تضمن الشرط سبباً يدل عليها . اما اذا

وقعت الجملة الشرطية خبراً (لان) كقول القائل

إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نَدَّعِي لِأَبٍ عَنْهُ وَلَا هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا
إِنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يوماً لِمَكْرُمَةٍ تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا

او مفعولاً ثانياً لافعال القلوب مما يدل على اليقين كقوله

إِنِّي رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ إِذَا رَغَّبْتَهُ فِي صَنِيعَةٍ رَغِبَا

فحكم الشرط هنا حكمه اذا وقع خبراً لمبتدا على ما مرَّ بك في (د) واما افعال الشك فلا تدخل على الشرط الملازم لتنافي مضمونها فلا تقول « اظن الجسم اذا تحرك فلا بد له من محرك » ولا تقول ايضاً « احسب العدل اذا عم زاد العمران واخال الشمس اذا طلعت اضاءت » وكذلك لا تدخل عليه ليت ولعل وما هو في معناهما كعسى ولا ما يدل على المقاربة ككاد الا ان هذه لا يمتنع دخولها على الشرط المنفك والله اعلم

واعلم انه قد ينتظم في سلك الشرط الملازم ما اذا فهم من الجملة الشرطية او أُريد بها الدلالة على خلقٍ او عادةٍ لبعضهم بشرط موافقة ذلك لاعتقاد المخاطب لانَّ المقصود بجملة الشرط حينئذٍ الاشارة الى حال من هي له في الماضي والى ان تلك الحالة ثابتة له في المستقبل ما لم يعارض ذلك (اي ثبوت الملازمة في المستقبل) ما يمنعه صراحةً كذكر (كان)

واوضح ما يستشهد به لما قدمناهُ ما جاء في التنزيل من وصف بعض المنافقين في زمن صاحب الرسالة قال « اذا لقوا الذين آمنوا قالوا امنّا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون » فان الآية يُفهم منها خلق القوم وعادتهم وهذا هو المراد بها ايضاً . الاّ ان المنظور اليه ابتداءً فيها انما هو الايماء

الى ما وقع من اولئك المنافقين قبل نزول الاية وفيها زيادة اخرى وهي انها تلمح الى ان هذا مستمرٌ منهم في المستقبل · وهذا الغرض من الجملة الشرطية (اي الايماء الى حادثة وقعت في الماضي بعينها وارادة انها ستتكرر في المستقبل) امرٌ كثير الوقوع على سبيل التعريض في المخاطبات والمكاتبات وعندي ان الشرط فيها اولى ان يعد من قبيل الملازم لا من قبيل المنفك لان الكلام مبنيٌ معها من اول الامر على ارادة الملازمة (لما يسوّغها في اعتقاد المخاطب) والفرق بين الملازمة هذه وبينها في قولنا « اذا عمَّ العدل ازداد العمران » واضح فان الاولى لا سبب يوجبها الا اعتقاد المخاطب وتلك سببها طبيعي ادبي كما علمت

وقبل ان اختم الكلام في هذا المبحث لا ارى بداً من التنبيه الى أن الملازمة قد تكون حقيقية كما علمت وقد تكون إدعاء لغلبة ميل الناس واقبالهم على ما يدل عليه مضمون الجزاء او لغرض من الاغراض الشعرية كالمبالغة فمثال الاول قول بعضهم

إِذَا قُلْتَ يَوْماً لِمَنْ قَدْ تَرَى أَرُونِي السَّرِيَّ أَرَوكَ الْغَنِي

فانه لغلبة ميل الناس الى الغنى واقبالهم على الغنيّ ادعى الشاعر الملازمة بين سؤالك عن السريِّ وبين جوابهم لك انه الغنيّ ومثال الثاني قول ابن الوردي

إِنْ تَبَدَّى تَنْكَسِفْ شَمْسُ الضُّحَى وَإِذَا مَا مَاسَ يُزْرِي بِالْأَسَلْ

فانه ادعى الملازمة للمبالغة في وصف الموصوف بالاشراق واللدونة فهذا ما اردنا ذكره في الشرط الملازم وبيان اسباب الملازمة وما يحوم حولها وفوق كل ذي علم عليم

ما المراد بان واذا والفرق بينهما في الاستعمال

المراد بان واذا الربط او التعليق بين الجزاء والشرط كسائر ادوات الشرط الا انهما تفترقان عن بقية الادوات في انه لا ينظر بلفظهما الى التعميم في الزمان كما في ادوات الزمان ولا الى التعميم في المكان كادوات المكان ولا الى التعميم في الموصوفات كما في الادوات التي تدل عليها . فقولك مثلاً « متى زرتني تجدني يراد به ان تزرني اليوم او غداً او بعد غدٍ صباحاً او مساءً الخ تجدني » وهذا العموم في الزمان يدل عليه بلفظ (متى) بخلاف قولك « ان تزرني تجدني » او « اذا زرتني تجدني » فان لفظ ان واذا خالٍ بنفسه عن التعميم المدلول عليه بمتى وان صح ارادته في جملتهما عند عدم القرينة على ارادة التخصيص فيهما

وهنالك فرق اخر وهو انه يمكنك الابدال من بقية الادوات غيرهما ولا بدَّ حينئذٍ من اظهار (ان) مع البدل كقولك « متى تزرني ان غداً او بعد غدٍ تجدني » وكقولك « اينما كنت ان في البلد او خارجها اكون معك » ولا يبدل من (ان واذا) انما يصح تقييد شرطهما بالزمان والمكان كما لا يخفى عليك . ثم لما كان هذان الحرفان يشتركان في الربط او التعليق فرَّق فصحاء المتكلمين في الاستعمال بينهما بالنظر الى اعتقاد المتكلم فجعلوا (ان) للدلالة على انه يشك بوقوع الشرط واذا للدلالة على انه يقطع بوقوعه . وقد اجمع جميع علماء المعاني على وجوب مراعاة هذا الفرق في استعمالهما وقالوا ان الفصيح لا يقول مثلاً « اذا جاء زيدٌ اكرمته » الا وهو يقطع ان مجيئه سيقع (ولا يقطع بان الشرط سيقع الاَّ لسبب يقتضيه عنده) فتكون (اذا) في كلامه قرينة عند السامع يفهم منها اعتقاده بالقطع وكذلك لا يقول « ان جاء زيدٌ اكرمته »

الاّ وهو يشك بوقوع المجيء فتكون (ان) في كلامه قرينة تدل على اعتقاده بالشك . وهكذا ورد استعمال هاتين الاداتين في الكلام المقطوع بفصاحة قائله كالحديث وآيات التنزيل واليك مثال ذلك . روى انه (صلعم) امر اميراً وارسله لقتال المشركين فقال له « اذا لقيت عدداً من المشركين فادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان هم اجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم » فانه لما كان لقاء عدد من المشركين من المقطوع بوقوعه استعملت اذا في جانبه ولما كانت بقية الشروط (اي فان اجابوك وان ابوا وان هم اجابوك) جميعها من المشكوك بوقوعها استعملت (ان) في جانبها

على انك اذا استقريت كلام الفصحاء لم تجدهم وقفوا في استعمال هاتين الاداتين عند هذا الحد بل تجاوزوا بان من الدلالة على الشك الى الدلالة على اسباب الشك ودواعيه وباذا من الدلالة على القطع الى الدلالة على اسباب القطع . وانت تعلم ان وضعهم سبب الشيء موضعه وتنويب ما له علاقة به منابه كثير في اغلب مناحي كلامهم واساليبه اوما تراهم يسندون الفعل الى سببه بدلاً من اسناده الى فاعله كقولهم « بنى الامير المدينة ومدّ الوالي الاسلاك البرقية » ويسندونه ايضاً الى زمانه او مكانه او شرطه كقولهم « انبت الربيع البقل وسال النهر وانزل الغيم المطر » ومنه قول الشاعر

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الكَبِيـ ـرَ كَرُّ الغَدَاةِ وَمَرُّ العَشِيْ

وهم ايضاً يحذفون جواب الشرط ويقيمون سببه او ما له تعلق به مقامه وكذلك يحذفون فعل الشرط ويدخلون الاداة على متعلقه كما مرّ بك

فاذا علمت هذا قلنا لك ان هذا حالهم مع ان واذا فانهم يستعملونهما كثيراً لا للدلالة على ان المتكلم يشك بوقوع الشرط او يقطع به بل للايماء الى سبب من اسباب الشك او القطع فهذا المتنبي يقول

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ ملكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

فلم يستعمل (اذا) للدلالة على انه يقطع بوقوع الشرط ولا (ان) للدلالة على انه يشك بوقوعه بل للتنبيه على ان اكرام الكريم واقعٌ موقعه وعلى عكسه اكرام اللئيم لانه لا يستحقُ الاكرام ترغيباً في الاول وحثاً عليه وتنفيراً من الثاني وصرفاً عنه · وهذا ابو العلا يقول

لَفظٌ كأَنَّ مَعَانِي السُّكرِ تَسكُنُهُ فَمَنْ تَحَفَّظَ بَيْتًا مِنهُ لم يُفِقِ
إِذَا تَرَنَّمَ شَادٍ لِلْيَرَاعِ بِهِ لَاقَى الْمَنَايَا بِلَا خَوْفٍ وَلَا فَرَقِ
وَإِنْ تَمَثَّلَ صَادٍ لِلصُّخُورِ بِهِ جَادَتْ عَلَيْهِ بِعَذْبٍ غَيْرِ ذِي رَنَقِ

فان الجملتين الشرطيتين في البيت الثاني والثالث كلٌّ منهما نعت (لفظٌ) في البيت الاول والقول بان (اذا) في البيت الثاني للدلالة على القطع و (ان) في الثالث للدلالة على الشك تحكم لا دليل عليه بل يعارضه انهما للوصف والوصف يقتضي التلبس والثبوت وهذا يباين اعتقاد الشك ويمنع منه وعليه فقد خرج ابو العلا بان واذا عن اصل دلالتهما الى ما له تعلق بها من سبب او داعية واقرب ما يقال انه لما كان الشرط في البيت الثاني قريب من المألوف والمعتاد وفي البيت الثالث بعيدٌ عنهما والقرب من المألوف سبب للقطع والبعد عنه سبب للشك لاجرم استعمل (اذا) مع الاول و (ان) مع الثاني اما قصداً او عفواً

مدفوعاً اليه بحسن الذوق و كثرة مزاولته الكلام البليغ وتخرُّجه فيه . وقريب من هذا قول الآخر

يا رَبُّ إن قَدَّرْتَهُ لِمُقَبِّلٍ غَيري فلِلْأَقداحِ أَوْ لِلأَكْؤُسِ
وإذا حَكَمْتَ لَنا بِعَينِ مُراقِبٍ في الدَّهرِ فَلْتَكُ من عُيونِ النَّرجِسِ

فان الشرطيتين في البيت الاول والثاني واقعتان جواباً للندا وأولى ان يكون حكمهما بالنظر الى اعتقاد القطع او الشك واحداً فضلاً عن ان القطع يقتضي سبباً متعارفاً معلوماً لا دليل على وجوده في البيت الثاني الا على شاكلة ما هو في البيت الاوَّل ولهذا فعندي انه نظر في البيت الاول الى ما يشقُّ على النفس تحمله من تقبيل غيره حبيبه لما فيه من النفرة الطبيعية ونظر في البيت الثاني الى ما في تحمل عين الرقيب من السهولة بالنسبة الى التقبيل فاستعمل (ان) في الجانب الاوَّل و (اذا) في الجانب الثاني لان في نفورك من الشيء وامكان تحملك المشقة بسببه ما يدعو بك الى الشك بوقوعه كانك لا تريد به ان يقع بخلاف ما هو على عكسه

ولا اقول ان الشاعر نظر قصداً الى ما تأولت له به كلامه بل ربما كان هذا وربما انساق عفواً الى استعمالهما بحكم البداهة التي فيهِ فطرة كانت او اكتساباً والشواهد على الخروج بان واذا عن اصل استعمالهما الى الاسباب التي تدعو الى الشك او القطع كثيرة لمن اراد الوقوف عليها في كلام الفصحاء وأهم من ذكر تلك الشواهد ان نبين لك تلك الاسباب ما هي فتعتبرها في ما تراه من كلامهم واليك هي :

الاسباب التي يميل معها العقل الى الشك او تدعوهُ اليه

(اولاً) كراهة الشيء او توقع الضرر منه وما في معناهما

(ثانياً) ندرة وقوعه

(ثالثاً) صعوبته في نفسه او صعوبة الاسباب التي يتوصل بها اليه

(رابعاً) مخالفتهُ للمعتاد او للمجرى الطبيعي المتعارف

(خامساً) مخالفته لما في اعتقادك او لما تتوقعه

(سادساً) اذا كان المقصود اضافتهُ اليهِ لا يستحقه كاكرام اللئيم مثلاً

(سابعاً) الاستقبال مظنة للشك في الغالب فانك اذا التفت الى شيء باعتبار انه سيقع قام في نفسك مع التفاتك هذا خاطر الشك

فهذه على ما نرى الاسباب التي تدعو الى الشك والتي يصح للكاتب ان يستعمل (ان) للاشارة الى واحدٍ او اكثر من واحدٍ منها ولسهولة الاشارة اليها نسميها بمتعلقات الشك او اسبابه · واما اسباب القطع فعكس هذه واليك هي :

الاسباب التي يميل معها العقل الى القطع بوقوع الشيء او تدعوه اليه

(اولاً) الرغبة في الشيء او توقع النفع منه وما في معناهما

(ثانياً) كثرة وقوعهِ

(ثالثاً) سهولتهُ في نفسه او سهولة الاسباب التي يتوصّل بها اليه

(رابعاً) موافقته للمعتاد او للمجرى الطبيعي المتعارف في النفس او في الخارج

(خامساً) موافقته لما في اعتقادك او لما تتوقعه

(سادساً) اذا كان المقصود اضافته اليه مستحقاً له

(سادساً) النظر اليه انه وقع في الماضي او كان سبق عنه اخباره بوقوعه نحو «هو رجلٌ ابلج احور من ولد لؤي بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص فاذا دعاكم فاجيبوه» ونحو «لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه»

فاذا علمت هذه الاسباب فاعلم انّ (ان واذا) قلما يخرجان عن اصلهما من الدلالة على الشك والقطع الاّ الى ما له تعلقٌ به من الاسباب المارّة

متى تستعمل ان ، ومتى تستعمل اذا

استعمال ان واذا في الشرط الملازم

مرّ بنا تحديد الشرط الملازم وعرفنا ما المراد منه ونزيد هنا انه ابداً متحققٌ فيه وقوع الشرط وان المقصود منه بالذات انما هو الدلالة على التعليق وبيان الملازمة بين الجزاء والشرط لا بيان ان الشرط مقطوع بوقوعه او مشكوكٌ فيه . اما ان الشرط فيه متحقق الوقوع فواضح من اقل تأمل في قولنا «اذا غلا الماء تبخر» واوضح منه طلوع الشمس في قولنا «اذا طلعت الشمس وُجد النهارُ» لكن ربما يتوقف بعضهم بادئ الرأي في قول المتنبي «اذا انت اكرمت الكريم ملكته» الاّ انه اذا تأمل علم انه لا يراد كريماً بعينهِ في الجملة ولا مخاطباً بعينه في زمان معين ومع هذا الاطلاق فاكرام كريم ما امرٌ مقطوع بوقوعه ومثله «اذا يسر الله امراً هيأ اسبابه واذا تاب العبد غفر له» فان تيسير الله لامرٍ ما وتوبة عبد من عباده ابداً مقطوع بوقوعهما فقس على ما ذكرنا غيره من بقية امثلة الشرط الملازم فانك تجد الشرط متحقق الوقوع في

جميعها . ولما كان الامر كذلك فلا يصح بعد استعمال ان واذا على اصلها مع الشرط الملازم اما (اذا) فلأن استعمالها على اصلها تحصيل للحاصل واما (ان) فللمنافاة بين اصل استعمالها والقطع بوقوع الشرط المفهوم دائماً من الشرط الملازم كما يظهر كل ذلك للمتأمل

وعليه لا تستعمل ان واذا في الشرط الملازم الاَّ لاحد امرين اما للدلالة على مجرّد الربط وحينئذٍ فالميزة لإذا على (ان) لعدم المنافاة بين اصل دلالتها وتحقق وقوع الشرط المفهوم من الجملة ولوجود المنافاة مع (ان) كما مرَّ بك . واما للدلالة على الربط مع لمح شيء من متعلقات الشك او القطع على حسب ما يقتضيه المقام مع ان واذا وهذا ما نريد بيانه بالاستشهاد وقد لمحنا الى شيء منه في الفصل الذي مرَّ بك قال بعضهم

إذا ضَيَّقْتَ امراً ضاقَ جِداً ... وإنْ هوَّنتَ ما قد عزَّ هَانا
فلا تَهْلِكْ لِشيْءٍ فاتَ يأساً ... فكم امرٍ تصعَّبَ ثمَّ لانا

وهما من ابيات الكامل للمبرّد فاستعمل اذا في صدر البيت وان في عجزه مع ان الشرط من قبيل الملازم في الجملتين اشعاراً بان تضييق الامر جارٍ على المعتاد المعروف من طباع الناس وانَّ تهوين الامر النازل بهم مخالف للمألوف من طباعهم فلا يقع الا من افرادهم وهم اهل الحكمة واولو البصر . والبيت الثاني نصيحة بترك التضييق لمن ضيقَ على نفسهِ مع بيان الوجه المبنية عليه تلك النصيحة وفيها دليل على ان الشاعر يلمح الى ان التضييق هو الموافق للمجرى المعتاد عند اكثرهم فتاملّ

وعلى هذا النمط نتاوّل ابيات بشامة بن حزن النهشلي يفتخر بقومه وما هم

عليه من رائع الصفات ومكارم الاخلاق . قال

إِنَّا بني نهشلٍ لا ندَّعي لأبٍ عنهُ ولا هُوَ بالأبناء يَشرينا
إن تُبتدَرْ غايةٌ يوماً لمكرُمةٍ تلقَ السَّوابقَ منَّا والمُصلِّينا

ثم قال

إِذَا الكُماةُ تَنَحَّوا أن يَنالَهُمُ حَدُّ الظُّباةِ وَصلناها بأَيدِينا

فاستعمل ان في البيت الثاني واذا في البيت الثالث مع ان نوع التعليق واحدٌ لانه نظر مع ان الى المستقبل ومع اذا الى الماضي

واليك ما قال الاخر

يُمثِّلُ ذو اللُّبِّ في نفسهِ مصائبهُ قبلَ أن تنزلا
فإن نزلتْ بغتةً لم ترُعْهُ لِما كانَ في نفسهِ مثَّلا
وذُو الجهلِ يأمنُ أيامهُ وينسى مصارعَ منْ قد خلا
فان بَدَهَتْهُ صروفُ الزمانِ ببعضِ مصائبهِ أعْوَلا

فانه استعمل ان في البيت الثاني والرابع فان قلنا انه استعملها في اصل معناها اي الشك وقع التنافي بين المراد بها و بين المفهوم من تحقق وقوع الشرط فانه لا ينكر تحقق وقوع المصائب بغتة بذي اللب و بالجاهل الاَّ المكابر لانه لا يراد بذي اللب شخصاً بعينه ولا بالجاهل جاهلاً بعينه بل يراد مطلق ذي لب ومطلق جاهلٍ ومع هذا الاطلاق فتحقق وقوع الشرط ظاهر للمتأمل ظهور طلوع الشمس فلم يبقَ الاَّ انه اراد أن يلمح الى متعلق الشك فلمح بالبيت الثاني اما الى ان ذا اللب لا يستحق ان تباغته المصائب واما الى انه يكرهُ له أن تباغته ولمح بان في البيت الرابع الى ندرة مباغتة صروف الزمان للجاهل اعتماداً على الاعتقاد الشائع ان الجهال قلما تنزل بهم المصائب بل

تخطاهم الى العقلاء وربما كان قوله في البيت الثالث « وذو الجهل يأمن ايامهُ » اشارة الى هذا الاعتقاد

واليك ما قال الآخر وهو من شعراء الحماسة

إذا انتَ أعطيتَ الغنى ثمّ لم تجدْ ... بفضلِ الغِنى ألفيتَ مالكَ حامدُ
إذا انتَ لم تعرُكْ بجنبِكَ بعضَ ما ... يريبُ منَ الأدنى رماكَ الأباعدُ
إذا الحلمُ لم يغلبْ لكَ الجهلَ لم تزلْ ... عليكَ بُروقٌ جمّةٌ ورواعدُ
إذا العزمُ لم يُفرجْ لكَ الشكَّ لم تزلْ ... جَنيباً كما استتلى الجنيبةَ قائدُ
وقلَّ غَناءً عنكَ مالٌ جمعتَهُ ... إذا صارَ ميراثاً وواراكَ لاحدُ
إذا انتَ لم تتركْ طعاماً تحبُّهُ ... ولا مقعداً تُدعى إليهِ الولائدُ
تجلّلتَ عاراً لا يزالُ يشبُّهُ ... سبابُ الرجالِ نثرُهم والقصائدُ

فانه لما لم يقصد الا الى الربط تنصحاً للمخاطب وتنبيهاً له الى ملازمة مقررةٍ عنده لا جرم أنهُ استعمل (اذا) في جميع ابياته

واما قول ابن الوردي صاحب اللامية المشهورة

وَالْهُ عنْ آلةِ لهوٍ أطربتْ ... وعنِ الأمردِ مُرتجِّ الكفلْ
إن تبدّى تنكسفْ شمسُ الضحى ... وإذا ما ماسَ يزري بالأسلْ

فانه ادّعى انّ الشرط من قبيل الملازم مبالغة الا انه استعمل (إن) في صدر البيت و (اذا) في عجزه لان المبالغة في عجز البيت اسهل قبولاً منها في صدره · وعلى هذا النحو نتأول له قوله في القصيدة عينها قال :

أنا لا أختارُ تقبيلَ يدٍ ... قطعُها اجملُ منْ تلكَ القُبلْ
إن جزتني عن مديحي صرتُ في ... رقِها أوْ لا فيكفيني الخجلْ

فانه عدل عن اذا الى ان للدلالة على أنه يكره أن تجزيه تلك اليد لانها يد لئيم بدليل قوله « قطعها اجمل من تلك القبل » وربما قصد الى انه لما كانت

يد لئيم فمكافأتها عن المديح مخالف لمجرى عادتها فضلاً عما هنالك من صعوبة العطاء على اللئيم ولداعٍ آخر عدل الى (إن) فيما بعد هذا حيث يقول

بينَ تَبْذِيرٍ وَبُخْلٍ رُتْبَةٌ وكِلَا هَذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتَلْ

فانه اشار باستعمالها دون (اذا) الى كراهة الزيادة او الى الضرر الناتج عنها ويؤيده الجواب

جاء في سفر تثنية الاشتراع « اذا رأيت حمار مبغضك ساقطاً تحت حمله فلا تتجاوزه حتى تحل عنه » وجاء في الرسالة الى الرومانيين « ان جاع عدوُّك فاطعمه وان عطش فاسقه » والشرطان في الآيتين ملازمان يتعلقان بالمعاملات ولا وجه لاختلاف الاداتين فيهما الا ان يقال ان فعل الشرط في الاولى كثير الوقوع وموافق للمألوف المشاهد بخلافه في الآية الثانية فانه نادر الوقوع خارج عن جاري المعتاد

والخلاصة انَّ (اذا) في التعليق او الشرط الملازم تستعمل تارةً للربط فقط واخرى له وللدلالة على سبب من اسباب القطع ودواعيه واما (ان) فلا بدَّ معها فضلاً عن الربط من النظر الى شيء من متعلقات الشك واسبابه لا الى الشك نفسه

وبعد اذ علمت ما علمته فقد تهيأت للنظر في ايات الحديث والتنزيل فانها اولى ان تراعى فيها هذه الاعتبارات دون ما سواها . جاء في الحديث « ان الله لا يملُّ من المغفرة حتى يملَّ العبد من الاستغفار فاذا همَّ العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها (فان) عملها كتبت عشر حسنات ثمَّ يضاعفها الله الى سبعماية ضعف واذا همَّ بخطية لم تكتب عليه (فاذا) عملها

كتبت خطية واحدةً ووراءها حسن عفو الله عزّ وجل » (الاحيا جزء ٤ وجه ١٣٦) فان الشرط من الملازم في الجمل الاربع الا انه استعمل (اذا) فى الجملة الاولى (وان) في الثانية للاشارة الى سهولة (أن يهم العبد بالحسنة) وصعوبة عملها عليه بالنسبة الى مجرد همه بها وهذا ظاهر الا ان الاعتبار البليغ الذي تعقد عليه الخناصر انما هو في قوله « واذا همّ بخطية لم تكتب عليه فاذا عملها » فانه لم يقل فان عملها كما قال بعد الحسنة مع انه الموافق لنظم الكلام والمتبادر اليه في الاستعمال بل عدل عن (ان) الى (اذا) للاشارة الى ان عمل الحسنة بعد ان يُهم بها فيه مشقة لخروجه عن مجاراة هوى النفس فلا يتم للمرء الا بعد مغالبة النفس وقهر الهوى بخلاف عمل السيئة بعد اذ يهمّ بها فانه خالٍ من المشقة لموافقته ميل النفس وهواها . فتأمل

ومن ايات التنزيل التي يستشهد بها البيانيون في باب (ان واذا) قوله « اذا اصابتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه » فان الشرط من قبيل الملازم في الجملتين وارادة الملازمة ظاهرة لانه اخبار بان هذه كانت عاداتهم والعدول عن (اذا) الى (ان) في الجملة الثانية انما هو للنظر الى الاستقبال من جهة وللنظر الى ندرة اصابة السيئة في جانب الاصابة بالحسنة من جهة اخرى وعندي فيه نظر آخر وهو انه استعمل (اذا) في جانب اصابة الحسنة للدلالة على انه الموافق لمجرى المعتاد من رحمته تعالى واستعمل (ان) في جانب الاصابة بالسيئة اشعاراً بانه مخالف لمجرى رحمته لانه مما لا يريده جل شأنه لخلقه فان اصابهم بها فانما هي جزاء بما يستحقون

واما قوله « فاذا مسّ الانسان ضرٌ دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما

أُوتيتهُ على علمٍ » فظاهر فيه ان المراد بيان الملازمة لان هذا طبع الانسان على العموم الاّ من هدى الله واستعملت (اذا) لانها اولى بالاستعمال عند ارادة مجرّد الربط في الشرط الملازم . فان قلت فلماذا لم تدخل ان على مسّ الضرّ للاشعار بانه مخالف لمجرى رحمته ومعاملته خلقه على ما في الآية المارّة قلت لا يلزم ذلك ولا كل مقام يقتضيه وفضلاً عن ذلك فان هذا المعنى مدلول عليه بلفظ المس والتخويل فاغنى ذلك عن المخالفة بين الاداتين بخلاف الاية الاولى فان لفظ الشرط (اعني الاصابة) واحد في جانب الحسنة والسيئة فلئلا يتوهم من نظم الكلام واتفاق لفظ الشرطين ان كلاً من الاصابة بالحسنة والسيئة من باب واحد (اي انه الموافق لمجرى احكامه لا فرق بين ان يصاب بعض خلقه بالحسنة او السيئة) عدل الى المخالفة بين الاداتين دفعاً لهذا التوهم . فتأمل

ولزيادة التقرير نورد لك آية اخرى « يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار » فان الجملتين من باب الشرط الملازم والملازمة واضحة كل الوضوح اي وجوب الامتحان اذا جئن مهاجرات وعدم ارجاعهن الى الكفار ان علم ايمانهن وكان مقتضى نظم الكلام ظاهراً استعمال اذا في الجملة الثانية الا انه عدل عنها الى (ان) للتنبيه على صعوبة تحقق العلم بايمانهن

هذا ما خطر لنا في استعمال (ان واذا) في الشرط الملازم فان لم تر الطبع يتشربه والعقل يسلم بصحته واستقراء كلام الفصحاء ينطبق عليه فارم به عرض الحائط والله يعلم وانتم لا تعلمون

استعمال (ان واذا) في الشرط المنفك

لا بد في ان واذا مع الشرط المنفك من مراعاة اصل معناهما فلا تستعمل (اذا) الاَّ للدلالة على اعتقاد المتكلم في ان الشرط مقطوع بوقوعه عنده اذا لم يكن مقطوعاً به في نفسه· وفائدة ذلك راجعة الى ترتيب الجزاء فاذا قلت « اذا زارني زيد غداً ذهبت لزيارتك » فالفائدة هي انك وعدت المخاطب بزيارة مقطوع بها عرفاً والمخاطب في مثل هذه العبارة يتوقع زيارتك توقعاً مقطوعاً به اعتماداً على انك لم تقل « اذا زارني زيدٌ غداً » الا وانت متحقق زيارته لسبب عندك يوجب ذلك في اعتقادك فاذا ترك المخاطب البيت في الغد وجئت فلم تجده لك ان تلوّمه على ترك البيت وعدم انتظارك وليس له ان يقول ما علمت او لم تعدني وعداً ينفي الشك بانك ستأتي لان معنى عبارتك هو انك لا تشك بزيارة زيد واذا كنت لا تشك بزيارته فقد صارت زيارتك المعلقة على المقطوع به مقطوعاً بها ايضاً

وعلى عكس ذلك اذا لم تأت لزيارة المخاطب فله ان يعاتبك وعليك ان تعتذر عن نفسك ولا يجديك القول نفعاً « ان زيداً ما زارني » لان للمخاطب ان يجيبك بقوله ما كان لك ان تؤكد لي مجيء زيدٍ قبل ان تتأكده انت بخلاف ما اذا قلت « ان زارني زيدٌ غداً ذهبت لزيارتك » فان للمخاطب ان يشك في زيارتك واذا ترك البيت في ميعاد الزيارة وخرج لشغل له فليس لك ان تعاتبه لان له ان يقول لك « ما اكدت لي انك تزورني ولو اكدت لي لانتظرتك »

وكذلك اذا ادخلت (اذا) على شرط متحقق الوقوع في نفسه كقولك

لاحد معارفك «اذا كان الظهر غداً اتيت لزيارتك» فانك تكون قدّ وعدته بزيارة في ظهر الغد مقطوع بها كالقطع بصيرورة الظهر غداً فكانما انت قلت له لا بد لي من زيارتك غداً الظهر · على ان (اذا) في مثل هذا المثل انما هي للدلالة على ربط الجزاء بالشرط اشارة الى ان الجزاء من نوع الشرط في التحقق بالنظر الى اعتقادك لا للدلالة على اعتقادك لانه اصبح بالنظر الى تحقق وقوع الشرط في نفسه من باب تحصيل الحاصل واما (ان) فلا يصح ان تدخل عليه للمنافاة بين اصل دلالتها وبين مفهوم الشرط في نفسه كما ذكرنا ذلك مراراً

وخلاصة ما نقوله هنا ان الشرط المتحقق الوقوع في نفسه موضع (لاذا) دون (ان) وغيره صالح لدخول كل منهما فاذا ادخلت عليه (اذا) فقد اردت الدلالة على انك تعتقد وقوعه لسبب معلوم عندك واذا ادخلت (ان) فللدلالة على ان ليس عندك من سبب يرجح وقوعه او لا وقوعه

واعلم ايضاً انك اذا كنت ترغب في وقوع الشرط او كان وقوعه نافعاً لك او موافقاً لما في اعتقادك او لما في انتظارك او كان المضاف اليه الشرط جديراً به وفقاً للحقيقة او للاعتقاد فجميع هذه قد تقوم عندك مقام الاسباب التي يقطع معها بوقوع الشرط فتكون علة لسواغية استعمال (اذا) وبعبارة اخرى يصح ان تلمح هذه الاغراض التي هي اسباب للقطع وتجعل (اذا) قرينة عند السامع للدلالة على انها مقصودة عندك واذا صح ان تلمح (باذا) هذه الاغراض صح ان تلمح) بان) عكسها كما مرّ فلا يذهب عليك · مثاله اذا قال لك صديق لا تشك بصدقه «سمعت زيداً وعمراً يقولان سنذهب

هذه الليلة لزيارتك » وكان زيد فكها اديباً وعمرو على عكسه . فاذا قلت في جواب هذا الصديق « اذا جاء زيد ارسلنا وراءك وان جاء عمرو فماذا افنرسل وراءك ام لا » كانت (اذا) في الجملة الاولى دليلاً على رغبتك في مجيء زيد و (ان) في الثانية دليلاً على كراهتك مجيء عمرو وهكذا ينبغي ان تخرج الكلام الاّ اذا اردت الاخفاء والمغالطة فكفتك (اذا) التصريح بلفظ الرغبة او المديح وكفتك (ان) التصريح بلفظ الكراهة او ما في معناها وهي اغراض لطيفة في كلام الفصحاء تنزّه كلامهم كثيراً عما يخلُّ بالرقة وحسن التهذيب وفي ما ذكرت غنى عما لم اذكره مما لا تفوت اللبيب معرفته

استعمال ان في « ايهام الشك »

بقي (لان) ، على ما يؤخذ من استقراء أمثلتها في كلام الفصحاء ، وجه اخر في الاستعمال وهو « ايهام الشك » وقد غفل البيانيون عن هذا الوجه فاوجب لهم ذلك اضطراباً في تخريج امثلتها في كثير من المواضع ومع كل ما تكلفوه في اظهار الوجه المستعملة فيه تطبيقاً على اصلها بقي في تخريجاتهم آثار الكلفة وعدم الإنتهاء الى ما يقنع

ونحن نشير لك الى هذا الوجه اعني « ايهام الشك » والاغراض المرادة منه واول ما نذكره ان ايهام الشك لا يكون الا مع الشرط المنفك وثانياً ان اداته لا تدخل الا على شرط قد تحقق وقوعه من قبل كقول المتنبي في بدر بن عمار وقد فصده الطبيب فغار المبضع اكثر من حقه فاضرَّ به ذلك

إنْ يكُنِ الْبَضْعُ ضَرَّ باطِنَها فرُبَّما ضَرَّ ظَهرَهـا الْقُبَلُ

او على شرط متحقق صدقه كقول المتنبي ايضاً

إن يكنْ صبرُ ذي الرَّزيئةِ فضلاً تكنِ الأفضلَ الأعزَّ الأجلاَّ

او عدم صدقه كقول ابي العلاء

زعمَ المنجمُ والطبيبُ كلاهما أنْ لا معادَ فقلتُ ذاكَ إليكما

إن صحَّ قولكما فلستُ بنادمٍ أو صحَّ قولي فالوبالُ عليكما

فان اضرار البضع بيد ابن عمّار امرٌ تحقق وقوعه فاوهم المتنبي انه شاكٌّ فيهوالغرض بذلك تسلية الممدوح وتطييب خاطره وربما اراد ايضاً نفي التشفي عنه وبيان ذلك انه لما اوهم انه شاكٌّ باضرار البضع توجه العقل الى الجزاء علّه يرى فيه سبباً للشك فرتب الشاعر على الضرر المذكور في الشرط ضرراً اخر اوهم انه من جنس الضرر المذكور فيه اي « فربما ضرَّ ظهرها القبل » فكان بذلك تطييب لقلب الممدوح كما تقول لنادم على خطاء وقع منه في مسألةٍ « ان كنت قد اخطأت في هذه المسألة فاذكر انك اخطأت في مسألة كذا ومسألة كذا » تعدّد له مسائل ذات شأن كان اصاب رأيه فيها جميعاً فانك بذلك تطيب قلبه وتصرف ذهنه عن الخطأ الحاضر الى الاصابة في الماضي وربما قد يموّه على نفسه انك لا تعتقد خطأه في هذه المسألة الا كما تعتقده في تلك التي عددتها له · فعلى هذا المبدا جرى المتنبي فانه علق على الضرر المذكور في الشرط ضرراً اخر في الجزاء ادعاءً ان الضررين من نوع واحدٍ ولما كان ضرر القُبل بظاهر اليد فيه فخر للممدوح ولا وجه معه لتشفي حاسدٍ لا جرم انصرف الذهن مغالطة الى انَّ ضرر البضع بباطنها انما هو من هذا القبيل

واما قوله

ان يكن صبرُ ذي الرَّزيئةِ فضلاً تكنِ الأفضلَ الأعزَّ الأجلاَّ

فانه صرف بايهامه الشك في ما لا شك فيه النظر عن المشكوك فيه وابرز المشكوك فيه بصورة امرٍ متحقق لا ريب فيه وبيانه انه لولا ايهام الشك بالشرط لكان مساق برهانه على هذه الصورة

«صبر ذي الرزيئة فضل وانت اصبر الناس فانت افضلهم» والقضية الاولى متحققة عقلاً واما الثانية فلا · ويمكن فيها اتهامه بارادة التقرّب الى الممدوح فصانع عن كل ذلك بايهام الشك في القضية الاولى فصار مؤدى كلامه الى هذه الصورة

«ان يكن صبر ذي الرزيئة فضلاً فانت افضل الناس لانك اصبر الناس» وعلى هذه الصورة انقلبت القضية الثانية المشكوك فيها في الكلام الاول الى قضية محققة لا ريب فيها لانه جعلها تعليلاً والتعليل لا يكون فيه شك كما لا يخفى

واذا علمت هذا فلنتقدم الآن لبيان الاغراض الممكن ان تراد مع ايهام الشك والاستشهاد على كل غرض بكلام من لا ينازع بفصاحتهم او لا يشك فيها اصالة والله الموفق الى الصواب

الاغراض الخطابية التي تبنى على ايهام الشك هي :

(اولاً) صرف النظر عن الشك بمضمون الجزاء ليوهم صحته وانه قضية مقرَّرة لا يقام عليها برهان كقول المتنبي المار ذكره

ان يكن صبر ذي الرزيئة فضلاً تكن الافضل الاعزّ الاجلاّ

وقد مرّ بيانه وكقوله ايضاً

إن أكُنْ مُعجبًا فعُجْبُ عجيبٍ لم يجدْ فوقَ نفسهِ من مزيدِ

والفرق بين البيتين انه حذف السبب في الاول لدلالة الجزاء عليه وحذف الجزاء في الثاني لدلالة السبب عليه وتحرير البيت انه ان اعجب فيحق لي ان اعجب لاني لا اجد لاحد مزية عليَّ في فصاحة او شرف ومثله قوله ايضاً

إن يَفْنَ ما يحوِي فقد أبقى لهُ ذِكراً يزولُ الدَّهرُ قبلَ زوالِهِ

فانه ادَّعى انه يشك في انه يفنى ما حواه ثم قال وان يفنى فلا يضره ذلك لانه قد ابقى له ذكراً يزول الدهر قبل زواله فانظر كيف صرف الشك عن المذكور جزاءً واوهم انه من قبيل المتحقق الذي لا يحتاج الى برهان لاثباته

(ثانياً) دفع ما يمكن ان يترتب على الشرط من غضاضة او ما في معناها تسلية للمخاطب وتطييباً لخاطره ويتم ذلك بان يترتب على الشرط ما يناسب هذه الغاية ادّعاءً او تحقيقاً فمثال الاول قول المتنبي الذي اوردناه

إن يكُنِ الصَّبرُ ضرَّ باطنَها فربَّما ضرَّ ظهرَها القُبَلُ

ومثال الثاني الآية في التنزيل «فإن كذَّبوكَ فقد كُذِّبَ رُسُلٌ من قبلك جاؤُا بالبينات والزُّبرِ والكتاب المنير» وتحرير الآية «أن تكذيبهم اياك لما فيه من الاقدام والاجتراء على دفع الحق الصريح يكاد لا يصدق فان ثبت وقوعه فلا تحزن واصبر فقد كذب غيرهم غيرك من الانبياء الذين جاؤُا بالبينات والزبر والكتاب المنير» ولما كان التكذيب الدال عليه الجزاء من نوع التكذيب الدال عليه الشرط حقيقة وكان من المقرّر عند المخاطب ان المكذبين المشار اليهم بالجزاء صبروا وفازوا ولم يلحقهم معرَّةٌ من تكذيب المكذبين لا جرم كان في ذلك تسلية له وتطييب من خاطره ودفع لما يمكن

ان يترتب على التكذيب من المعرّة والتنقص والفرق بين البيت وبين الآية ان مضمون الجزاء في الآية من نوع مضمون الشرط حقيقة اما في البيت فعلى سبيل الادّعاء كما لا يخفى على المتأمل

(ثالثًا) الحث على الجزاء · وفي هذه الحالة يكون فاعل الشرط والجزاء واحداً متحقق الاتصاف بمضمون الشرط كقول الواعظ « ايها الاخوة او ايها السامعون ان كنتم تحبون الله فاحسنوا الى عياله » اي لا يتحقق عندي انكم تحبون الله الا ان تحسنوا الى عياله وعليه الآية « يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون » اي لا يصح عندي انكم تعبدونه وحده الا اذا اكلتم الحلال واظهرتم الشكر اما انه للحث على الجزاء فاوضح من ان يوضح وقد قال الامام جلال الدين السيوطي في اتقانه ان الغرض من الشك هنا التهييج والالهاب · ونحن نقول ان الغرض من ايهام الشك هنا التهييج والالهاب

(رابعًا) التكذيب · وظاهر الشرط والجزاء فيه شبيه به في الحث على الجزاء والفارق بينهما ان فاعل الشرط متصف به حقيقة في الحث ويدعي الاتصاف به في التكذيب مثاله الآية « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين » وهم لا يتمنونه وهو الدليل على كذب مدعاهم وقوله ايضاً « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ولا برهان لهم فبطل مدعاهم وظهر عدم صدقهم

(خامسًا) التعجيز او التهكم او الاستخفاف وهي معانٍ متقاربة يدرك الفرق

بينها بحسن الذوق وصورها وان تكن قريبة من صورة التكذيب الا انه لايخفى على اللبيب التميز بينها وبينه باختلاف المقامات والاعتبارات ومن امثلتها الايات الآتية « لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين » « اسقط علينا كسفاً من السماء ان كنت من الصادقين » « قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين » « قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون » « ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين »

ومن امثلته في الكلام المتعارف قولك للمفتخر بعلمه على سبيل التعجيز كسراً من سورة فخره « ان كنت عالماً مجرباً فاذكر لنا في علاج الجذام غير ما ذكره ابن سينا ان كنت من البارعين » فانك قد لا تنكر علمه ولا تجربته ولا براعته انما اردت تعجيزه كسراً من حدة فخره وتقول للجاهل او للاحمق المدعي بالطب وانه وقف فيه على اقوال الاقدمين تهكماً واستخفافاً « اي فلان افدنا بما قاله بقراط في الحمى وعلتها ان كنت من الدارسين المحققين » فانك لا تشك بعدم تحقيقه ودرسه انما اوهمت الشك تهكماً واستخفافاً وهكذا

(سادساً) التوبيخ . وذلك فيما اذا كان ظاهر حال المخاطب مخالفاً لمقتضى علمه بمضمون الشرط كقولك للمتكبر « يا هذا ان كنت من تراب فلا تفتخر » وهذه الجملة يصح فيها ان تكون من قبيل الشرط الملازم اذا ارسلت على سبيل الحكم التعليمي ولم يرد بها مخاطباً بعينه فاذا خصت بمتكبر معين كانت من قبيل الشرط المنفك وكانت (ان) مستعملة فيها لايهام الشك توبيخاً للمخاطب على كبريائه فقس عليها امثالها كقولك لمن يؤذي اباه « ان كان هذا اباك فالاولى بك احسان معاملته »

(سابعاً) الاعتذار . كأنَّ المخطئ يكره الاقرار بخطإه صراحة فيصانع عن ذلك (بان) والشرط كقول المعتذر «ان كنتُ فعلت هذا فعن خطاء» وعليه قول المتنبي

ان أكنْ قبل أن رَأيتكَ أخطأ تُ فاني عَلَى يدَيكَ اتوبُ

(ثامناً) التجاهل . كجواب الخادم وقد سألته عن مولاه افي غرفته هو ام لا فيقول لك «ان كان فيها اخبرتك» فانه ان قال لك هو في غرفته خاف ملامته فيما بعد او قال ليس فيها فكذلك فيصانعك بايهام الشك الى ان يقف على ارادة مولاه و كقول تلميذ مدرسة لرفيقه في كتاب يعلم انه في غنىً عنه «ان كنت في غنىً عن كتاب كذا فاعرني اياه» فان خوفه من قبح الرد يحمله على هذا التجاهل وايهام انه شاك وليس به شك وهذا كثير في انواع المخاطبات والمكاتبات وربما يعد منه قول المتنبي

إنْ كُنتِ ظاعنةً فإنَّ مَدامِعي تكفي مَزادَكُمُ وتَرْوِي العِيسا

بناءً على انه كان متحققاً عنده ظعنها الاَّ انه اوهم الشك وتجاهل مخافة ان ترد عليه فيما لو صرَّح ما لا يرضي من الجواب كأن ترفض ما عرضه عليها في الجزاء وهذا النوع كثير في المخاطبات دائرة فيها على الالسنة كما لا يخفى

(تاسعاً) مجاراة الخصم في مناظرة وشبهها وعليه قول ابي العلاء

زَعمَ المُنجّمُ وَالطبيبُ كِلاَهما أنْ لا مَعادَ فقلتُ ذَاكَ إليكُما

إن صحَّ قولُكما فلستُ بِنادِمٍ او صحَّ قوْلي فالوَبالُ عليكما

فانه معتقد عدم صحة قولها ومعتقد صحة قوله ايضاً الاَّ انه اوهم انه شاك مجاراة لما في معالنتهما بفساد قولها وصحة قوله من التنفير وتهييج روح المقاومة وعدم التسليم ويلحق بهذا الباب ايهام الشك بصحة قضية لاثباتها من وجهة اخرى

كما في البرهان غير المستقيم وهو كثير في الهندسة كقولك مثلاً « ضلعان من مثلث هما معاً اطول من ضلعه الثالث والاَّ فالخط المستقيم ليس هو اقرب بعد بين نقطتين »

(عاشراً) عدم معالنة المخاطب بثبوت ما يعتقده من الشرط لان في معالنته ما يدعو الى شدة اصراره وتمسكه بمعتقده والمقصود ازالته عنه ببيان ما يدل على خطاه. وهذا قريب من الغرض التاسع الا انه في غير مناظرةٍ ولا على صورة برهان واوضح ما يستشهد له به الآية « وان كنتم في ريب مما نزَّلنا على عبدنا فأْتوا بسورةٍ من مثله » فان ريب المخاطبين واقع لا شك فيه الاَّ انه اوهم الشك بوقوعه وهذا مما يدعوهم الى التساؤُل في انفسهم عن سبب الشك فيما هم قاطعون به فتعظم رغبتهم في ايراد السبب لينظروا في صحته وذلك ادعى للتسليم والتنزُّل عما هم فيه وتحرير القول في الآية « اني اشك بكونكم مرتابين (لعدم الموجب له) فان ثبت فانا ادلكم على ما يزيله او يحملكم على التمسك به وهو ان تأتوا بسورة من مثله فان اتيتم بمثله فلكم ان تبقوا على ريبكم وان عجزتم ففي ذلك دليل على عدم صحة ما يحملكم على الريب » ولا شك ان هذا كلام منصف ومساقه على هذا الاسلوب مما يدعوهم الى التجربة وتقاصرهم كل مرة عن الاتيان بمثله اكبر دليل على فساد رأيهم ان كانوا يعقلون. فهذا ما اراه في (ان) واستعمالها ايهاماً للشك فليقابل على ما ذكره البيانيون وما تكلفوه في تطبيقها على حقيقة الشك وفوق كل ذي علم عليم

باب الجملة الاسمية

المبتدا والفرق بينه وبين الفاعل

قد علمت ان المسند اليه عند البيانيين يطلق على المبتدا والفاعل بالاشتراك الاّ انا ميزنا احدهما عن الآخر لسهولة البحث ونزيدك هنا وان كنت تعلم انّ الفاعل لا يكون في الاسناد الذي هو حقيقة عقلية الا ما قام به الفعل او معناه نحو «قام زيدٌ ونام ومرض واكل وشرب الخ» واما المبتدا فقد يكون ما قام به الفعل نحو (زيدٌ نام ومرض واكل وشرب الخ) وقد يكون ما وقع عليه الفعل نحو (زيدٌ رأيته واكرمته) وقد يكون غير ذلك نحو (زيد قام ابوه واحببت اخلاقه) وبالجملة ان الفاعل لا يسند اليه الا فعله او معناه بخلاف المبتدا فانه يصح ان يسند اليه ما لابسه او تعلّق به بوجهٍ من الوجوه كما مر بك من الامثلة

بقي فرق اخر بين المبتدا والفاعل وهو ان المقصود اولاً في جملة المبتدا والخبر انما هو المسند اليه فكأنما الذهن ينظر اليه اولاً ثم الى ما لابسه من الخبر ولذلك كان لفظه مقدماً طبعاً على الخبر فلا يتاخر الا لغرض مما سنذكره . وقد لحظ النحاة هذا المعنى فقالوا من ثم ان رتبة المبتدا التقديم لانه محكوم عليه والمحكوم عليه قبل الحكم بخلاف جملة الفعل والفاعل فان المقصود فيها اولاً انما هو المسند اي الفعل مضافاً اليه الفاعل ثم ما لابسه من بقية متعلقاته ولهذا لا يقدم الفاعل على الفعل اصلاً لئلا يلتبس بالمبتدا في انه هو المقصود اولاً ولا يجوز ان تتقدم عليه بقية متعلقاته الاّ لغرض وقد ابنّا ذلك في ما مرّ بك في الكلام عن الجملة الفعلية

الخبر واقسامه

الخبر هو المسند الى المبتدا او المحكوم به عليه ويقسم الى قسمين مفرد وجملة والجملة تقسم الى اسمية وفعلية . ثم المفرد لا يخلو اما ان يكون مكاناً للمبتدا او زماناً له او صفة من صفاته او موصوفاً والموصوف اما ان يكون نفس المبتدا

في المعنى او غيره يقصد تشبيه المبتدا به فصارت جملة الاقسام سبعة واليك هي

(١) زيد عندك او في بيته

(٢) الاجتماع الآن او غداً او في الشهر القادم

(٣) زيد اخوك . رأس الحكمة مخافة الرب . الانسان حيوان ناطق

(٤) زيد ابوه . ابو يوسف ابو حنيفة اي زيد كأبيه وابو يوسف كأبي حنيفة

(٥) زيد عالم . قائم . مؤمن . ذكي . شجاع الى اخره

(٦) زيد لسانه فصيح . زيد نفسه طامحة الى المعالي . الكريم نفسه تطمح الى المعالي

(٧) المال يعز الذليل والفقر يذل العزيز

اسناد المكان والزمان والموصوف الى المبتدا

اذا تأملت الجمل الاربع المذكورة اعلاه وانتبهت لما في محفوظك من استعمالات اللغة علمت ان الاسناد الى المكان كما في الجملة الاولى يدل اقتضاء على زمن الحال وان الاسناد الى اسم الزمان كما في الثانية يدل الموضوع منه للحال على زمن الحال والموضوع للمستقبل على زمن الاستقبال فاذا اردت زمن الماضي او الاستقبال في الاسناد الى اسم المكان او الماضي في الاسناد الى اسم الزمان فلا بد من ذكر الفعل الدال على الزمان المقصود نحو كان وسيكون زيد في بيته وكان الاجتماع البارحة . واما الاسناد في المثال الثالث فاذا أخذ على اطلاقه خلواً من سائر الاعتبارات وجب تجريده من كل ما يدل على زمان وسببه ان المقصود من الاسناد في قولنا «رأس الحكمة مخافة الرب» و« الانسان

حيوان ناطق » هو ان المفهوم من المسند اليه والمفهوم من المسند يوجد احدهما مع وجود صاحبه مطلقاً لانهما شيء واحد فذكر ما يدل على الزمان اذن من قبيل العبث وهو لا يخفى على متأمل واما المثال الرابع فدال على التشبيه ولذلك فهو من قبيل اسناد الصفة على ما في المثال الخامس

اسناد الصفة الى المبتدا

ماهية الصفة ودلالتها

الصفة ما اشتقت لما قام به او وقع عليه الفعل وهي تدل على ذات عامة وحدث عام بينهما علاقة ما فهي من حيث دلالتها على الذات تتصل بالاسماء فتنوب منابها نحو « فانه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين » او تنعتها وهو كثير نحو « رجل كريم » او تسند اليها نحو « زيد قائم » ومن حيثية دلالتها على الحدث تتصل بالافعال فتسند الى الاسماء نظيرها نحو « زيد قائم » وتتقيد بزمان او مكان او سبب او فاعل نحو « اذاهب الزيدان اليوم الى بيروت لزيارة صاحبهما » وغير هذه من القيود التي يتقيد بها الفعل كالمفعول المطلق والمفعول له كما لا يخفى

قلنا ان الصفة تدل على ذات عامة وحدث عام بينهما علاقة ما وتلك العلاقة انما هي علاقة التلبس اي اجتماعهما معاً فاذا تقدم على الصفة ذات اخرى مساوية للذات المدلول عليها بها في التعريف والتنكير كانت تلك الذات المتقدمة مفسرة للذات العامة في الصفة ويستغنى بها عن تقديرها (اعني العامة ثانية) نحو « رجل كريم » او « الرجل الكريم » فان (رجل) هنا

فسرت الذات العامة في الصفة (كريم) ونابت منابها في التلبس بالحدث .
واما اذا ذكرت معها ذات اخرى معرفة او نكرة مخصصة نحو « زيد قائم »
و « الرجل مسافر » كانت الذات العامة في الصفة مسندة اليها اسناد العام الى
الخاص اي « زيد ذات قائم » و « الرجل ذات مسافر » على حد قولنا « زيد
رجل صالح » والانسان حيوان ناطق

دلالة الصفة على الزمان

لا دلالة للصفة في اصل الوضع على الزمان اصلاً شأن سائر الاسماء الاَّ
ان تلبس الذات بالحدث واجتماعهما معاً لا بد له من زمان واذا لم يكن في
الجملة ما يدل على نوع الزمان تعين زمن الحال الذي هو اصل الزمان باعتبار
ان الماضي والمستقبل متفرعان عنه لانهما يدركان باعتباره فضلاً عن ان تلبس
الذات بالحدث الذي هو من مدلول الصفة لا يمكن ادراكه واقعاً فعلاً الا في
زمن حال وعليه فقولنا « زيد قائم » انما هو في الاصل اخبار عن مشاهد وهو
متقدم على الاخبار بقولنا « كان زيد قائماً » « وسيكون زيد قائماً » فانك
ما لم تدرك اولاً قيام زيد واقعاً في المشاهد لا يصح ولا يمكن الاخبار عنه
بصورة كان او سيكون زيد قائماً والاخبار في كلتا الجملتين الاخيرتين انما هو
اخبار عن صورة في الذهن منشأها عن صورة في الخارج شوهدت في زمن
حال اولاً

والخلاصة ان الزمان المدلول عليه بالصفة المسندة انما هو في الاصل زمان
الحال لا غير ولا دلالة لها على الماضي ولا على المستقبل اصلاً . ولنا على ذلك
برهان لغوي نذكره تنبيهاً لخاطر المطالع فنقول

لا يخفى ان الفعل الماضي يتقيد مع دلالته على الماضي بقيود كالامس والبارحة ومنذ يومين او اسبوعين وهلمّ جرًّا وهذه القيود لا تجوّز اللغة استعمالها مع الصفة اصلاً فلا نقول «زيد قائم البارحة» ولا «زيدٌ عالم الاسبوع الماضي» وهو ظاهر ولو كان للصفة دلالة بالوضع على الماضي كالفعل ما امتنع ان نقيد بما يقيد به من اسماء الزمان كما مر . ومثل ذلك الفعل المضارع في دلالته على الزمان المستقبل فانه تدخل عليه ادوات منها افعال كافعال المقاربة والرجاء ومنها حروف ايجاب كالسين وسوف او نفي كلن فان هذه تدخل على المضارع فنقول «زيد كاد او عسى ان يقوم» و «زيد سيقوم او سوف يقوم» و «لن يقوم» بخلاف الصفة فانه معلوم ان هذه الادوات لا تدخل عليها اصالةً فلا يقال «زيدٌ كاد قائمًا» ولا «سوف قائم» الخ ولو ان للصفة دلالة كدلالة المضارع على الاستقبال ما امتنع دخول هذه الادوات عليها

بقي انها اي الصفة تدل على الحال لكن لا ينبغي ان تلتبس دلالتها بدلالة المضارع وذلك لانها اي الصفة تدل على التلبس بالحدث فعلاً والمضارع على ابتدا التلبس به ايضاحًا للحال واستحضاراً لتلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها تقع فعلاً وذلك ظاهر من ابسط امثال اللغة كقولك «رأيت زيداً واقفاً على قدميه» و «رأيته يقف على قدميه» فان مدلول الكلام الاول ان زيداً كان متلبساً بالوقوف على قدميه عند روءيته فلم يرَ الا واقفاً عليهما بخلاف مدلول الكلام الثاني فانه يدل على ان الوقوف لم يكن حاصلاً انما كان آخذاً في الحصول ولذلك تدخل افعال الشروع كأخذ وابتدأ وشرع على المضارع فيقال «اخذ زيد يكتب وابتدأ يقرأ وشرع يتكلم» ولا تدخل على الصفات

اصلاً فلا يقال « ابتدأ زيد ماشياً » ولا « اخذ متكلماً » . وهذا الفرق بمكان من الاهمية فلا يذهب عنك تذكره وازيد تقريره نقول لك ان الصفة لا بد معها بحسب اصل وضعها من الدلالة على التلبس بحدثها والاتصاف به فعلاً في زمن الحال بخلاف دلالة المضارع فانها على ابتداء وقوعه فتأمل

الصفة تدل على الازمنة الثلاثة بالاستمرار

فمن اين جاءت لها هذه الدلالة

اعلم ان هذه الدلالة ليست من اصل وضع الصفة انما هي دلالة خارجية عقلية مستفادة من المشاهدة والاختبار ولذلك كان الفعل يدل عليها ايضاً فاننا نعلم بالاختبار والمشاهدة ان بعض الصفات لم يعرف عنها الا انها مقارنة لموصوفاتها كارتفاع لبنان مثلاً وانخفاض وادي قنوبين . ونعلم ايضاً ان بعض الصفات اذا اقترنت بموصوفاتها استمرت على ذلك الى ما شاء الله كخشونة هذا الحجر وملاسة ذاك واستدارة هذا وتربيع ذاك وطول هذا وقصر ذاك الخ وكالجود والبخل والحمق والحلم والفطنة والغباوة الخ فان جميع هذه الصفات وامثالها اعني التي لا تفارق محلاتها بعد اذ تتصف بها او التي لم ندر كها الا متلبسة بموصوفاتها هي اذا اسندت الى ما يليق بها « نحو زيدٌ جواد حليم » و « هذا الجبل مرتفع » دلت على استمرار الاتصاف وتناولت الازمنة الثلاثة من غير تقييد بل تقييدها حينئذٍ من باب العبث لانه تحصيل للحاصل ولذلك فلا تجوزه اللغة ولا يجري على السنة المتكلمين بها الاّ لغرض كاحضار الازمنة الثلاثة قصداً لدى الذهن كقولك كان ويكون وسيكون زيدٌ شريفاً

الآن هنالك صفات اخرى غير التي ذكرناها وهي تقتضي بطبعها التجدد فتفارق موصوفاتها بعد ملابستها لها كالقيام والقعود واليقظة والمنام والضرب والقتل وسائر الصفات الاخرى التي يشاهد تعديها من فاعلها الى مفعول به فهذه جميعها لا تدل الاّ على الاتصاف نحو «زيد قائم وواقف وجالس» وهذا اظهر من ان يوضح الآن بعضها كاليقظة مثلاً مما يشاهد استمرارها لكن الى مدة لا تتجاوز المفهوم من زمن الحال بحسب المتعارف (لا بحسب المفهوم منه عند الفلاسفة والمتكلمين) قد تدل على الاستمرار نحو «زيد مستيقظ» لكن بين الاستمرار المفهوم منها وبين الاستمرار المفهوم من اسناد العلوّ الى لبنان مثلاً فرقٌ ظاهرٌ يدركه العقل عند اقل تأمُّل واستعمال اللغة يفرق بين هذين الاستمرارين وذلك ان الاستمرار المفهوم من اسناد العلو الى لبنان يؤدى بصريح الفعل المضارع كما يؤدى بالصفة بخلاف اليقظة فان استمرارها لا يلمح الا بالصفة المسندة دون الفعل ومثاله انك تقول «ولما قاربنا شطوط بيروت نظرنا فاذا لبنان يعلو من ورائها الى الوف من الاقدام» فتفهم الاستمرار من لفظ الفعل (يعلو) ولكنك اذا قلت مثلاً «ولما دخلنا فسحة الدار نظرنا فاذا زيد يستيقظ» لم يفهم من الفعل استمرار اليقظة لزيد اصالة انما يفهم منه ابتداء تلبسه بحال اليقظة لا غير كما لا يخفى فلا يذهب عليك الفرق بين الاستمرارين وموجبه في الخارج فانه ظاهر للمتأمل

الصفة تدل اقتضاءً على التلبس او الاتصاف بما له علاقة بالحدث المشتقة هي منه لا بالحدث نفسه كالقصد والاستعداد والقدرة والتقدير والامكان وما في معنى ذلك كالعادة او ما يقرب منها

علمت مما مرّ ان مدلول الصفة واقع بخلاف مدلول المضارع فانه اما في حال الوقوع او انه سيقع وعليه فاذا فهم من الصفة عدم الاتصاف بالحدث او التلبس به فعلاً فلا بد من دلالتها على التلبس بشيء مما له تعلق بالحدث والاّ خرجت عن اصل دلالتها وهذا الشيء انما هو القصد او امرٌ آخر من الامور التي ذكرناها اعلاه واليك شواهد اللغة على ذلك

قال ابن الاثير (وجه ٣٢٧ طبعة بولاق) « ومما اطربني من ذلك حديث الحديبية وهو انه جاء بديل بن ورقاء الخزاعي الى النبي صلعم فقال له اني تركت كعب بن لؤي بن عامر بن كعب (اي اهل مكة) معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت » والشاهد في قوله « وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت » فان التلبس او الاتصاف بالمقاتلة والصد لم يكن حاصلاً لهم بعد فلا بد اذن من اتصافهم اي (اهل مكة) بما له تعلق بالمقاتلة والصد وهو هنا القصد والاستعداد لذلك بدليل ان معهم العوذ المطافيل جرياً على عادة العرب اذا ارادوا القتال ولو ابدلت جملة الشاهد بقولنا « وهم قاصدون قتالك وصدك عن البيت ومستعدون له » لكان منطوق هذه العبارة مساوياً لمفهوم تلك كما لا يخفى على من تدبر

ومثل ذلك ورد قول الاعشى في اعتذاره الى اوس بن لام عن هجائه

اياه وقد اثبتنا مع بيت الشاهد غيره لما فيها من المعاني الشريفة في الالفاظ الخفيفة قال

وإني علَى ما كانَ مِنّي لَنادِمٌ ‏ ‏ وإني الى أوْسِ بنِ لأمٍ لَتائِبُ
وإني الى أوْسٍ لِيَقْبَلَ عِذرَتي ‏ ‏ وَيَصفحَ عنّي ما حَيِيتُ لَراغِبُ
فَهَبْ لي حياتي فالحياةُ لِقائمٍ ‏ ‏ بِشُكرِكَ فيها خَيرُ ما انتَ واهِبُ
سأمحو بمَدْحٍ فيكَ إذْ انا صادِقٌ ‏ ‏ كتابَ هِجاءٍ سارَ إذْ أنا كاذِبُ

ولا يخفى ان دلالة الصفات (نادم) و (تائب) و (راغب) و (صادق) و (كاذب) جارية على اصلها من التلبس بالندم والتوبة الخ لانها كلها اعني الندم والتوبة الخ واقع الاتصاف بها و بيت الشاهد هو الثالث فان القيام بالشكر غير حاصل والشاعر لم يكن قد تلبس به بعد بل الحياة التي يكون فيها الشكر لم تكن بعد وقعت فهو يطلبها منه ليقوم بشكره فيها فاذن المراد بقائم اقتضاءً قاصد القيام ولو قلنا « فهب لي حياتي فالحياة لقاصد القيام بشكرك فيها خير ما انت واهب » لاستوى مفهوم المنطوق في العبارة بمفهوم المدلول في البيت

وعلى هذا النحو ورد قول الفرزدق فجاءت الصفة في كلامه دالة على الاقتدار والاستعداد قال

صَبحناهُمُ الشُّعثَ الجيادَ كأنَّها قَطاً ‏ ‏ هيَّجتهُ يومَ ريحٍ أجادِلُهْ
الى كلِّ حيٍّ قد خطبنا بناتِهم ‏ ‏ بأرْعَنَ جرّارٍ كثيرٍ صَواهِلُهْ
إذا ما اتّقينا أنكحتنا زِماحُنا ‏ ‏ منَ القومِ أبكاراً كِراماً عقائلُهْ
وإنّا لمَناعُونَ تحتَ لِوائِنا ‏ ‏ حِمانا اذا ما عاذَ بالسّيفِ حامِلُهْ

والشاهد في البيت الرابع في قوله (وانا لمناعون تحت لوائنا الخ) فان المفعول من الصفة ليس تلبسهم بالمنع وانه واقع فعلاً بل قصد الشاعر الى ان

يفهم انهم مقتدرون على المنع و بذلك حاصل تلبسهم لما عندهم من اسباب ذلك من الخيول السريعة و كثرة العدد والعُدد على ما وصف في الابيات المتقدمة على بيت الشاهد · ولاقتدارهم على المنع بما عندهم من اسبابه الملازمة جاء بصيغة المبالغة ايضاً ليدلَّ على ان اقتداره على المنع لا يكون لهم لمرة بل لمرّات كلما دعا داعٍ لذلك

ومثله في دلالة الصفة على القدرة قول عمرو بن كلثوم في معلقته

وَقَدْ عَلِمَ القَبائلُ مِنْ مَعَدٍّ إِذا قُبَبٌ بأَبطَحِها بُنِينا
بأَنَّا المُطعِمُونَ اذا شَتَوْنا وأَنَّا المُهلِكُونَ اذا ابْتُلِينا
وَأَنَّا المانِعونَ لِما ارَدْنا وأَنَّا النَّازلونَ بحيثُ شِينا
وأَنَّا التارِكونَ اذا سَخِطنا وأَنَّا الآخِذُونَ اذا رَضِينا
وَأَنَّا العاصِمُونَ إذا أُطِعنا وَأَنَّا العازِمُونَ اذا عَصِينا

فان دلالة الصفة على القدرة في اكثر هذه الابيات مما لا يحتاج لزيادة ايضاح الا المطعمون في البيت الثاني فان دلالتها على العادة اظهر من دلالتها على القدرة كما يبين لك ذلك عند التأمل

ومن امثلة دلالتها على العادة على ما ارى قول الاخطل

مُلَطِّمونَ بأَعقارِ الحِياضِ فما يَنفكُّ مِنْ دارِ مَيٍّ فيهِمِ أَثَرُ

وقول المتنبي

فَيا ابْنَ الطَّاعِنِينَ بكلِّ لَدْنٍ مواضعَ يَشتكي البَطلُ السُّعالا
وَيا ابْنَ الضَّارِبِينَ بكلِّ عَضبٍ مِنَ العرَبِ الأَسافِلَ وَالقِلالا

اي معتادون ان يلطموا ويا ابن المعتادين الطعن والضرب واما دلالتها على التقدير (من قدر الله الشيء) فكقول البحتري

هلِ الشَّبابُ مُلِمٌّ بي فَراجِعةٌ ايامُهُ لِيَ في اعقابِ ايامِ

فانه لا يسأل عن اتصاف الشباب بالالمام به ولا عن اتصاف ايامه بالرجوع له انما هو يسأل عما اذا كان ذلك مقدراً له او عن إمكانه لكن لما كان ذلك مما يعلم عدد امكانه انقلب الاستفهام الى التمني وهو ظاهر وكذلك ورد قول احد العراقيين

وَعما قليلٍ انتَ لا شكَّ صائرٌ الى مالكٍ فأفطنْ لِما انا قائلُ

اي مقدرة لك الصيرورة الى ما لك عما قليل · ومالك الملاك الموكل بالنار ومنه «كل من عليها فانٍ» فان اتصاف كل من عليها بالفناء ليس بواقع فعلاً والواقع فعلاً اتصاف كل من عليها بامكان الفناء او انه مقدر عليه ذلك والامثلة على كل ما ذكرنا كثيرة لا تخفى على من توجه نظره لملاحظتها في كلام الفصحاء واشعارهم والله اعلم

ملاحظات مبنية على ما مرّ

(١) استعمل الافعال والصفات في مواقعها اللائقة بها فان كان مرادك الاتصاف فالصفة اولى وان تصوير الفعل وظهور نتيجته فالمضارع اولى كقولك «العلم مهذب الطباع» اي متصف بصفة هذا شانها فان اردت الى ظهور نتيجته فقل «العلم يهذب الطباع»

(٢) الصفات الثابتة لموصوفاتها لا نعلها الا كذلك والصفات التي اذا تلبست بموصوفاتها لا تفارقها الا لسبب كالصفات الدالة على السجايا والاخلاق وما في معناها جميع هذه لا تستعمل افعالها الا مقيدة بقيد لائق بها ووقوعها في النفي اكثر منها في الاثبات واوقع في النفس فتقول مثلاً «جبل عالٍ» و«زيد سمح شجاع عفيف متواضع حليم صبور ذكي فطن سيد الخ» (لا جبل يعلو) و (زيد يسمح) و (يشجع) الا مع قيد لائق كأن تقول في الاثبات «جبل يعلو كذا قدماً عن سطح البحر» و«زيد يسمح بماله في بناء المجد ويشجع اذا جبن من سواه» وهكذا واما في النفي فكأن تقول «لا يشجع المرء الا لسبب ولا يجبن الا لسبب ولا يذكو العقل الا مع التهذيب ولا يحلم الجاهل الا عن

عجز ولا يتواضع الا عن خوف » وكقولهم « الحسود لا يسود والكريم لا يبخل والحكيم لا يسرف ولا يشتط والمؤمن لا يقنط من رحمة ربه » وهلمَّ جرًّا والمنظور اليه مع الفعل على ما ارى انما هو الى المظاهر المترتبة في الخارج اعني الى ظهور الفعل او ظهور نتيجته فان مفهوم جملة (لا يذكو العقل الا مع التهذيب) مساوٍ لمنطوق جملة (لا يظهر ذكاء العقل الا مع التهذيب) فقس عليه

(٣) ما اقتضى حركة او تقلباً او انتقالاً فالفعل اولى بالدلالة عليه من الصفة كقولك « رأيت البحر تضطرب امواجهُ ويلاطم بعضها بعضاً » و « الاغصان تتمايل والماء يجري او يتسلسل » و « نظرت زيداً يجول في البستان ويركض على الطريق ويرقص ويدور وسمعته يتكلم وينشد ومرَّ تفوح منه رائحة المسك ويسحب اذياله مرحاً ويرفل بالدمقس » الى غير ذلك من الامثلة

واذ فرغنا الان من دلالة الصفة فلننظر في دلالة الجملة الاسمية الواقعة خبراً على ما في القسم السادس من اقسام الخبر ثم في دلالة الجملة الفعلية على ما في القسم السابع

اسناد الجملة الاسمية الى المبتدا

زيدٌ لسانه فصيح

لا يخفى ان التبديل ممكن في صورة هذه الجملة مع بقاء المعنى على حاله فنقول

(ا) زيد لسانه فصيح او

(ب) زيد فصيح اللسان او

(ج) لسان زيد فصيح

الا ان المثال الاول من قبيل الاخبار بالجملة بخلاف الثاني والثالث فانهما من قبيل الاخبار بالصفة وقد مر بك الكلام في دلالة الصفة فان قلت فمتى تستعمل احدى هذه الصور الثلاث دون الاخرى قلت ذلك امر يرجع الى ذوق المتكلم وما يراه من الاعتبارات اللفظية السابقة واللاحقة فان اراد السجع فربما اختار الثانية فقال مثلاً « زيد فصيح اللسان ثبت الجنان وواسطة عقد هذا الزمان » او غيره فغيرها على ما يحلو له وهذا مما لا يقع تحت حصر لاختلاف المقامات والاغراض في الكلام والبحث فيه ضرب من التطويل فلنرجع الى غرضنا من البحث عما في اسناد الجملة الاسمية الى المبتدا من الاعتبارات المعنوية واول ما ننظر فيه تخريج الاعراب ولم اعلم من نقل في (زيد لسانه فصيح) غير وجهٍ واحد وهو ان زيدٌ مبتدا ولسانه مبتدا ثانٍ وفصيح خبر عن المبتدا الثاني والجملة خبر عن زيد مع انه لا مانع اصلاً من اعراب (لسانه) بدلاً من (زيد) . وسواء جرينا على اعراب المعربين او قلنا بالبدل فالغرض منصبٌ الى اللسان والمراد تقريره في الذهن مضافاً اليه حكمه وهو الفصاحة وتعليله العقلي على ما ارى انه عند ذكر زيدٍ (وزيدٌ معرفةٌ) يتنبه العقل الى احضار صورته في الذهن مع مشخصاتها ويتهيا لما يراد نسبته اليها فاذا ذكر لسانه انصرف الذهن اليه دون بقية المشخصات وعلم ان الخبر منصرف اليه خاصة وفي ذلك من التقرير وانصباب الغرض الى اللسان ما لا ينكره الا المتعنت وهذا الاعتبار لا يؤدى على اوضح صورة واقربها للطبع الا بالصورة الاولى

ويمكننا التعليل ايضاً بعبارة اخرى والمآل واحد فنقول انا ابتدأنا بزيد

اولاً فاحضرناه مع اهم مشخصاته في الذهن ثم اخذنا اللسان من بين تلك المشخصات وابتدأنا به ثانية ثم صرفنا اليه الخبر فالغرض اذن منصبٌ الى اللسان وتقريره في الذهن وهو واضح فقس عليه غيره من الجمل كقولنا « زيدٌ نفسه طامحة الى العلا » وامثالها من الجمل الاسمية المسندة الى المبتدا

اسناد الجملة الفعلية الى المبتدا

(المال يعزُّ الذليل) . وهذه الجملة يمكن ان يعتبر فيها عدة اعتبارات منها انا احضرنا صورة المال في الذهن وفكرنا في فوائده او خصوصياته المسلمة عند الجمهور فوجدنا منها انه يعزّ الذليل ودليله انه يمكننا عطف خصوصياته الاخرى التي نعلمها على الفائدة المتقدمة ولا يلحظ السامع في ذلك نبوة ولا خروجاً عن المألوف من سلسلة الافكار الطبيعية نحو « المال يعزّ الذليل و يرفع الوضيع وينوّه بالخامل ويحل لسان الالكن » الخ

ومنها انا فكرنا في زيد وعمرو وبكر وغيرهم ممن كانوا اذلاء فعزوا فرأينا المال سبباً في اعزازهم فبنينا على ذلك حكماً عامّاً يتناول جميع الازمنة الا ان الزمن الماضي منظور اليه من حيث كان سبباً لبنيان الحكم والمستقبل من حيث انه تظهر فيه نتيجته تحقيقاً لعدم تخلف المسبب عن السبب ولما كان المهم معرفة عدم تخلف الحكم في المستقبل لا جرم اتينا بصورة المضارع كما ترى وهذا الاعتبار ملحوظ في كل ما كان من الجمل على هذا النحو نحو « الابن الحكيم يسرّ اباه والابن الجاهل يحزن امه » و « الجواب اللين يصرف الغضب والكلام الموجع يهيج السخط » و « لسان الحكماء يحسّن المعرفة وفم الجهال

ينبع حماقة » و « الذكي يبصر الشر فيتوارى والحمقى يعبرون فيعاقبون »
و « الهدية في الخفاء تفثأ الغضب والرشوة في الحضن تفثأ السخط الشديد »
الخ ومثل هذا قولك « الماء يتألف من عنصرين » فانه حكم عام يتناول جميع
الازمنة الا ان الماضي منظور فيه الى التجربة التي اثبتت صحة هذا الحكم
واما المستقبل فالى ان الحكم ثابت فيه تظهر صحته كلما تكررت التجربة ولهذا
يصح لمن يقول هذه الجملة ان يردفها بقوله « وقد اثبت العلماء بالامتحان صحة هذا
الحكم ويمكنك الان تحقيقه بالتجربة الآتية »

ومما قد يصح اعتباره في مثل هذه الجملة ايضاً القصر إما الحقيقي على
سبيل المبالغة او الاضافي على سبيل القلب او التعيين وعليه فيصح فيها ان
نردف بقولنا (لا غيره) او (لا كذا) نحو « المال يعز الذليل لا غيره » او
« المال يعز الذليل لا عشيرته » وسيأتي معنا الكلام في القصر واحكامه
مفصلاً

ومما يصح اعتباره ايضاً الاختصاص وهو عبارة عن اثبات الحكم او
نفيه عن المخصوص بقطع النظر عن غيره لمزية فيه اي المخصوص توجب
التفات الذهن اليه وعليه فاذا كان المراد اعتبار الاختصاص في جملة المال
يعز الذليل كان المعنى اثبات اعزاز الذليل للمال بقطع النظر عن غيره من
الاسباب الاخرى كالعلم والعشيرة والتقرب من ذوي السلطة والوجاهة فان
جميع هذه لا يراد نفي الحكم عليها بالاعزاز عند ارادة الاختصاص انما يراد
صرف الذهن عنها لحصول الاستغناء عنها بالمال وسيأتي لنا كلام في
الاختصاص والفرق ما بينه وبين الحصر إن شاء الله

تنبيهات

اولاً : اعلم ان الماضي اذا وقع خبراً نحو « المال اعزَّ زيداً » جاز لنا ان نعتبر معه ما اعتبرناه مع المضارع من القصر والاختصاص الا ارادة الحكم العام فانه لا يستعمل بهذا المعنى على ما يشهد به حسن الذوق والبلغاء لا يقولون « المال اعز الذليل » تصويراً لهذا الحكم الكلي اصالة نعم يقولون في سياق البرهان مثلاً « واذا تحقق ان المال اعز الذليل في الماضي كان لنا ان نحكم انه يعزه الآن والى ما شاء الله » فتأمل

ثانياً : الصفة ادل على التحقق من المضارع لانها تدلُّ على الاتصاف اما بسبب الحدث او بما له تعلق به كالقصد وغيره مما مرَّ بك وعليه فقولنا (العلم مهذب الطباع) ادلُّ على التحقق من قولنا العلم يهذب الطباع لاعتبارنا اتصافه بخاصة اوسبب من شأنه التهذيب في المثال الاوَّل ومجرَّد الحكم بحصول التهذيب في الثاني ولا يخفى ان اقتران الحكم بما يشير الى سببه ادلُّ على تحقق وقوعه من ارساله بدونه . وأما قوله (وهم مقاتلوك وصادوك) فواضح انها ادل على التحقق من قوله (وهم سيقاتلونك و يصدونك) لدلالتها على الاتصاف بالقصد والاستعداد كما علمت ذلك فيما مرّ

ثالثاً : الماضي ادل بطبعه من المضارع على تحقق الوقوع والمضارع ادل بطبعه من الماضي على استمرار الوقوع او تجدد حدوثه . والمضارع ايضاً يلمح بطبعه الى الزمان الماضي ويدل عليه اكثر مما يلمح الماضي الى زمان الحال او المستقبل ويدل عليه . وعليه فقولك (زيد احسنَ الى الفقراء) ادل على التحقق من قولك (زيد يحسن الى الفقراء) الاان استمرار تجدد حدوث الفعل مدلول عليه بلفظ (يحسن) اكثر كثيراً مما بلفظ (احسن) وفضلاً عن ذلك انه يفهم من لفظ (يحسن) كونه قد أحسن في الماضي اكثر كثيراً مما يفهم من لفظ (أحسن) انه سيحسن في المستقبل بل كثيراً ما نقول (زيد لا يحسن الى الفقراء) ونريد (انه ما احسن اليهم) والخلاصة ان المضارع قد يفهم منه الماضي مع الايماء الى المستقبل لاسيما بعد (لو) كقول التنزيل (ولو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) اي (لو اطاعكم) فانه مع افادته الدلالة على الماضي يفيد ايضاً الايماء الى ان ترتب الجواب على الشرط ثابت في المستقبل ايضاً . ولفظ المضارع ادل على هذه النكتة من لفظ الماضي كما يظهر عند التأمل والله اعلم

فصل في تاثير النفي في جملة المبتدا والخبر

لسهولة الكلام نقسم الخبر الى مفرد وجملة

الخبر المفرد

ولا يخلو اما ان يكون مكاناً للمبتدا او زماناً له او صفة من صفاته او موصوفاً آخر هو اما نفس المبتدا في المعنى او غيره يقصد تشبيه الخبر به واليك امثلة ذلك على ما مرَّ بك قبيل الآن

(١) زيد عندك (مكانه)

(٢) الاجتماع غداً (زمانه)

(٣) زيد مسافر او عالم (صفة من صفاته)

(٤) زيد اخوك (جامد نفس المبتدا في المعنى)

(٥) زيد اخوه او اسد (اي كاخيه او كالاسد)

ولا يخفى ان الاسناد في المثال الاول يراد به ثبوت الوجود لزيد مقيداً بالمكان فاذا دخل النفي عليه نفى القيد فقط دون الوجود المسند الى زيد وهو ظاهرٌ نحو « ما زيدٌ عندك » ومثله المثال الثاني الا ان الوجود مقيد بالزمان فينتفي الزمان بدخول النفي نحو « ما اجتماع الجمعية غداً » فان المنفي انما هو كون الاجتماع غداً لا مطلق وقوعه وهو ظاهر ايضاً . فاذا اجتمع الزمان والمكان معاً كقولنا مثلاً « ما اجتماع الجمعية عندك غداً » فالامَ يتوجه النفي ؟ قلنا لما كان كل من الزمان والمكان خبراً كان المتأخر منهما قيداً للآخر فيتوجه اليه النفي دون صاحبه فاذا قلت « الاجتماع غداً في بيت زيد » فقد اردت الاخبار

عن زمن الاجتماع وقيدته بالمكان فاذا نفيت فقلت « ليس الاجتماع غداً في بيت زيد » لم يكن المقصود من الجملة نفي الاجتماع غداً بل نفي انه غداً في بيت زيد وبالعكس اذا قدَّمت المكان فان الزمان المتأخر يصبح قيداً له فيتوجه اليه النفي خاصة · بقي انه اذا ادخلت النفي على الزمان او المكان مقدماً على المبتدا كقولك « ليس غداً الاجتماع في بيت زيدٍ » فما المراد من الجملة حينئذٍ ؟ قلت المراد توجه النفي الى المتقدم تنصيصاً مع ارادة القصر قلباً او تعييناً اي ليس غداً الاجتماع في بيت زيدٍ بل بعد غدٍ اوفي زمان آخر واولى بمثل هذا الكلام ان يكون مع من ينازع ان الاجتماع في بيت زيد غداً وانت تعلم ان الاجتماع في بيت زيد لكن في غير ذلك الزمان فتقلب له حكمه من جهة الزمان · او لا يدري أغداً الاجتماع ام بعد غدٍ فتعينه له

واما الجملة الثالثة اي « زيدٌ مسافر او عالم » فيراد بها ثبوت الاتصاف لزيد بالسفر او بالعلم ولذلك فالنفي الداخل عليها يتوجه الى هذا الاتصاف فينفيه على انه قد يراد احياناً نفي الاتصاف عن المسند اليه واثباته لغيره الا ان هذا لا بد معه من قرينة يدل عليها الكلام على ما جاء في التنزيل « وما انت علينا بعزيز » والا انصرف النفي الى الاتصاف لا غير · واعلم ان حكم الصفة هنا حكم الفعل المسند الى الفاعل في انه اذا تقيدت الصفة بقيد من القيود انصرف النفي اليه كقولنا « ما زيد مسافراً اخوه » و « ما زيدٌ عالمًا بالنحو » فاذا قيدت المثالين بقيد آخر زيادة على القيد الاول انصرف النفي الى القيد الزائد نحو « ما زيد مسافراً اخوه الى دمشق » و « ما زيد عالمًا بالنحو كعمرو » وهكذا · واما المثال الرابع اي « زيد اخوك او اخو عمرو » فلا خفاء ان

المراد بالاسناد كونهما شخصاً واحداً فاذا انتفى الاسناد انتفى تساويهما ثبتت المغايرة بينهما وهو ظاهر . فاذا قلت « ليس زيدٌ اخاك » وانت تعلم انه اخوه فماذا يراد بالنفي حينئذٍ ؟ قلت لا يراد بالاخ حينئذ المعنى المجعول له وضعاً بل شيئاً من لوازم الاخوّة كالنصرة والمساعدة والوفاء المعهود بين الاخوة وهذا الشيء هو المراد اسناده في قولنا « زيد اخوك » فاذن ينتفي هذا المراد مع عدم انتفاء المعنى الوضعي للاخ ويكون المقصود من الجملة المنفية حينئذ « ان زيداً الذي هو اخوك لما كان لا ينصرك ولا يفي حق الاخوة لك فحكمه حكم الاجنبي لا الاخ » وهو ظاهر ايضاً عند التأمل

بقي المثال الخامس « اي زيد اخوه او اسد » ولما كان الاسناد لاثبات المشابهة لا جرم انتفت المشابهة بدخول النفي اي ان قولنا « ما زيد اخاه » مساو لقولنا « زيد لا يشبه اخاه » فاذا زيد قيد على هذه الجملة كقولنا « زيد اخوه في فعاله » انصرف النفي اليه وهكذا . فان قلت فكيف تصرف النفي الى المقال لوحده او الفعال لوحده في قولك « زيد اخوه في مقاله وفعاله » ؟ قلت اقول « زيد اخوه في مقاله لا في فعاله » او « في فعاله لا في مقاله » واتخلص من كل هذا التطويل والفلسفة

واعلم انه يمتنع في الخبر المفرد ان يتقدم عليه النفي دون المبتدا فلا يقال لغة « زيد ما في الدار » ولا « زيد ما مسافر » ولا « الاجتماع ما غداً » فان قلت يقولون « زيد ليس في الدار » و « ليس مسافراً » قلت يقدّرون (لليس) اسماً فيصير حكم المثال حكم « ليس زيد في الدار » والله اعلم

تأثير النفي مع الخبر الجملة

لا يخلو اما ان يكون الخبر جملة اسمية كقولنا « زيد لسانه فصيح » او فعلية كقولنا « المال يعز الذليل » وفي كل منهما كلام اليك هو

الجملة الاسمية

اذا قلت « زيد لسانه فصيح » كان في الجملة احتمالان اما الاوَّل فارادة القصر (ومدلول هذه الجملة مع ارادة القصر مساوٍ لمنطوق قولنا زيد لسانه فصيح دون غيره او دون عمرو) وهذا الاحتمال لا بد من قرينة تدل على ارادته كدلالة المقام او غيرها واما الاحتمال الثاني فارادة مجرد الاخبار عن لسان زيد بالفصاحة مع انصباب الغرض الى اللسان كما مرَّ بك وهذا الاحتمال اولى من الاول عند فقد القرينة وينبغي صرف المعنى اليه

واذ مهدنا ما مهدنا نقول اذا دخل النفي على مثل هذه الجملة نحو « ما زيد لسانه فصيح » كان المراد على الاحتمال الاول ان فصاحة اللسان منفية عن زيد ثابتة لغيره واما على الاحتمال الثاني فلا يتعدى معنى الجملة نفي فصاحة اللسان عن زيد ويكون حكم (ما زيد لسانه فصيح) حكم (ما زيد فصيح اللسان) سوى ان الغرض منصب الى اللسان على ما علمته في الكلام عن الخبر الجملة

الجملة الفعلية

اذا قلت « ما المال يعزُّ الذليل » احتمل الكلام نفي الاعزاز عن المال مطلقاً او ارادة القصر او الاختصاص له والاحتمال الثاني اولى من بقية

الاحتمالات ولا يدل عنه الا لدليل او قرينة صريحة تمنع من ارادة القصر وذلك لاسباب

(اولاً) انه ورد في فصيح اللغة ونص عليه ايمتها كقول الرسول صلعم «ما انا حملتكم ولكن الله حملكم» وكقول المتنبي

وما انا أسقمتُ جسمي بهِ ولا انا اضرمتُ في القلب ناراً

اي بل غيري وكقوله ايضاً

وَما انا وَحدِي قُلتُ ذَا الشِّعرَ كُلَّهُ وَلكنْ لِشعرِي فيكَ منْ نَفْسِهِ شِعرُ

وكقول الآخر

امُرُّ عَلَى الدِّيارِ دِيارِ لَيلى فأَلثِمُ ذَا الجِدارَ وَذا الجِدارا
وَمـا حبُّ الديار شَغَفْنَ قلبي وَلكن حبُّ مَن سكنَ الدِيارا

(ثانياً) لو اردت في قولك «ما المال يعزُّ الذليل» مجرد نفي الخبر عن المبتدا لكان الاولى ان يقال «المال لا يعزُّ الذليل» بتقديم النفي على الخبر فقط او «لا يعزُّ المال الذليل» بصورة الفعل والفاعل وتقديم النفي على الفعل وترك هذه الاولوية من دون غرض ولا سبب عبث في كلام البلغاء فلا بد اذن من سبب لعدولهم عنها وليس هو سوى ارادة نفي الخبر عن المبتدا واثباته لغيره، وهو المراد من القصر، على ما تبين مما عقبوا به كلامهم كما رأيت في الامثلة المارة. فان قلت ان المحافظة على الوزن او حسن الرصف دعت الى التقديم المذكور قلنا ان وروده في الكلام المنثور نحو «وما انا حملتكم ولكن الله حملكم» لا يصح معه ادّعاء المحافظة على الوزن واما حسن الرصف فالذوق السليم شاهد على انه لا يراد هنا ولا من موقع له فان «ما انا حملتكم» ليس

فيها من حسن الرصف ما يزيد قولنا « ما حملتكم » او « ما حملتكم انا » كما لا يخفى على المتأمل

والخلاصة ان الخبر الفعلي اذا تقدم حرف النفي عليه وعلى المبتدا معاً كان المراد تخصيص الخبر بالمبتدا منفياً عنه ثابتاً لغيره الا اذا دلت قرينة صريحة على ارادة مجرد النفي لا غير واذا تقدم النفي على الخبر فقط كان المراد تخصيصه بالمبتدا منفياً عنه بقطع النظر عن ثبوته لغيره الا اذا دلت قرينة على الثبوت ولا بد من ان تكون صريحة والا فلا يعتد بها

فصل في (كل) [1]

كل اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر نحو (كل نفس ذائقة الموت) والمعرف المجموع نحو (وكلهم آتيه) واجزاء المفرد المعرّف نحو (كل زيد حسن) فاذا قلت (اكلت كل رغيف) كانت لعموم الافراد فان اضفت الرغيف الى زيد صارت لعموم اجزاء فردٍ واحد — وترد (كل) باعتبار كل واحد مما قبلها ومما بعدها على ثلاثة اوجه اما اوجهها باعتبار ما قبلها (فاحدها) ان تكون نعتاً لنكرة او معرفة فتدل على كما له وتجب اضافتها الى اسم ظاهر يماثله لفظاً ومعنىً نحو (اطعمناهُ شاة كل شاة) وقوله

وان الذي حانت بفلج دماؤُهم هم القوم كل القوم يا أُمَّ خالد

(والثاني) ان تكون توكيداً لمعرفة — او لنكرة محدودة وعليهما ففائدتها العموم ويجب اضافتها الى اسم مضمر راجع الى المؤكد نحو (فسجد الملائكة كلهم) قال ابن مالك وقد يخلفه الظاهر كقوله

كم قد ذكرتك لو اجدى تذكركم يا اشبهَ الناس كل الناس بالقمر

---

(١) وقد نقلناه عن مغني اللبيب وجه ١٦٤ طبع مصر سنة ١٣٠٢ لما رأينا فيه من الفائدة النحوية والبيانية وقد تركنا بعض ما يمكن الاستغناء عنه وهو مما لو ذكر لشوّش على كثيرين من الطلبة والقرّاء

ومن توكيد النكرة بها قوله

نَلبَثُ حَوْلاً كاملاً كُلُّهُ   لا نلتقي إلاَّ علَى مَنهجِ

(والثالث) ان لاتكون تابعة بل تالية للعوامل (قال العلامة الامير لعله اراد التلوّ المعنوي اي التأثر ليشمل الابتداء) فتقع مضافة للظاهر نحو «كلُّ نفس بما كسبت رهينة» وغير مضافة نحو «وكلاًّ ضربنا له الامثال»

واما اوجهها الثلاثة التي باعتبار ما بعدها (فالاول) ان تضاف الى الظاهر وحكمها ان يعمل فيها جميع العوامل نحو «اكرمت كل بني تميم» (والثاني) ان تضاف الى ضمير محذوف ومقتضى كلام النحويين ان حكمها كالتي قبلها ووجهه انهما سيان في امتناع التاكيد بهما و (الثالث) ان تضاف الى ضمير ملفوظ به وحكمها ان لا يعمل فيها غالبًا الا الابتداء نحو «إن الامر كله لله» فيمن رفع كلا ونحو «وكلهم آتيه» — (فصل) واعلم ان لفظ (كل) حكمه الافراد والتذكير وان معناها بحسب ما تضاف اليه فان كانت مضافة الى منكر وجب مراعاة معناها فلذلك جاء الضمير مفرداً مذكراً في نحو «وكل شيء فعلوه في الزبر» و «كل انسان الزمناه» وقول ابي بكر وكعب ولبيد رضي الله عنهم

كلُّ امْرِىءٍ مُصبَّحٌ في أهلِهِ   وَالمَوْتُ ادنى من شِرَاكِ نعلِهِ

كلُّ ابنِ أُنثى وإن طالَت سلامتُهُ   يوماً علَى آلةٍ حدباءَ محمولُ

ألاَ كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ   وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائِلُ

وقول السموأل

إذَا المَرْءُ لم يَدْنَسْ منَ اللؤمِ عِرضُهُ   فكلُّ رِداءٍ يَرتَديهِ جَميلُ

ومفرداً مؤنثاً في قوله تعالى (كل نفسٍ بما كسبت رهينة كل نفسٍ ذائقة الموت)

ومثنى في قول الفرزدق

وكلُّ رَفيقَيْ كلِّ رَحْلٍ وإنْ هُما   تعاطَى القَنا قَوْماهُما أَخَوانِ

ومجموعاً مذكراً في قوله تعالى (كل حزبٍ بما لديهم فرحون) وقول لبيد

وكلُّ أُناسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بينهم   دُوَيْهِيَةٌ تَصفَرُّ مِنها الأناملُ

ومؤنثاً في قول الاخر

وكلُّ مُصيباتِ الزَّمانِ وَجدتها   سِوَى فِرقَةِ الأَحبابِ هيِّنَةَ الخَطْبِ

وهذا الذي ذكرناه من وجوب مراعاة المعنى مع النكرة نص عليه ابن مالك ورده ابوحيان بقول عنترة

جَادَتْ عليهِ كلُّ عينٍ ثَرَّةٍ فتَرَكْنَ كلَّ حديقةٍ كالدرهمِ

فقال تركن ولم يقل تركت فدل على جواز كل رجل قائم وقائمون والذي يظهر لي خلاف قولهما وان المضافة الى المفرد إن أُريد نسبة الحكم الى كل واحدٍ وجب الافراد نحو (كل رجل يشبعه رغيف) او الى المجموع وجب الجمع كبيت عنترة فان المراد ان كل فردٍ من الاعين جاد وان مجموع الاعين تركن وعلى هذا فتقول (جاد عليَّ كل محسن فاغناني) او (فاغنوني) بحسب المعنى الذي تريده — وان كانت (كل) مضافة الى معرفة فقالوا يجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها — والصواب ان الضمير لا يعود اليها من خبرها الا مفرداً مذكراً على لفظها نحو (وكلهم آتيه يوم القيامة) (الآية) وقوله تعالى فيما يحكيه عنه نبيه عليه الصلاة والسلام (ياعبادي كلكم جائع الا من اطعمته) الحديث . وقوله عليه الصلاة والسلام (كلُّ الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها . كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته وكلنا لك عبد) — ومن معناها الجمع فان قطعت عن الاضافة لفظاً فقال ابو حيان يجوز مراعاة اللفظ نحو (كلٌّ يعمل على شاكلته) — ومراعاة المعنى نحو (وكلٌّ كانوا ظالمين) والصواب ان المقدر يكون مفرداً نكرةً فيجب الافراد كما لو صرّح بالمفرد ويكون جمعاً معرّفاً فيجب الجمع وان كانت المعرفة لو ذكرت لوجب الافراد ولكن فعل ذلك تنبيهاً على حال المحذوف فيهما فالاول (كل يعمل على شاكلته كلٌّ آمن بالله كل قد علم صلاته وتسبيحه) اذ التقدير كلُّ احد والثاني نحو (كلٌّ له قانتون كلٌّ في فلك يسبحون وكلٌّ آتوه داخرين وكلٌّ كانوا ظالمين) اي كلهم

مسئلتان ونهمنا الأُولى منهما

(الأُولى) قال البيانيون اذا وقعت (كلٌّ) في حيز النفي كان النفي موجهاً الى الشمول خاصة وافاد بمفهومه ثبوت الفعل لبعض الافراد كقولك (ما جاء كل القوم) و (لم آخذ كل الدراهم) و (كل الدراهم لم آخذ) وقوله (وما كل رأي الفتى يدعوا الى رشد) وقوله (ما كل ما يتمنى المرء يدركه) وان وقع النفي في حيزها اقتضى السلب عن

كل فرد كقوله عليه الصلاة والسلام لما قال له ذو اليدين (أنسيت ام قصرت الصلاة كلُّ ذلك لم يكن) وقول ابي النجم

قد أصبحتْ أمُّ الخيارِ تدَّعي عليَّ ذنبًا كلُّهُ لم أصنعِ

وقد يشكل على قولهم في القسم الاوَّل قوله (والله لايحب كل مختال فخور) وقد صرَّح الشلوبين وابن مالك في بيت ابي النجم بانه لافرق في المعنى بين رفع (كل) ونصبه وردَّ الشلوبين على ابن ابي العافية اذ زعم ان بينهما فرقًا والحق ما قاله البيانيون والجواب عن الآية ان دلالة المفهوم انما يعوَّل عليها عند عدم المعارض وهو هنا موجود اذ دل الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقًا . (انتهى ما اردنا نقله عن العلامة ابن هشام بلفظه مع بعض الحذف كما اشرنا)

فصل في ترتيب جملة المبتدا والخبر

علمت فيما مرَّ ان المبتدا مقدم طبعًا على الخبر وانه هو الذي يخطر اولاً في الذهن ثم حكمه المتعلق به وعليه فالترتيب الغالب ان نذكر المبتدا اولاً ثم الخبر وهذا يكاد يكون مطردًا فيما اذا كان الخبر صفة المبتدا . كزيد فاضلٌ . والادب حلية . والمعرفة قوةٌ . او جملة خبرية مسندة اليه كقوله

أَلعلمُ يبني بيوتًا لا عِمادَ لها والجَهلُ يهدِمُ بيتَ العِزِّ والحَسبا

و كقول الآخر

هُمُوا طرَّفوا عنها بَلِيًّا فاصبحت بَلِيٌّ بوادٍ من تِهامةَ غائرِ

و كقول الآخر

أَللهُ اعطاكَ الّذي أعطيتَهُ وحَباكَ بالفضلِ الذي لا يُنكَرُ

وامثلة ذلك كثيرة

و كذلك اذا كان المبتدا اسم اشارة او ضميرًا لمتكلم او لمخاطب فانه اول

ما يخطر حينئذٍ في الذهن ولذلك فيقدم لفظاً وفقاً لتقدمه ذهناً واليك بعض الشواهد على ذلك

ذِي المَعالي فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تَعالى ... هٰكَذا هٰكَذا وإلاَّ فلاَ لاَ
ونحو : هذا ابو الصَّقْرِ فَرْداً في محاسِنِهِ ... من نسلِ شَيْبانَ بينَ الضَّالِ وَالسَّلَمِ
ونحو : هذا المُعَدُّ لِرَيبِ الدهرِ مُنصَلِتاً ... أَعَدَّ هذا لِرأسِ الفارسِ البَطَلِ
ونحو : انا الذي نَظَرَ الأَعمى الى أَدَبي ... وَأَسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بهِ صَمَمُ
ونحو : انا لائِمي ان كُنتُ وَقتَ اللَّوائِمِ ... عَلِمْتَ بما بي بينَ تلكَ المَعالِمِ
ونحو : وَالهَجْرُ أَقتَلُ لي مِمَّا أُراقِبُهُ ... انا الغَرِيقُ فما خَوْفي مِنَ البَلَلِ
ونحو : وَأَنتِ التي أَخْلَفْتِني ما وَعَدتِني ... وَأَشْمَتِّ بي مَنْ كانَ فيكِ يَلُومُ
ونحو : انتِ مِنَّا فَتَنْتِ نَفْسَكِ لكِنَّـ(م) ... ـكِ عُوفِيتِ مِنْ ضَنىً وَاشتِياقِ
ونحو : انتَ اعلَى محلَّةً أَنْ تُهَنَّا ... بِمَكانٍ في الأَرْضِ او في السَّماءِ

الى غير ذلك من الامثلة التي لا تحصى . ولو ان كل جملة موءلفة من المبتدا والخبر بحسب الصناعة يراد بها مجرد الاخبار اوقصد افادة المخاطب حكماً بامر على آخر مجهول عنده لكان قلما يختلف الترتيب الذي ذكرناه الا أنه كثيراً ما يراد بالمبتدا والخبر اظهار انفعالات نفسانية كالتعجب والاستعظام والدعا والمدح والذم واشباه ذلك من الاغراض المعنوية فضلاً عما يعرض من الاغراض اللفظية مما يدعو الى عكس الترتيب الذي ذكرناه وتقديم الخبر . ولو انه يتهيأُ لكل منشم بحرفة الادب ان يقف على كلام البلغاء ويوفيه حقه من التأمل والنظر لوكلنا الى حسن ذوقه معرفة المواطن التي يتقدم فيها المبتدا والمواطن التي يتقدم فيها الخبر . ولتعذر هذا على كثيرين رأينا ان نذكر

بعض الملاحظات يستعين بها المبتدي على معرفة بعض المواطن التي يتقدم فيها كلٌّ من المبتدا والخبر على الآخر واليك هي

ملاحظات على تقديم المبتدا

(١) قدم المبتدا اذا كان في تقديمه تشويق الى الخبر نحو « ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

وكقوله : وَالذِي حارَتِ الْبرِيَّةُ فيهِ   حَيَوَانٌ مُستحدَثٌ منْ جَمادِ

وكقول الآخر

إنَّ الّتي زَعَمتْ فُؤادَكَ مَلَّهَا   خُلِقَتْ هَوَاكَ كما خُلِقتَ هوًى لها

(٢) قدم المبتدا اذا طال الخبر اما لتعدد الاخبار او لكثرة القيود في الخبر وسببه في الغالب ان الذهن يشق عليه توقفه في انتظار المبتدا ليسند اليه الخبر ولانه قد يغفل عن اوائل الخبر وارادة حملها على المبتدا كقولك « الادب آلة يستعين بها الفقير وحلية يتزين بها الغني » ونحو « أنتِ جميلةٌ يا حبيبتي كترصة حسنة كأُورشليم مرهبة كجيش بالوية » ونحو « عنقك كبرج داود المبني للأَسلحة الف مجنّ علق عليه كلها اتراس جبابرة »

واعلم انه اذا طال الخبر وتعدد فكثيراً ما تقتضي البلاغة اعادة المبتدا لئلا يغفل الذهن عنه

(٣) قدم المبتدا اذا تقيد المبتدا باحد القيود التي يمكن ان يصدق الاسناد اليه بدونها كقولك « العلم وان ضاق بصاحبه الرزق خير من الجهل وان اتسعت بصاحبه كل أسباب الرّزق »

(٤) قدم المبتدا اذا كان الحكم المسند اليه عاماً او بمنزلة العام كقوله

وكُلُّ فتىً يُولي الجميلَ مُحَبَّبٌ وكُلُّ مكانٍ يُنبِتُ العِزَّ طَيِّبُ

وكقوله: وكثيرٌ مِنَ السُّؤالِ اشتياقٌ وكثيرٌ مِنْ رَدِّهِ تعليلُ

وكقوله: ما كلُّ ما يتمنى المرءُ يُدرِكُهُ تجري الرِّياحُ بما لا تشتهي السُّفُنُ

وكقوله: وَمُرادُ النُّفُوسِ أَصغرُ مِنْ أَنْ تتعادَى فيهِ وأَنْ تتفانى

وكقوله: وَاسرَعُ مفعولٍ فعلتَ تغيُّراً تكلُّفُ شيءٍ في طِباعِكَ ضِدُّهُ

وكقوله: وَما كلُّ هاوٍ للجميلِ بفاعلٍ وَلا كلُّ فعَّالٍ لهُ بمُتَمِّمِ

(٥) قدم المبتدا اذا كان الخبر مشبهاً به بعد كاف التشبيه كقوله «ليس التكحل في العينين كالكحل» وكقوله

وما صبابةُ مُشتاقٍ على املٍ مِنَ اللقاءِ كمُشتاقٍ بِلا املِ

ما أوجُهُ الحضَرِ المستحسَناتُ بهِ كأوجُهِ البدويّاتِ الرّعابيبِ

وَالعُمرُ كالكأسِ تُستحلى اوائلُهُ لكنَّهُ رُبَّما مُجَّتْ اواخِرُهُ

(٦) قدم المبتدا اذا خلا الذهن عنه وعن الخبر وهو كثير شائع وسببه ان الذهن ينتظر بطبعه الحكم بعد المحكوم عليه والخبر بعد المخبر عنه

(٧) لا تنس في تقديم المبتدا المواطن التي نص عليها النحاة في مطوّلاتهم

ملاحظات على تقديم الخبر

(١) قدم الخبر في مقام التعجب والاستعظام والمدح والذم والترحم والتقديس والتنزيه والدعاء واشباه هذه الاغراض التي يشف فيها الخبر عن انفعالات في النفس نحو «لله انت» «لله درك». «لله ما صنعت». «عظيمة هي اعمالك يارب». «عظيمةٌ هي ارطاميس الافسسيين». «نعم الرجل زيد». «نعم الداردار الاخيار وبئس الداردار الفجار». «ملعونة الارض بسببك».

« ملعون كل من ينتسب الى غير ابيه » . « مسكين ابن آدم ما اكثر امله واقل عمله » .

مساكينُ اهلُ العِشقِ حتى قُبورُهم عليها تُرابُ الذُلِّ دُونَ الخلائقِ

« مبارك انت يارب اله ابائنا » . « مبارك الرب صخرتي الذي يعلم يديَّ القتال واصابعي الحرب » . « قدوسٌ قدوسٌ رب الصباأوت » . «متعال انت عن ادراكنا وبعيدة افكارك عن افكارنا وطرقك عن طرقنا » . « معمورة دارك » .

في ذِمَّةِ اللهِ من اصبحَتْ منزِلَهُ وَجادَ غَيثٌ على مَغناكِ يُمرِعُهُ
حَرامٌ عَلَى قلبي السُّرُورُ فإنني أعُدُّ الذي ماتت بـهِ بعدَها سُمَّا

(٢) قدم الخبر المشبه به اذا عقبته لفظة (هكذا) قبل ذكر المبتدا ولا يكون المشبه به هنا الاَّ متعارفاً مشهوراً نحو « كالسوسنة بين الشوك هكذا حبيبتي بين البنات . كالتفاح بين شجر الوعر هكذا حبيبي بين البنين تحت ظله اشتهيت ان اجلس وثمرته حلوة لحلقي » فانه الطف وابلغ من العكس كما لا يخفى على ذي ذوق سليم

(٣) اذا كان الخبر معلوماً او مشخصاً لدى المتكلم مسنداً الى فرد لا على التعيين من افراد موصوف نكرة او مخصص بوصف او اضافة كقوله

أَهْلٌ ما بيْ منَ الضَّنَى بَطلٌ صِيْدَ (م) دَ بتصفيفِ طُرَّةٍ وَبجيدِ

وكقولهِ : مَفرَشي صهوَةُ الحصانِ وَلكنَّ قَميصِي مَسرُودَةٌ منْ حديدِ

وكتمثيل النحاة « عندي كتاب وفي الدار رجل » وربما ينازع في (مفرشي) انها المبتدا والمتأمل يرى انها اولى بان تكون خبراً لان تشبيه صهوة الحصان بالمفرش أظهر وانسب من العكس

(٤) قدم الخبر في المواطن التي ذكرها النحاة في مطولاتهم وصرحوا انه يجب فيها تقديم الخبر وامثلة ذلك كثيرة قد عرفتها من النحو فلا حاجة بك لاعادة ذكرها

الترتيب بين متعلقات المبتدا والخبر

بقي ان نشير الى متعلقات المبتدا والخبر والترتيب بينها وهنا نقول ان الاصل ان يذكر المبتدا ومتعلقاته ثم الخبر ومتعلقاته او بالعكس كما رأيت في اكثر الامثال المارّة الا انه قد يمكن مخالفة هذا الترتيب فيتقدم بعض معمولات الخبر اوكلها عليه وقد يتقدم بعضها او كلها على المبتدا ايضاً اما متعلقات المبتدا فقلما تقع بعد الخبر الا نادراً وفيما اذا كانت ظرفاً ايضاً لكن هذا التقديم والتأخير لا يكون غالباً الا لغرض كالمحافظة على الوزن او القافية او الفاصلة او لحسن الرصف ولا بدّ معه من المحافظة على منع الالتباس وتجنب التعقيد على ما مرّ بك في ترتيب الجملة الفعلية ولولا خوف الاطالة لاكثرنا لك من ضرب الامثلة على اننا مع ذلك نذكر لك المثال الآتي والتراكيب الجائزة فيه لتقيس غيره عليه (لا يذهب عليك ان باب النواسخ من قبيل المبتدا والخبر . (والمثال منقول عن كتاب المعاني والبيان للاب شيخو اليسوعي طبع بيروت) واليكه

«لا برحت شموس سعوده في دوائر النصر دائرة . واقمار اقباله في افلاك العز سائرة . وطوالع جده على الآفاق مشرقة . وكواكب مجده بنجوم السعد محدقة » . واليك التراتيب الممكنه الجائزة في الجملة الاولى مع بقاء المعنى على حاله من غير التباس ولا تعقيد

(١) لا برحت شموس سعوده دائرة في دوائر النصر (ب) واقمار اقباله سائرة في افلاك العز

(٢) لا برحت في دوائر النصر شموس سعوده دائرة (ج) وفي افلاك العز اقمار اقباله سائرة

(٣) لا برحت في دوائر النصر دائرة شموس سعوده (د) وفي افلاك العز سائرة اقمار اقباله

(٤) لا برحت دائرة شموس سعوده في دوائر النصر (ه) وسائرة اقمار اقباله في افلاك العز

(٥) لا برحت دائرة في دوائر النصر شموس سعوده (و) وسائرة في افلاك العز اقمار اقباله

فهذه خمس صور ما خلا الصورة الاصلية وجميعها جائزة لعدم وقوع التباس او تعقيد في شيء منها اما اختيار احدى هذه الصور دون الاخرى فراجع الى ترجيح الكاتب وبه يظهر حسن ذوقه اذا كان بينها تفاوت . واعلم انك ايَّ ترتيب اخترت فيقضي عليك غاية المطابقة ان تجري عليه في الجمل المعطوفة كما ترى في الاحرف الابجدية قبالة الارقام الهندية والله اعلم

فصل في حذف المبتدا وذكره

قبل ان نذكر لك شيئاً عن حذف المبتدا او ذكره لا نرى بدًّا من اعادة القول ان الاختصار مطلوب في اللغة وان تكليف الذهن للانتباه الى ما هو في غنى عن الانتباه اليه مخالف للبلاغة . ومن جهة اخرى نقول ان المطلوب باللغة في اكثر الاحيان تمكين الفكر في ذهن السامع لا مجرد نقله اليه كيف اتفق ولذلك فمجرد التعبير عن الفكر من دون مبالاة في كيفية ايصاله الى ذهن السامع وتقريره فيه ايجاداً لاثره المقصود في النفس على ما هي الغاية من التخاطب والتفاهم مخالف للبلاغة ايضاً فاذا كان ذكر المبتدا مثلاً لا يزيد في تقريره في النفس او لا فائدة من تقريره فيها وسيان من هذا القبيل ذكره

وحذفه فالاولى حذفه ما لم يكن هنالك غرض لفظي لذكره كالمحافظة على وزن او قافية وعلى العكس اذا كان المقصود تقريره في النفس لغاية من الغايات ولا يتأتى التقرير بدون اعادة ذكره امتنع حذفه وان وجد الف قرينة تدل على الحذف والمحذوف معاً والف غرض ايضاً من الاغراض اللفظية الداعية الى الحذف كالمحافظة على وزن او قافية او فاصلة او رعاية لمطابقة او حسن رصف فاعرف هذا

ثم نقول لك ايضاً ان الحكم على هذا الفكر او على هذا المبتدا انه يلزم ذكره لتقريره في الذهن وعلى ذاك انه لا يلزم جميع ذلك مما لا يمكن وضع ضابط له اصلاً والكلام فيه ضرب من العبث بل ذلك امر موكول الى حسن ذوقك لا يراجع فيه الا نفسك وبه يظهر فضل بلاغتك ومتانة تراكيبك ان خطاباً او كتابة وغاية ما هنالك انه يمكن لنا التنبيه الى بعض الاغراض التي يصح معها الحذف او الذكر اما ان هذه الاغراض متحققة في هذا الموقف دون ذاك فلا واليك بعض هذه الاغراض

الاغراض التي تدعو الى حذف المبتدا

اعلم اولاً انه لا يصح الحذف الا اذا وجدت قرينة تدل على المحذوف اما القرينة وتكون معنوية او لفظية فلا يمكن وضع ضابط لها بل تعرف من كل مقام بحسبه بخلاف الاغراض فانه يمكن التنبيه اليها واليك اشهرها على ما ذكره البيانيون

(١) احترازاً عن العبث في الكلام . ومعنى ذلك على ما ارى ان الذكر لا يزيد الكلام قوة ولا يساعد على سهولة الفهم كجواب من تسأله « الى اين

انت ذاهب » فيقول لك « الى المدينة » فان ذكر « انا ذاهب » من العبث في الكلام كما لا يخفى وارى منه قول القائل

وإني من القوم الذين هُمُ هُمُ ... إذا ماتَ منهم سيّدٌ قامَ صاحبُهُ
نُجومُ سماءٍ كُلَّما غابَ كوكبٌ ... بَدا كوكبٌ تأوي إليهِ كواكبُهُ

فان التقدير لا يكون الا « هم نجوم » او « هولاء القوم نجوم » ولا فائدة من ذكر المبتدا هنا الا مجرد الربط والربط مفهوم كل الفهم من دلالة المقام عليه. وذهب الامام السيوطي الى ان الغرض هنا « صونه عن ذكرك له بلسانك تعظيماً له » ولا ارى موجباً لهذا التكلف والله اعلم

(٢) محافظة على وزن او قافية وقد اجتمع الامران في قول الشاعر

عَلَى أنني راضٍ بأن احملَ الهوَى ... وَأَخلُصَ منـهُ لا عليَّ وَلا لِيَا

وهي اي عبارة « لا عليَّ ولا ليا » اصبحت من الكلام المتعارف حتى صار حذف المسند اليه فيها من قبيل الاحتراز عن العبث في الكلام . على انه قد يراد بالمسند اليه فيها مخصوص بعينه فيجب حينئذ ذكره كقولك مثلاً « ما عليَّ ما يقال ولا لي ما اقول »

(٣) الاحتراس من فوات الفرصة كقول الصياد « غزال » وارى ان الذكر هنا ايضاً من العبث في الكلام

(٤) اتباع العادة في الاستعمال كقولهم « رمية من غير رام » والجملة مثلٌ الآن واول من قالها الحكم بن عبد يغوث المنقري والقصة مشهورة الا ان الحذف وقع فيها ابتداءً للاحتراز عن العبث في الكلام كما لا يخفى

(٥) ومن اغراض الحذف على ما ذكر البيانيون تاتي الانكار والجحد

واختبار السامع هل يتنبه ام لا ولاختبار مقدار تنبهه هل يتنبه بالقرائن الخفية ام لا ٠ اه

ولكن هذه الاغراض تاتي في المخاطبات الشفاهية اكثر مما في الكتابة وفي المواقف الخاصة دون العامة فلا يصح للخطيب ان يوردها وهو يخطب على ملاء من القوم ولا للكاتب ان يأتي بها في كتاباته التاريخية ولا الوصفية ولا التعليمية بل لا يرى لها مقام الا على سبيل اللغز او التعمية ولذلك تركنا التمثيل لها لعدم جدواه ولو مثلنا لطال بنا الكلام على غير طائل والله اعلم

الاغراض التي تدعو الى ذكر المبتدا

واما ذكر المبتدا مع وجود قرينة يصح معها حذفه فلأغراض منها

(١) زيادة الايضاح والتقرير (عقود الجمان) كالآية «اولئك على هدىً من ربهم واولئك همُ المفلحون»

(٢) قصداً للفخر ويغلب ذلك مع ضمير المتكلم كقول عمرو بن كلثوم

وَقَدْ عَلِمَ القَبائِلُ مِنْ مَعَدٍّ إِذا قُبَبٌ بِأَبْطَحِها بُنِينا
بِأَنَّا المُطْعِمُونَ اذا قَدَرْنا وَأَنَّا المهلِكُونَ اذا ابْتُلِينا
وَأَنَّا المانِعُونَ لِما أَرَدْنا وَأَنَّا النّازِلونَ بِحَيْثُ شِينا
وَأَنَّا التّارِكُونَ إِذَا سَخِطْنا وَأَنَّا الآخِذُونَ إِذا رَضِينا

فاذا كان المبتدا مخاطباً او في حكمه كالمشار اليه فالغالب ان المقصود من تكراره زيادة مدح او تعظيم يتوسل بهما الى حمل المخاطب واشراكه في امرٍ يتخوف انحرافه عنه او معارضته له كقولك موجهاً الخطاب الى من هو اهلٌ له كزيد مثلاً ٠ «انت يا مولاي ساعدتنا في كذا وانت ساعدتنا في كذا وانت

صنعت بنا كذا وانت قلت لنا كذا وانت وانت الخ فحاشاك الا تمد يدك الان لمساعدتنا ونحن في اشد الحاجة اليها» . فان تكرار الخطاب مما يستخف المخاطب للاجابة ووعد المساعدة وصرفه عما كان ربما ينويه من المماكسة والمعارضة كما يظهر للمتأمل وقد يكون ذلك للتشكي من المخاطب واستعتابه كقول ابن الدمينة في محبوبته أُمامة

وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتِنِي دَلَجَ السُّرَى ... وَجُونُ الْقَطا بِالْجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ
وَأَنْتِ الَّتِي قَطَّعْتِ قَلْبِي حَزَازَةً ... وَقَرَّفْتِ جُرْحَ الْقَلْبِ فَهُوَ كَلِيمُ
وَأَنْتِ الَّتِي احْفَظْتِ اهْلِي فَكُلُّهُمْ ... بَعِيدُ الرِّضَى دَانِي الصُّدُودِ كَظِيمُ

او للتعنيف والتقريع اما التعنيف فكقول أُمامة المذكورة جوابًا على ابن الدمينة

وَانتَ الَّذِي اخْلَفْتَنِي ما وَعَدْتَنِي ... وَاشْمَتَّ بِي مَنْ كانَ فِيكَ يَلُومُ
وَابْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي ... لَهُمْ غَرَضًا أُرْمَى وَانتَ سَلِيمُ
فَلَوْ انَّ قَوْلاً يَكْلُمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَا ... بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوُشاةِ كُلُومُ

الاَّ انها لم يتهيأ لها تكرار الضمير انت كما تهيأ لابن الدمينة فان قلت فلماذا لم تقل في بيتها الثاني (وانت) كما قال ابن الدمينة وانتِ ؟ قلت لان معنى بيتها الثاني غير مستقل عن معنى بيتها الاوَّل فان اخلافه وعدها واشماته بها من كان يلومها فيه هو نفس ابرازها للناس وتركها لهم غرضاً ولو انها جاءت ببيت اخر مستقل في معناه تعنفه فيه على فعله لكان المرجح انها كررت ذكر الضمير انت ولكان التكرير واقعاً في محله وعليه ما عليه من رونق البلاغة

واما التقريع فلم اظفر له بشاهد لا لعدم وجوده بل لعدم اطلاعي

ولقلة ما بين ايدينا من الخطب المحفوظة واعني بالتقريع تعداد معايب الخصم من قرعهُ بالعصا اذا ضربهُ بها كقولك لمن تريد تقريعه «انت فعلت كذا وانت فعلت كذا وانت فعلت كذا» اذا كانت افعاله تلك معايب ومساوئ

واما اذا كان المبتدا ضميراً لغائب فيراد من تكريره المدح والتعظيم في الغالب كقول بعض الفضلاء في الفضيلة :

« هذه هي الفضيلة التي حام حول وصفها الفلاسفة والعلماء والشعراء والخطباء منذ الوف من السنين بل هي التي تمثلت من قبل للذين سادوا وشادوا في بلاد النيل فعظموها وعبدوها وبنوا لها الهيا كل العظام الباقية آثارها حتى اليوم بهجة للناظرين ودهشة للباحثين وهي هي التي تراءت للامم النابغة على ضفاف دجلة والفرات فشادوا لها الهيا كل طباقاً ولم تزل انقاضها حيرة للناقبين بل هي هي التي دان اليوناني لسمو قدرها فحنى لها الهام خشوعاً في اكربوله الباهر وهي هي التي عنى الروماني فسجد لها خضوعاً في كابيتوله الفاخر » اه

ولا يذهب عنك ان لتكرار الضمير هنا فائدة اخرى وهي تنبيه الذهن لربط هذه المسندات بالفضيلة ولولاه لخيف من غفلة الذهن عنها وعدم انتباهه في رد هذه الاخبار اليها

فان قلت كيف جاء الفخر والمدح والتعظيم والتشكي والتعنيف والتقريع ؟ قلت جاء ذلك من قبيل الخبر فان الخبر اذا كان من المستحبات فاسناد المتكلم اياه الى نفسه يكون من قبيل الفخر كابيات عمرو بن كلثوم فاذا أسند الى مخاطب او غائب انقلب الفخر الى مدح وتعظيم والمدح والتعظيم للمخاطب هدية ورشوة يستعان بهما على المساعدة كما يستعان بالهدايا والرشى فان كان الخبر

مما يؤلم فهو من المحب الطالب كابن الدمينة شكوى واستعطاف ومن المحبوب المطلوب كامامة لوم وتعنيف ومن غيرهما كالخصم مثلاً تقريع وتبكيت . فان قلت وما فائدة تكرار المبتدا ؟ قلت فائدته ان الذهن يصوره في كل مرة يذكر فيها مع الخبر فان كان لمتكلم او غائب تشخص لدى الذهن مقروناً بما نسب اليه في الخبر وفي هذا مأمن من ان يمرّ الذهن بالخبر من غير ان يسنده الى صاحبه او يصرفه ذهولاً الى خلافه وان كان المبتدا لمخاطب تنبه المخاطب في كل مرة يذكر فيها الى الهدية او الرشوة المهداة اليه في الخبر والله اعلم

(٣) الاستخفاف بالمبتدا حرصاً على تنفير السامع مما نسب اليه وعدم قبوله ولا يكون ذلك الا اذا كان المبتدا معرفة معيناً وممن رسخ في ذهن المخاطب حقارته او النفور منه وفقاً لقول المتنبي

وإني رأيتُ الضُرَّ احسنَ مَنظراً وأَهوَنَ من مرأى صغيرٍ بهِ كِبْرُ

و كقول الخطيب الواعظ « ابليس يقول لكم كذا وابليس يقول لكم كذا وابليس يصوّر لكم كذا » الخ وعلى عكس ذلك قد يكرَّر ذكر المبتدا رغبةً في حمل المخاطب على قبول الحكم المسند اليه وتقريره في نفسه لعظم شان المبتدا ورسوخ مكانته في القلوب كقول الواعظ ايضاً « كتاب الله يامركم بكذا و كتاب الله يأمركم بكذا » الخ . و كقول غيره « الامير امرني ان اقول لكم كذا والامير امرني ان اقول كذا » الخ وهو ظاهر للتامل انما منعني من الاستشهاد له عدم توصلي الى اقوال الخطباء في امثال هذه المواقف لندرة ما هو منقول الينا عنهم (٤) الاستلذاذ بذكره كقول الشاعر

باللهِ يا ظَبَياتِ القاعِ قُلنَ لنا ليلايَ منكنَّ ام ليلى منَ البَشرِ

والفرق بين هذا الغرض والذي قبله انما هو في ان المبتدا « ليلى » على ما ترى والقائل قيس او من هو على شاكلته

(٥) الاحتياط لضعف الاعتماد على القرينة او على تنبه السامع او فهمه ويقع ذلك كثيراً فيما اذا تعددت الاخبار او طالت وخيف غفلة السامع في رد المسند الى صاحبه وقد ألمعنا اليه سابقاً

واعلم ان اغراض الذكر المارّة لا تختص بالمبتدا بل تكون فيه وفي غيره كالمفعول به والمجرور والمنادى واللبيب اذا احسن اعتباره لايخفى عليه المواضع اللائقة بها

فصل في المسند اليه على العموم

تعريف المسند اليه وتنكيره [1]

قال هذا الامام رحمه الله في شرح ارجوزته (وقد تركنا الابيات استغناء عنها بشرحها) . البحث الثالث في تعريفه وذلك لنكتٍ تظهر من جهة التعريف لانه اما بالاضمار وذلك لكون المقام للتكلم او الخطاب او الغيبة مثال الاول قوله

وَنحنُ التَّارِكونَ لِمَا سَخِطنا ونحنُ الآخذُونَ لِمَا رَضينا

والثاني قوله: وَانتَ الذي اخلفتني ما وَعدتَني وَاشمتَّ بيْ مَنْ كانَ فيكَ يلومُ

---

(١) هذا الفصل ننقله بحرفه عن عقود الجمان للامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي رحمهُ الله طبع مصر بالمطبعة الشرقية سنة ١٣٠٥ وجه ١٤ — ١٨

والثالث قول ابي تمام

بِيُمْنِ ابي إسحَقَ طالت يدُ الهُدَى وقامتْ قَنَاةُ الدينِ واشتدَّ كاهِلُهْ
هُوَ البحرُ من أيِّ النَّواحي اتيتَهُ فلُجَّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحلُهْ

والاصل في الخطاب ان يكون لمعين مفرداً او مثنى او جمعاً وقد لا يقصد به معين ليعم كل مخاطب على سبيل البدل نحو « فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك » فلا تريد به مخاطباً بعينه بل تريد ان أكرم او أحسن اليه فتخرجه في صورة الخطاب ليعم فان معاملته لا تختص بواحد دون آخر . ومنه قوله تعالى « ولو ترى اذ وقفوا على النار » ونحوه من الآيات اخرج في صورة الخطاب ليعم اذ المراد ان حالهم تناهت في الظهور بحيث لا يختص براء دون آخر فلا يختص بالخطاب مخاطب دون مخاطب بل كل من تتأتى منه الرؤية فله مدخل فيه . وكذلك حديث « بشر المشائين في الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة » رواه ابن ماجة ونحوه من طرق التعريف العلمية وذلك لنكت . منها احضاره بعينه في ذهن السامع ابتداءً باسمه الخاص به فاحترز بعينه اي شخصه عن احضاره باسم جنسه وباسمه عن احضاره بضميره او اشارة او غيرهما مثال ذلك قوله تعالى « قل هو الله احد » ومنها الكناية عن معنى يصلح له العلم نحو « ابو لهب فعل كذا » كناية عن كونه جهنمياً . ومنه تعظيمه او اهانته لكونه من الاعلام المحمودة او المذمومة . ومنها التبرك بذكره والاستلذاذ به

من طرق التعريف كونهُ موصولاً وذلك لنكت . منها زيادة التقرير نحو « وراودته التي هو في بيتها » عدل عن اسمها وهو زليخا او راعيل زيادة

لتقرير المراودة بذكر السبب وهو كونه في بيتها وقال الفرزدق

أَتَحبِسُني بينَ المدينةِ وَالَّتي إليها رِقابُ النّاسِ يهوى مُنيبُها

اي مكة وعدل زيادة للانكار مشيراً الى ان هذا المكان لا يصلح الا للانابة والخضوع لا للتجبر والعدوان · ومنها التفخيم نحو « فغشيهم من اليم ما غشيهم » · ومنها كون المخاطب لا يعلم من احواله شيئاً غير الصلة كقولك « الذي كان معنا امس رجل عالم والتي اهداها اليك فلان يعملة » وهي الناقة القوية الحمولة · ومنها استهجان ذكر الاسم اذا كان مما يستهجن وله صفة كمال كقولك « الذي يعلم الفقه رجل نبيه » ومنها تنبيه المخاطب على خطاءِه كقوله

انَّ الذينَ ترَونهم أُخوانَكم يشفي غليلَ صدورِهم أن تُصرَعوا

ومنها الاشارة الى وجه بناء المسند على المسند اليه بان يذكر في الصلة ما يناسبه نحو « ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » فان الاستكبار الذي تضمنته الصلة مناسب لاسناد « سيدخلون جهنم داخرين » الى الموصول وربما يكون ذريعة الى التعريض بتعظيم شأن المسند وهو الخبر نحو

إنَّ الذي سَمَكَ السماء بنى لنا بيتاً دعائمُهِ أعزُّ واطولُ

فان ذكر الصلة التي هي سمك السماء مشعر بتعظيم المبنى عليه وهو البيت الذي بناه سامك السماء ورافعها او تعظيم غيره نحو « الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين » فانه قصد تعظيم شان شعيب(عم)ونحو « الذي يرافقك يستحق الاجلال » والرفع فيه تعظيم المخاطب — وقد يكون ذريعة لسوى ما

ذكر كالاهانة نحو « الذي يرافقك يستحق الاذلال والصفع » وكالتسلية كقول ابي العلا

إنَّ الذي الوَحشةُ في دارهِ   تؤنسهُ الرحمةُ في لحدهِ

والتشويق الى الخبر كقوله

والذي حارتِ البريةُ فيهِ   حيوانٌ مستحدثٌ من جمادِ

وذكر السكاكي والطيبي من نكت الموصولية ان تكون ذريعة الى تحقيق الخبر كقوله

إنَّ التي ضربَتْ بيتاً مُهاجِرةً   بكُوفةِ الجندِ غالتْ وُدَّها غُولُ

قال في الايضاح وفيه نظر لانه لا يظهر فرق بين الايماء الى وجه بناء الخبر وتحقيق الخبر واجاب ابن السبكي عنه بان الفرق واضح فان الايماء الى وجه بنائه ان يذكر ما يناسبه وتحقيقه ان يذكر ما يحقق وقوعه باي نوع كان والفرق بين بناء الشيء على غيره وتحقيقه واضح

من طرق التعريف كونه اسم اشارة وذلك لنكت . منها ان يقصد تمييزه اكمل تمييز لاحضاره في ذهن السامع حساً بالاشارة كقول الفرزدق في زين العابدين رضي الله تعالى عنه

هذَا الذي تعرفُ البَطحاءُ وَطأَتَهُ   وَالبيتُ يعرفُهُ وَالحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خيرِ عِبادِ اللهِ كلهم   هذَا التَقيُّ النَقيُّ الطاهرُ العَلَمُ

وكقول ابن الرومي

هذَا ابو الصَقرِ فرْداً في محاسنهِ   من نسلِ شَيبانَ بينَ الضَالِ والسلمِ

ومنها التعريض ببلادة المخاطب وغباوته حتى انه لا يتميز له الشيء الا بالاشارة اليه كقول الفرزدق يخاطب جريراً

أُولَئِكَ آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ومنها بيان حال المشار اليه من قرب او بعد كقولك للقريب « هذا زيد » وللبعيد « ذلك زيد » وذكر في التلخيص وغيره التوسط وتركته لان المختار عندي تبعاً لسيبويه وابن مالك انه ليس لاسم الاشارة الا مرتبتان وان مشينا على طريق اهل البيان امكن دخوله في العبارة . ومنها قصد تحقيره بقربه كقوله تعالى حكاية عن الكفار « اهذا الذي يذكر آلهتكم » ومنها قصد تعظيمه بالبعد نحو « ذلك الكتاب » ومنها قصد تحقيره بالبعد نحو « ذلك اللعين فعل كذا » ومثله الطيبي بقوله تعالى « فذلك الذي يدعُّ اليتيم » . ومنها التنبيه بعد ذكر المشار اليه باوصاف قبله على انه جدير بما يرد عليه من اجلها نحو « اولئك على هدى » الاية فذكر الاوصاف بعد الذين ونبه باسم الاشارة على ان المشار اليه وهو (الذين) جدير بذلك . ومنها ان لا يكون طريق الى معرفة المسند اليه الا باسم الاشارة وهذا من زيادتي وقد ذكره السكاكي في المفتاح وبقي من النكت قصد تعظيمه بالقرب نحو « ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم »

التعريف بالالف واللام يكون لنكت . منها الاشارة الى معهود اما لفظاً نحو « فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كما ارسلنا الى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول » او تقديراً نحو « وليس الذكر كالانثى » اي ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت والذكر في قوله اني نذرت لك ما في بطني محرَّراً لاستلزام التحرُّر بالذكر اذ لم يكونوا ينذرون تحرير الاناث او حساً وهو مبصر كقولك لمن سدد سهماً القرطاس او علماً نحو « اذ هما في الغار بالواد

المقدس. اذ يبايعونك تحت الشجرة » ومنها الاشارة الى نفس الحقيقة نحو « الرجل خير من المرأة » اي حقيقة الرجل من حيث هي وقوله تعالى « وجعلنا من الماء كل شي حي » وقول ابي العلا

وَالْخِلُّ كالماءِ يُبدِي لي ضمائرَهُ مع الصَّفاءِ ويُخفيها مع الكَدَرِ

وقد يراد بها واحد باعتبار عهديته في الذهن كقولك « ادخل السوق حيث لا عهد » فان الدخول انما يكون في سوق واحد وكذا قولك ابتداء « دخلت السوق في بلد كذا » وهذا في المعنى كالنكرة اذ لم يكن لمعين يعرفه المخاطب فصار شائعاً بحسب الظاهر ولهذا يوصل بالجمل قال تعالى « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » وقال الشاعر

ولقد أمرُّ على اللئيمِ يسبُّني فمضيتُ ثمَّةَ قلتُ لا يعنيني

ومنها استغراق الافراد اما حقيقة كعالم الغيب والشهادة اى كل غيب وكل شهادة او عرفاً نحو جمع الامير الصاغة اي صاغة بلده لا كل صاغة ثم الاستغراق في المفرد اشمل من الجميع ولذلك كان قولك لا رجال في الدار يصدق اذا كان فيها رجل اورجلان بخلاف قولك لا رجل فيها فان قيل افراد الاسم يدل على الوحدة والاستغراق على التعدد فيتنافيان فالجواب ان الحرف انما يدخل عليه عند ارادة الاستغراق مجرداً مقطوع النظر عن الوحدة والتعدد

تعريفه بالاضافة لنكت. منها ان تكون اخصر طريق والمقام يقتضي الاختصار كقوله

هوايَ مع الركبِ اليمانِينَ مُصْعِدٌ جَنيبٌ وجثماني بمكةَ موثقُ

فانه اخصر من قوله الذي اهواه او الذي قلبي اليه مائل والمقام مقتضٍ لذلك

فان جعفر بن علبة قاله حين حبس بمكة وحال المحبوسين ضيق وبعده

عَجِبتُ لمسراها وأنَّى تخلَّصتْ ... إليَّ وبابُ السِّجنِ دُونيَ مُغلَقُ

ومما يدخل في الاختصار ان يغني عن تفصيل كقوله

اوْلادُ جَفْنَةَ حوْلَ قبرِ ابيهِمِ ... قبرِ ابْنِ ماريَةَ الكريمِ المُفضِلِ

فانه لو عددهم لطال · ومنها تعظيم المضاف اليه نحو عبدي فعل كذا تعظيماً لك بان لك عبداً او المضاف نحو ان عبادي ليس لك عليهم سلطان — او خلاف هذين كقولي (اشارة الى ما في ابيات الارجوزة) عبد امام المسلمين عندك لتعظيمك بحضور عبد الخليفة عبدك · ومنها التحقير كقولك عبد الحجام حضر

ومنها الاستغراق ولم يذكروه قال ابن السبكي عجبت من اهل هذا الشان كيف لم يذكروا ارادة الاستغراق من الاضافة وهي من ادوات العموم كما ان اداة التعريف كذلك بل عموم الاضافة ابلغ ومنها الاشارة الى مجاز لطيف كقوله

اذا كوْكبُ الخرْقاء لاحَ بسُحْرَةٍ ... سُهيلٌ اذاعتْ غزْلَها في القرائبِ

اضاف الكوكب الى الخرقاء يعني انها تنام الى طلوعه وقت الصبح فعند ذلك تشعر بالبرد فتفرق غزلها على القرائب ذكره السكاكي · ومنها الترقق ذكره السكاكي ايضاً كقولك محبك على الباب

البحث الثالث في تنكيره وذلك لامور منها الافراد نحو « وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى » اي رجل واحد · ومنها النوعية بان يراد به نوع مخالف للانواع المعهودة نحو « على ابصارهم غشاوة » اي نوع غريب من الغشاوة لا

يتعارفه الناس بحيث غطى ما لا يغطيه شيء من الغشاوات · ومنها تعظيمه بمعنى انه اعظم من ان يعين · ومنها التحقير بمعنى انحطاط شانه الى حد لا يمكن ان يعرف واجتمعا في قوله

لهُ حاجبٌ عن كلِّ امرٍ يَشينهُ وليسَ له عن طالبِ العُرْفِ حاجبُ

اي له حاجب عظيم وليس له حاجب حقير فكيف بالعظيم · ومنها التكثير بمعنى ان ذلك الشيء كثير حتى انه لا يحتاج الى تعريف نحو « ان له لإبلاً وان له لغنماً » وقوله تعالى « قالوا ائن لنا لأجراً » · ومنها التقليل نحو « ورضوان من الله اكبر » اي رضوان من الله قليل اكبر · وقد يجتمع التعظيم والتكثير نحو « فقد كذّب رسل من قبلك » اي رسل عظام ذوو عدد كثير · وقد ينكر غير المسند اليه للتعظيم نحو « فأْذنوه بحرب من الله » وللتحقير « نحن ان نظن الا ظناً » وللنوعية والافراد واجتمعا في قوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء » ولقصد العموم بعد النفي لان النكرة في سياق النفي تعم وهذا وما بعده من زيادتي · وللتجاهل وايهام انك لا تعرف شخصه كقولك « هل لكم في حيوان على صورة انسان يقول كذا » او ان لا يعرف المتكلم والسامع من حقيقته غير ذلك · (انتهى بلفظه)

اتباع المسند اليه

المسند اليه المبتدا او الفاعل يتبع او يقيد لاغراض نشير اليها تنبيهاً للمطالع فمنها تقييده بالوصف او بالحال والغرض من ذلك مع غير الاعلام قد يكون (١) لتصحيح الاسناد بالنظر الى المعنى كقولك « الحيوان الناطق سيد المخلوقات الارضية » فانه لولا قيد النطق لكان الاسناد فاسداً وبعبارة اخرى كانت

القضية عارية عن الصحة كما لا يخفى ومثل ذلك قول المتنبي

وَالغِنى في يدِ اللَّئيمِ قبيحٌ قَدْرَ قُبحِ الكريمِ في الإملاقِ

فانه لولا قيد الحال (في يد اللئيم) لفسد معنى الاسناد لان الغنى لا يقبح على الاطلاق انما يقبح في يد اللئيم. ومثله قولنا «العالم المخالف لمقتضى علمه شرٌ من الجاهل» فانه لولا قيد المخالفة لمقتضى العلم لفسد المعنى في الاسناد فقس عليه امثاله

(٢) للكشف عن امره تخصيصاً له فتكون فائدة الاسناد اتم. وبياناً لكون ما نسب اليه من القول او الفعل حرياً بأن يصدر عن مثله نحو «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم الخ» فان هذه النعوت كشفت من امر الرجل فكان الاسناد معها اتم فائدةً منه بدونها ثم ان انكاره على آل فرعون ما هموا به من قتل الرجل للسبب الذي ذكره وتقبيحه عليهم هذا القصد حريٌ بأن يصدر عن رجل موصوف بالايمان ولو ترك من غير هذا القيد لتبادر الى الذهن السؤال عن غاية هذا الرجل في اقدامه على مخالفة قومه محاماة عن رجل لا يعرفه ولاستغرب منه صدور هذه المحاماة كل الاستغراب فكفى قيد الوصف هذه المؤونة كلها

(٣) قصداً للتعريض فضلاً عن تصحيح الاسناد كقولك تعريضاً في رجل نصب للفتوى وهو ليس من ذويها «الرجل البخيل الذي يميل مع هوى النفس لا يصلح للفتوى» فان في الوصف بالبخل والميل مع هوى النفس ما فيه من التعريض فضلاً عن تصحيح الاسناد

(٤) قصداً لتعظيم احد متعلقات الفعل غير الفاعل او لتحقيره فضلاً عن جعل الاسناد اتم فائدة بالوصف كقولك «اليوم زارني رجل من اعاظم العلماء» وكقولك «لا ترى في دار زيد غير الخليع الماجن او المنافق المداهن» وغير ذلك من الاغراض التي لا يخفى على اللبيب ان يلحظها في الكلام البليغ ولا يفوته ان يودعها كلامه في المقامات اللائقة بها

واما مع الاعلام فالغرض من الوصف الايضاح او رفع الاشتراك نحو «وقال ابراهيم الخليل» او التفصيل بياناً للواقع «كجاء زيد راكباً» مثلاً والاّ فلمدح المسند اليه او ذمه او تعظيمه او تحقيره او للترغيب فيه او للتنفير منه وبلاغة المتكلم انما تكون في اختيار الوصف المناسب لاحد هذه الاغراض المارّة وهذا من اسرار البلاغة الموقوفة على حسن الذوق وذكاء الطبع لا على التعليم والتلقين

توكيد المسند اليه

يؤكد المسند اليه اما بتكرار لفظه والغرض من ذلك التقرير او رفع توهم المجاز واما بواسطة النفس والعين وكل وكلا وكلتا وجميع وما في معناها والغرض من ذلك رفع توهم المجاز مع النفس والعين ورفع توهم عدم ارادة الشمول مع ما سواها وكل ذلك مبسوط في كتب النحاة الا ان العلاّمة ابن الاثير عقد باباً في توكيد الضميرين نورد منه بحرفه ما لا مجال فيه للاعتراض عليه قال :[1]

«ان قيل في هذا الموضوع ان الضمائر مذكورة في كتب النحاة فاي حاجة

(١) المثل السائر طبعة بولاق صفحة ٢٦٣

الى ذكرها ههنا ولم نعلم ان النحاة لا يذكرون ما ذكرته (قلت) ان هذا يختص بفصاحةٍ وبلاغةٍ واولئك لا يتعرضون اليه وانما يذكرون عدد الضمائر وان المنفصل منها كذا والمتصل كذا ولا يتجاوزون ذلك واما انا فاني اوردت في هذا النوع امراً خارجاً عن الامر النحوي واعني بقول توكيد الضميرين ان يؤكد المتصل بالمنفصل كقولك (انك انت) او يؤكد المنفصل بمنفصل مثله كقولك (انت انت) او يؤكد المتصل بمتصل مثله كقولك (انك انك لعالم انك انك لجواد) وانما يؤتى بمثل هذه الاقوال في معرض المبالغة وهو من اسرار علم البيان . ولنقدم في ذلك قولاً يحصره ويجمع اطرافه فنقول: اذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً في النفوس فانت بالخيار في توكيد احد الضميرين فيه بالآخر واذا كان غير معلوم وهو مما يشك فيه فالأولى حينئذٍ ان يؤكد احد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه لتقريره وتثبيته فمما جاء من ذلك قوله تعالى (قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين) فان ارادة السحرة الالقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده لانهم لم يصرحوا بما في انفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم موسى بمثله الى توكيد ما هو لهم بالضميرين اللذين هما (نكون ونحن) دل ذلك على انهم يريدون التقدم عليه والالقاء قبله لان من شأن مقابلة خطابهم موسى بمثله ان كانوا قالوا (اما ان تلقي واما ان نلقي) لتكون الجملتان متقابلتين فحيث قالوا عن انفسهم (واما ان نكون نحن الملقين) استدل بهذا القول على رغبتهم في الالقاء قبله (—) واما توكيد المتصل بالمنفصل فنحو قوله تعالى (فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى) فتوكيد الضميرين ههنا في قوله تعالى انك انت الاعلى

انفى للخوف من قلب موسى واثبت في نفسه للغلبة والقهر ولو قال (لا تخف انك الاعلى او فانت الاعلى) لم يكن له من التقرير والاثبات لنفي الخوف ما لقوله انك انت الاعلى (في هذه الكلمات الثلاث) وهي قوله انك انت الاعلى ست فوائد » (ذكرها هذا العلامة فراجعها في محلها ثم قال بعد ان فرغ من تعدادها)

« وربما وقع لبعض الاغمار ان يعترض على ما ذكرناه في توكيد احد الضميرين بالآخر فيقول لو كان توكيدهما ابلغ من الاقتصار على احدهما لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه حيث هو اولى بما هو ابلغ واوكد من القول . وقد رأينا في القرآن الكريم مواضع تختص بذكر الله تعالى وقد ورد فيها احد الضميرين دون الآخر كقوله عزَّ اسمه (قل اللهمَّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير) ولم يقل انك انت على كل شيء قدير فما الواجب لذلك ان كان توكيد احد الضميرين بالاخر ابلغ من الاقتصار على احدهما ؟ الجواب عن ذلك انا نقول : قد قدمنا القول في اول هذا النوع انه اذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً فصاحب الكلام مخيرٌ في توكيد احد الضميرين بالآخر فان اكد فقد اتى بفضل بيان وان لم يوكد فلان ذلك المعنى ثابت لا يفتقر في تقريره الى زيادة تاكيد كهذه الآية المشار اليها وهي قوله تعالى اللهمَّ مالك الملك فان العلم بان الله على كل شيء قدير لا يفتقر الى تاكيد يقرره وقد ورد ما يجري مجرى هذه الآية موكداً كقوله تعالى (واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما

في نفسك انك انت علام الغيوب) فوكد في هذه الاية ولم يوكد في الآية الاخرى وقد عرفتك الطريق في ذلك واما اذا كان المعنى المقصود غير معلوم وهو مما يشك فيه فالاولى ان يوكد بالضميرين في الدلالة عليه كقوله تعالى (قلنا لا تخف انك انت الاعلى) فان موسى لم يكن متيقناً انه غالب للسحرة فلذلك وكد خطابه بالضميرين ليكون ابلغ في تقرير ذلك في نفسه » (انتهى ما نقلناه عن هذا العلاّمة بحرفه)

واما توكيد المنفصل بمنفصل فقد اشتبه فيه على هذا العلامة كما يؤخذ من امثلته فانها ليست من باب التوكيد على ما هو ظاهر من اعرابها انما هي من الاخبار عن المبتدا المعرفة بلفظه فانه استشهد بأبي تمام حيث يقول

لا انتَ انتَ ولا الديارُ ديارُ خفَّ الهوى وتولَّتِ الأوطارُ

وبأبي الطيب حيث يقول

قَبيلٌ أنتَ انتَ وأنتَ منهمْ وَجدُّكَ بِشْرٌ المَلِكُ الهُمامُ

وبما جاء في كتاب الاغاني لابي الفرج في خبر عمرو بن ربيعة وزياد بن الهبولة وما كان من قول الثاني للاول « لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم انتم انتم » والامثلة جميعها هي من باب المبتدا والخبر لا من باب التوكيد كما ترى . والذي يظهر لي ان توكيد المنفصل بمثله يكثر في الخطب والمشافهات ويقل جداً في الكتب والمراسلات وذلك لان الصوت ينبه النفس ويوصل اليها من انفعالات المتكلم ما لا يتنبه له بمجرد روئية صورة اللفظ فالواعظ او الخطيب في القوم مثلاً يتاتى له ان يقول « انتم انتم الذين انقدتم الى زخرف الدنيا » او ان يقول « انتم انتم الذي بدأتم بهذا العمل المجيد

وانتم انتم اولى باتمامه من جميع الناس» فيؤدي بغنة صوته عند لفظ الضمير في المثال الأوَّل من الاستكراه ومواجهتهم بالانكار ما لا تتفطن النفس لمثله برؤية صورة الضمير مكرراً وفي المثال الثاني من الاستحسان ومواجهتهم بالاعتراف بحسن الصنع ما لا يعرف مقداره الأَّ من سمعَ كلام الخطيب ورؤية وجهه. وكذلك فيما لو قال «نحن نحن المصريين شدنا في غابر الايام ما لم يشده غيرنا من الامم» او «هم هم (اعني اسلافنا) مصروا الامصار واختطوا المدن وسنوا الشرائع والاحكام»

واما الاخبار عن المبتدا المعين بلفظه على ما رايت في الامثلة التي ذكرها العلامة ابن الاثير وكقولك «زيد زيد» «ووادي ودادي» فيعتبر فيه ثلاثة اعتبارات لا تتهيأ في الاخبار بغيره مع البلاغة المرادة في الكلام

(١) البقاء والاستمرار على الحالة التي كان عليها كقول الكتاب «يسوع المسيح هو هو امس واليوم والى الابد» اي يسوع المسيح باق لا يتغير الخ. الا ان الاخبار بقولنا (هو هو) فيه من المبالغة والايجاز ما يشهد لنفسه

(٢) ان المبتدا متصف بصفة بالغة مبالغها بحيث لا تماثل بغيرها ولا يليق الاخبار عنها الا بها كقوله «لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم انتم انتم» اي لكانت شجاعتكم او شدتكم بالمكان الذي لا يعرف الا بكم

(٣) مجموع الاعتبار الاول والثاني كقول الامام ابن الفارض رحمه الله

فغَرامي القديمُ فيكمْ غَرامي ووَدادي كما عَهِدْتُم وَدادي

اي ان كلاً من غرامي ووداديَ باقٍ لا يتغير وهو ايضا بالمكان الذي لا يشبه بغيره ولا يرى الاخبار عنه الا بنفسه والله اعلم

تقييد المسند اليه بعطف البيان او البدل او العطف

جاء في عقد الجمان للمرحوم العلامة الشيخ ناصيف اليازجي في فصل اتباع المسند اليه وفصله ما نصهُ واما بيانه فلايضاحه باسم مختص به نحو « قدم صاحبك عثمان » واما الابدال منه فلزيادة التقرير نحو « جاء اخوك زيد » في بدل الكل و « سقط البيت جانبه » في بدل البعض و « راعني الفارس رمحه » في بدل الاشتمال واما بدل الغلط فلا يقع في كلام البلغاء . واما العطف عليه فلتفصيله مع اختصار نحو « جاء زيد وعمرو » او لتفصيل المسند كذلك نحو « جاء زيد ثم عمرو » فان في الاول تفصيلاً للمسند اليه بكونه متعدداً وفي الثاني تفصيلاً للمسند بكونه واقعاً على الترتيب او لرد السامع الى الصواب نحو « اتى زيد لا عمرٌو » او صرف الحكم عن المحكوم عليه الى آخر نحو « جاء زيد بل عمرو » او الشك او التشكيك نحو حضر زيد او عمرو (وقال ايضاً) واما فصله بالعماد فلتخصيصه بالمسند منفرداً به نحو « اولئك هم المفلحون » او لتوكيد الحكم نحو « ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله » (انتهى بحرفه)

والذي ذكره هذا العلامة انما هو خلاصة ما ذكره اصحاب هذا الفن في كتبهم المعروفة والمتداولة بين الايدي الا اني اقول ان على الكاتب مراجعة ما لحروف العطف من المعاني وما انفرد به كل منها عن غيره في شرح ارجوزته (نار القرى) او في المصنفات التي من طبقتها فان معرفة ذلك لا بد منها للكاتب ليحسن استعمال هذه الحروف في مواقعها اللائقة بها وهو اذا عرف معانيها فقد يهتدي الى كثير من الاغراض البيانية المرادة من العطف بها

واعلم ان التقييد بعطف البيان والبدل قد يؤدى به اغراض اخرى غير ما ذكر فانظر الى بيت المتنبي حيث يقول

يُفدِّي أَتمُّ الطيرِ عُمْراً سلاحَهُ نُسورُ الفلا أحداثُها والقشاعمُ

تر صحة ما ذكرنا فان نسور الفلا عطف بيان على اتم الطير عمراً وهو من قبيل الايضاح بعد الابهام وقد تم له غرض آخر غير ارادة الايضاح بعد الابهام وهو وصف النسور بانها اطول الطير عمراً على اخصر طريقة واوقعها في النفس ولو عدل عنه الى صريح الوصف فقال « يفدّي سلاحه النسور التي هي اتمُّ الطير عمراً » لنقص من حسن الكلام ورونقه ما يدرك ببديهة الذوق وقد ابدل ايضاً احداثها والقشاعم من نسور الفلا فتهيأ له بذلك الدلالة على الشمول وتهيأ له مع هذا غرض آخر بمكان من الدقة والحسن وهو ان الاحداث والمتقدمات في السن تساوت في تفدية سلاحه وذلك لان احسانه اليها كان من الشهرة والوضوح بحيث ادركته صغارها وكبارها معاً . ومثل قول المتنبي قول ابي العلا

أَلا في سبيلِ المجدِ ما انا فاعلُ عفافٌ وأَقدامٌ وحزمٌ ونائلُ

فانه اوضح بعد الابهام وعليه القول المتعارف « اثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال »

واعلم ان اكثر اغراض اتباع المسند اليه لا تختص به وحده بل تجري في غيره من الكلام ايضاً كالمفعول به والمضاف اليه والمجرور واليك قوله

ديوانُ منْ حازَ الرّشا (م) قةَ في الكلامِ ابي نوّاسِ

فان « ابي نواس » بيان للموصول او بدل منه وفيه الايضاح بعد الابهام كما لا يخفى

فصل المسند اليه

والمراد بذلك ان يتوسط بينه وبين الخبر ضمير الفصل على ما تراه مبسوطاً في شرح ارجوزة المرحوم العلامة الشيخ ناصيف اليازجي (ضمير الفصل وكاف الخطاب) وخلاصة هذا الفصل ان اصل استعمال هذا الضمير انما كان للتفرقة من اول الامر بين الخبر والتابع الا انهم توسعوا فيه حيث لا يقع الالتباس المذكور · وشرط استعمال هذا الضمير اذا كان للفصل ان يقع بين المعرفتين كقولك «زيدٌ هو الكريم» و«كانت بابل هي المدينة الاولى» او ما هو شبيه بالمعرفتين كقولك «ليس احد هو احسن من زيد» فاذا أُريد به التخصيص او التوكيد لا الفصل نحو «ولكن كانوا هم الظالمون» ونحو «انك انت علاَّم الغيوب» و«اخي هرون هو افصح مني لساناً» لم يحتج الى شرط التعريف المار ذكره وقد يحتمل في هذا الضمير احياناً اجتماع الاغراض الثلاثة نحو «واولئك هم المفلحون» فانه يحتمل الفصل والتخصيص والتأْكيد · وهو بجملته لا يقع الا بين المبتدا والخبر في الحال او في الاصل والخبر بعده يكون غالباً مصحوب (ال) او (افعل التفضيل) والمهم في البلاغة الاتيان بهذا الضمير عند الحاجة اليه سواء كان الغرض به الفصل او التخصيص او التاكيد فلا يشتبه عليك مواقع استعمالهِ فان الاتيان به حيث لا داعٍ اليه من المخلات بمقتضى البلاغة فراجعه في بابه الذي ذكرناه واعتبر مع ما تراهُ هناك ما نقلناهُ من كلام العلاَّمة ابن الاثير في باب التوكيد بالضميرين

فصل في القصر

القصر تخصيص شيءٍ بآخر كقولك « وكان الجمع ما يزيد عن الخمسين رجلاً فما تكلم احدٌ منهم الاَّ زيدٌ » اي اختص الكلام بزيد فلم يتجاوزه الى غيره من الخمسين وكقولك « لا الهَ الاَّ الله » اي ان الالهية مختصة بالله تعالى لا تتجاوزه الى غيرهِ اصالة وكذلك قولك « ما خاطب الامير احداً من الجمع الاَّ زيداً » اي اختصت مخاطبة الامير بزيد لم تتجاوزه الى غيره من ذلك الجمع والمقصور في الجملة الاولى (التكلم) والمقصور عليه (زيد) وكذلك في الثانية فانَّ (الالهية) المقصور (والله) المقصور عليه وهكذا في الثالثة فان المقصور (مخاطبة الامير) والمقصور عليه (زيد)

انواع القصر

القصر نوعان حقيقيٌّ وهو ما لايتجاوز فيه المقصور الى غير المقصور عليه اصلاً كقولك « لا اله الا الله » فان الالوهية وهي المقصور لا تتجاوز اصلاً الى غير الله تعالى وهو المقصور عليه وبعبارة اخرى انه لا يتصف بها احد سواه

ويلتحق بالقصر الحقيقي القصر على سبيل المبالغة كقول الشاعر

لا سيفَ إلاَّ ذو الفقا (م) رِ ولا فتىً الاَّ عليُّ

والمعنى ان ذا الفقار بالغ صفة تراد بالسيف الى حدٍّ لا يشاركه فيه غيره من السيوف وكذلك الفتوَّة في عليّ فانها بالغة الى حد لا يشاركه فيه احدٌ من الفتيان وبناءً على هذا الاعتبار قصرنا اسم السيف على ذي الفقار واسم الفتى على عليّ مبالغة كانه لا يجوز ان يسمى سيفاً الا هذا ولا فتى الا

ذاك والفرق بين هذا القصر والقصر الحقيقي واضح ويزداد وضوحاً في قولك «لا شاعرٌ الا زيدٌ» وفي قول المتنبي

ليسَ إلاَّ أبا العشائرِ خلْقٌ ساد هذا الأنامَ باْستحقاقِ

فاننا اذا اعتبرنا القصر حقيقياً في المثال الاول كان المعنى ان صفة الشاعرية لا توجد في غير زيد اصلاً بخلاف ما اذا اعتبرناه على سبيل المبالغة فان المعنى حينئذٍ ينصرف الى اننا، مبالغة لكمال هذه الصفة في زيد، اعتبرناها كانها لا توجد في غيره فقصرناها عليه واما قول المتنبي فالمبالغة ظاهرة فيه ولو اراد الحقيقة لعتب عليه ممدوحه سيف الدولة وغيره من بقية الممدوحين

والنوع الثاني اضافي وهو ما لا يتجاوز فيه المقصور الى معين غير المقصور عليه وان كان يمكن ان يتجاوزه الى غير ذلك المعين ولنضرب لك مثلاً نبين فيه معنى هذا الحد فنقول . اذا دار بينك وبين غيرك كلام في الشعراء فزعم غيرك ان زيداً وعمراً كلاهما شاعر وزعمت انت ان احدهما شاعر دون الآخر واردت افراده فانك تقول حينئذٍ (ما شاعرٌ الاَّ زيدٌ) اي الشاعرية لا تتجاوز زيداً الى عمروٍ وان امكن ان تتجاوزهُ الى غيره ممن لم يدخل في مدار الكلام بينكما فهذا هو القصر الاضافي ومرجعهُ منظور فيهِ الى اعتقادك واعتقاد المخاطب لا على الاطلاق وهو من هذه الحيثية يقسم الى ثلاثة اقسام يعرف كلٌّ منها باسم مختص بهِ عند البيانيين فاحدها (قصر افراد) وهو ما ذكرناه والثاني (قصر تعيين) كما اذا كان المخاطب يردّدُ الشاعرية بين زيد وعمروٍ لا يدري ايهما متصف بها فقلت له ما شاعرٌ الا زيد والثالث (قصر

قلب) كما اذا كان يعتقد ان الشاعر عمرٌو وتعلم انت ان الشاعر زيد لا عمرو فقلت « ما شاعر الاَّ زيد »

انواع المقصور

المقصور نوعان اما صفة على موصوف كقولك « لا الهَ الاَّ الله » في القصر الحقيقي او « ما شاعرٌ الا زيد » في القصر الاضافي على انواعه الثلاثة واما موصوف على صفة وهذا لا يكون الاَّ على سبيل المبالغة او الاضافة كقولك « ما زيد الاَّ شاعر » فان القصر على سبيل الحقيقة متعذرٌ لان مدلوله أنَّ زيداً لا يتصف الا بصفة الشاعرية وهذا خلاف الواقع فلتصحيح الاسناد لا بد من اعتبار القصر انه على سبيل المبالغة او انه قصر اضافي على نوعٍ من انواعه الثلاثة وفي ما ذكرناه كفاية

طرق القصر واداوته

للقصر ثلاث طرق (الاولى) ما دلت عليه بالوضع وادواتها النفي والاستثناء نحو « لا الهَ الا الله » و كقولك « ما شاعر الاَّ زيد او ما زيدٌ الاَّ شاعرٌ » سواء كان القصر على الحقيقة او المبالغة او على سبيل الاضافة · والمقصور عليه في هذه الطريقة يقع دائماً بعد (الاَّ) ومثل النفي والاَّ (إنما) فانها تقوم مقامهما في قصر الموصوف على الصفة او الصفة على الموصوف في جميع انواع القصر الاَّ ان بينهما فرقين في الاستعمال احدهما ان المقصور عليه بانما متاخرٌ دائمًا عن المقصور كقولك « انما شاعرٌ زيدٌ » و « انما زيد شاعر » فالمتاخر منهما هو المقصور عليه ، وثانيهما انه يصح العطف بلا بعد (انما) ولا يجوز

ذلك بعد «النفي والا» اصلا كقولك «انما جاء زيدٌ لا عمرٌ» و «انما كاتب زيد لا شاعر» و «انما جاء زيد راكبا لا ماشيا» او «انما جاء راكبًا زيدٌ لا عمروٌ» هذا في القصر الاضافي و «انما زيد كاتب لا غيره» و «انما كاتب زيد لا غيره» في المبالغة و «انما الله الهٌ لا غيره» في القصر الحقيقي

(الثانية) ما دلت عليه بالمنطوق او بصريح اللفظ وادواتها «لا» في الايجاب و «بل» في النفي كقولك «فقيهٌ زيدٌ لا شاعر وناقلٌ لا مبتكرٌ» و «قام زيدٌ لا عمروٌ» و «رايت زيداً لابكراً» و «ليس زيد طبيباً بل فيلسوف» و «ما شاعر بكر بل فقيه» وهذه الطريقة خاصة بالقصر الاضافي كما ترى بخلاف الاولى فانها تكون في الحقيقي والاضافي

(الثالثة) ما دلت عليه بالمفهوم وليس لها اداوت لفظية انما تقوم بتقديم ما حقه التأخير كقولك «في الدار زيد» و «لزيارة اخيه جاء زيد» و «راكبًا جاء زيد» ونحو ذلك من الامثلة. على ان هذه الدلالة على القصر ليست وجوبية كدلالة صاحبتيها عليه ولا بد معها من انتفاء المعارض فانه مع وجوده لا تفيد القصر اصلاً وكذلك اذا دلة قرينة على ما ينافي القصر فانه لا يبقى للتقديم دلالة عليه كقولك مثلاً «يا بنيَّ اوصيك بهذا جارك لاتشاتمه ورئيسك لا تقاومه واقوى منك لا تخاصمه» فانه ليس في هذا التقديم ما يدل على القصر ولو دل عليه لكان مفهوم الجمل ما ياتي او نحوه «جارك لا تشاتمه بل شاتم غيره ورئيسك لا تقاومه بل قاوم غيره واقوى منك لا تخاصمه بل خاصم غيره» وفساد هذا المفهوم اظهر من ان يوضَّح وذلك لان العقل والشرع والعادة جميع هذه تحظر على الموصى ان يشاتم غير جاره او ان يقاوم غير رئيسه او ان

يخاصم كفوءه او من هو اضعف منه · نعم في هذا التقديم ما يدل على الاختصاص وهو ايقاع الحكم على متعلقه (اي الاختصاص) لاهميته معه بقطع النظر عن غيره لقصد افراده بخصوصية لا تكون لذلك الغير في شيء مشترك بينهما وعليه فمفهوم هذه الجمل مع الاختصاص يقارب قولنا « اوصيك بترك مشاتمة جارك خصوصاً و كذلك مقاومة رئيسك ومخاصمة من هو اقوى منك لما فيه من الاهمية لك » او « اوصيك بترك مشاتمة جارك وان مع الاسباب التي تحملك على المشاتمة مع غيره و كذلك مقاومة رئيسك ومخاصمة من هو اقوى منك »

وقد عدوا من طرق القصر تعريف المسند والمسند اليه معاً كقولك « زيد الكريم وانت الامير » وعدوا ايضاً توسط ضمير الفصل نحو « فالله هو الوليُّ » ونحو « اصحاب الجنة هم الفائزون » وكذلك تقدم المسند اليه النكرة كقولك « رجل جاءني » وفي هذه كفاية للتدبر فانه لا يصعب عليه ان يقيس مالم نذكره بما ذكرناه

(تنبيه) قرأت للامام السبكي رحمه الله كلاماً في الفرق بين الحصر والاختصاص فليراجع في كتاب الاتقان في علوم القرآن طبع المطبعة الكستلية بمصر سنة ١٢٧٩ الجزء الثاني وجه ٦٣ — ٦٥

القسم الثالث

في بعض اوصاف تتصف بها الجملة
من خبرية وانشائية وايجاز واطناب ومساواة

الجملة الخبرية

تعريفها

الجملة الخبرية هي ما يمكن أن يتبادر الى الذهن عند اول سماعها احتمال الصدق والكذب فيها كقولك «جاء زيد» فانه عند سماع هذه الجملة يمكن ان يتبادر الى الذهن احتمال صدقها و كذبها اي مجيء زيد وعدم مجيئه و كقولك «الخمسماية نصف الالف» فانه يمكن ان يتبادر الى الذهن عند اول سماعها انها كذلك او اقل من النصف او اكثر منه لا سيما عند غير المشتغل بعلم الاعداد و كقولك «كل مسبب لا بد له من سبب» وهلم جراً

وقد تصدى علماء البيان للكلام في صدق الخبر و كذبه ولو اوردنا كل ما قالوه لطال بنا الكلام على غير طائل وخلاصة ما يمكننا ان نقوله ان الجملة الخبرية ينظر معها من جهة صدقها و كذبها الى احد امرين اما الى نفس الخبر اي الحكم المتضمن فيها واما الى المخبر او القائل فان نُظر فيها الى نفس الخبر فصدقه (في الافعال) كقولك قام زيد وقعد وسقطت النيازك واقتتل الجيشان في يوم كذا الخ انما هو في مطابقته للواقع و كذبه في عدمها واما في

غير الافعال كقولك « العلم نافع » و« النظر الصحيح يولد العلم » وكقول الشاعر مثلاً

تصفو الحياةُ لجاهلٍ او غافلٍ عمَّا مضى فيها وما يتوقعُ
ولمَنْ يغالطُ في الحقائقِ نفسَهُ ويسومُها طلبَ المحالِ فتطمعُ

وكقول الآخر

وكُلٌ من لاخيرَ منه يُرتجى إنْ عاشَ اومات علَى حدٍ سِوى

فصدقه قائم في مطابقة الحكم الذهني للحقيقة على ما هي عليه في نفس الامر وكذبه في عدم المطابقة . واما ان نظر في الجملة الى المتكلم فصدقهاو كذبها قائم باعتبار اعتقاده وعدمه فاذا اعتقد صحة ما يقول فصادقة وان لم يعتقد الصحة فكاذبة وربما يندفع بهذا الذي قلناه الاشكال في الآية[1] « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » فان الخبر في قولهم (نشهد انك لرسول الله) صدق عند المسلمين لمطابقته الواقع او الحقيقة في نفس الامر واما المنافقون فكاذبون في شهادتهم هذه لانهم لا يعتقدون صدقها والله اعلم

ثم انهم اي البيانيين ذكروا فائدة الخبر ولازم فائدة الخبروارادوا بفائدة الخبر استفادة السامع من الخبر الحكم كقولك « هذا اخي » وارادوا بلازم فائدة الخبر استفادته اي السامع ان المخبر عالم بالحكم كقولك « هذا اخوك» فانه يعلم انه اخوه وهذا مما لم تقصده بالخبر انما قصدت به اخباره انك عالم بالحكم وهذه الفائدة قد لا تكون معلومة عند المخاطب من قبل

---

(١) انظر شرح التلخيص للعلاّمة التفتازاني طبع الاستانة وجه ٣٩ — ٤٠

توكيد الجملة الخبرية

ونريد بذلك توكيدها اما بانّ من الحروف المشبهة بالافعال على ما هو معروف عند النحويين اما لوحدها كقوله

وإني منَ القومِ الذينَ هُمُ هُمُ إذا ماتَ منهمْ سيّدٌ قامَ صاحبُهْ

واما مع اللام الداخلة على ما تاخر من معموليها كقول بعضهم

إنَّا لنصفحُ عنْ مجاهلِ قومِنا ونُقيمُ سالفةَ العدُوّ الأصيدِ
ومتى نجد يوماً فسادَ عشيرةٍ نُصلحْ وان نرَ صالحاً لا نُفسِدِ

او باللام لوحدها كقوله

والشيبُ إن يظهر فإنَّ وراءَهُ عمراً يكونُ خلالهُ متنفَّسُ
لم ينتقِصْ منّي المَشيبُ قُلامةً ولَمَا بقي منّي ألبُّ وأكْيَسُ

والشاهد في البيت الثاني . او بالقسم كقوله

واللهِ لَنْ يصلُوا إليكَ بجمعهِمْ حتى أُوسَّدَ في التُّرابِ دفينا

وكقول الاخر

اللهُ يعلمُ ما تركتُ قتالهم حتى حبَوْا مُهري بأشقرَ مُزْبِدِ
وعرفتُ أني إنْ أقاتِلْ واحداً أُقتَلْ ولا يَنكي عدُوّي مَشهَدي
فصددْتُ عنهم والأحِبَّةُ فيهِمِ طَمعاً لهم بِعقابِ يومٍ مُرْصِدِ

وقد يجتمع القسم مع إنَّ او مع اللام او مع إن واللام وقالوا ان هذا على درجات التوكيد نحو «الله يعلم انا اليكم لمرسلون»

والتوكيد لا يكون في المشافهات الا مع المنكر او المتردد غالباً ويكاد لا يخفى على العامي متى يحتاج اليه في هذا الموقف على ان الصعب انما هو معرفة مواقعه التي يحسن فيها في الخطب والمكاتبات وتوصلاً لهذه الغاية لا بد لنا من

النظر في اسباب التوكيد والدواعي التي تدعو اليه في الاصل

(اولاً) اعلم اننا كثيراً ما نتوقع حصول امرٍ محبوب لوجود اسباب عندنا تدعونا الى توقعه فيفوتنا ذلك الامر المتوقع اما بعدم وقوعه اصلاً او بوقوعه على خلاف ما نحب ولتكرر ذلك في اختباراتنا اعتدنا الشك في كلِّ ما كان من هذا القبيل فصرنا اذا اخبرنا بوقوع محبوب في الحال اوالماضي او قيل لنا انه سيقع في المستقبل ننزل الاخبار بمنزلة سبب عادي" لا يوجب اليقين بحصول مسببه عقيبه فلا تطمئن قلوبنا الى الخبر الا بعد التوكيد الذي ينزل في الكلام الخطابي بمنزلة البرهان في القضايا التعليمية فيزيل هذا بقايا الارتياب من القلوب كما يزيل البرهان بقايا الشك من العقول

وعلى عكس ذلك لما كنا لا نتوقع المكروه او لا نحب ان نتوقعه فاذا نزل بنا فكأنما نزل بغتة اصبحنا ننزل الاخبار عنه بمنزلة السبب المفاجيء فلا نرتاب به الا اذا اسند الى صديق او الى من رسخ في اذهاننا عدم صدوره عنه مثال ذلك اذا قيل لنا ان فلاناً (من غير اصدقائنا المخلصين)قال عنا كذاوكذا مما نكره فانا نتلقى الخبر بالقبول من غير ان يقوم في انفسنا شك يحتاج الى توكيد يزيله واذا اكدناه رات النفس عدم الحاجة الى التوكيد فشق عليها ذلك كما يشق على العقل اقامة البرهان على ما لا يحتاج الى برهان بل ربما داخل النفس من التوكيد في مثل هذا الموقف ما يدعوها الى الريب والتشكيك في صحة الخبر فاعلم ذلك

(ثانياً) قد يكون للامر الواقع سببان والنفوس او العقول متوجهة الى الاعتقاد او الحكم بان احدهما هو المسبب وقوع ذلك الامر دون الاخر

مع ان الحقيقة على العكس ففي مثل هذه الحالة اذا قلنا ان السبب الثاني هو المستقل بالسببية فلا بد لنا من اقامة البرهان في التعليميات والتوكيد في الخطابيات اثباتاً لصحة مدعانا وعلى هذا ورد قول الحرث ابن هشام فانهم عيروه انه هرب في موقعة بدر المشهورة جبناً فقال يعتذر عن نفسه ويذكر السبب الداعي لهربه

أَللهُ يعلمُ ما تركتُ قتالَهمْ حتى حَبَوْا مُهري بأشقرَ مُزْبِدِ
وعرفتُ أني إن أُقاتلْ واحداً أُقتَلْ ولا يَنكي عدوّي مشهدِي
فصددتُ عنهم والأحبّةُ فيهمِ طمعاً لهم بعقابِ يومٍ مُرْصِدِ

وما احلى ما قاله الآخر

واللهِ ما كِبَراً مشيبي إنما هذا الدلالُ الى المَشيبِ يسوقُ

فانه نفى ان يكون الكبر مسبب المشيب واثبت ذلك لدلال المحبوب

(ثالثاً) كما ان القضية التعليمية اذا كانت مما يعسر على الذهن ادراكها احتاجت الى برهان او الى ضرب من الامثلة والتقريبات التي يتمكن الذهن بواسطتها من فهمها هكذا الحكم الواقع في الجملة الخطابية فانه ان كان في نفسه عسراً يصعب قبول اسناده الى من هو له او مبنياً على ما هو عسر شاق احتاجت النفس حينئذ الى ضرب من التوكيد يقوم عندها مقام البرهان او التقريب عند العقل مثال ذلك قول القائل

إنّا لنَصفحُ عن مجاهلِ قومنا ونُقيمُ سالفةَ العدوّ الأصيدِ

فان الصفح عن مجاهل قومه من قبيل مجازاة الشر بالخير وفيه من الصعوبة على النفس ما فيه وكذلك اقامة سالفة العدو الاصيد فانه يحتاج الى تجشم اهوال من طعن وضرب وممارسة انواع من الخديعة والدهاء فاحتاج الكلام

الى التوكيد فاكد كما ترى . وكذلك ورد قول ابي طالب عم الرسول

والله لَن يَصلوا إليكَ بجمعِهم حتى أُوَسَّدَ في التراب دَفِينا

فانه بنى الحكم بعدم وصولهم اليه على المناصرة له وبلوغ منتهى الغاية فيها اعني القتل فاحتاج الامر الى التوكيد فاكد بالقسم وجاء بلفظ الجلالة لما له من الوقع في النفوس ولان السيد الشريف لا يقسم به الا على عظيم ولا يقسم الا صادقاً

(رابعاً) اذا كان الحكم غريباً في ذاته لغرابة التخيل او التشبيه او كان واقعاً على اختلاف المعتاد او على خلاف المقرر في النفوس او المتوقع عندها او كان يعلم ان المخاطب ينكره او انه في غفلة عنه او كان ظاهر حاله كالمنكر له ففي جميع هذه المواقع قد يحتاج الى التوكيد والله اعلم ومن امثلة ذلك

قول بعضهم : إنَّ البجيعةَ بالرّياضِ نواضراً لأجلُّ منها بالرّياضِ ذوابلا

ونحو : إنَّ الكرامَ بلا كرامٍ مثلها مثلُ القلوبِ بلا سُوَيداواتها

ونحو : إني لأجبنُ من فراقِ أحبتي وتَحِسُّ نفسي بالحِمامِ فأشجعُ

ويزيدُني غضبُ الأعادي قسوةً ويُلِمُّ بي عَتَبُ الصديق فأجزعُ

ونحو : لئن تركنا ضُمَيراً عن ميامِننا لَيحدُثَنَّ لمَن ودَّعتهم نَدَمُ

ونحو : ألا يا ابنَ الذينَ فَنُوا فماتُوا أمَا وَاللهِ ما ماتوا لتبقى

ومالكَ فاعلَمَنْ فيها مُقامٌ إذا استكملتَ آجالاً وَرِزْقا

ونحو : جاء شَبيبٌ عارِضاً رُمحَهُ إنَّ بني عمكَ فيهِمْ رِماحُ

واعلم ان التوكيد بوجه الاجمال يناسب ما كان من قبيل الاعتقادات والانفعالات دون ما كان من قبيل الادراكات والمنقولات فان هذه يناسبها البرهان دون القسم ولذلك فقولك مثلاً « الاسلام حقٌّ » لا يحتاج الى

التوكيد لانه قضية يمكن ان يقام عليها الدليل لاثبات صحتها الا اذا سُئلت عن اعتقادك فيها فانه لا ينكر عليك حينئذ ان تعزّز جوابك بموكد

هذا وربما اذا تدبرت ما ذكرناه لك وقست عليه اشباهه ونظائره لم يصعب عليك بعدها ان تاتي بالتوكيد في مواضعه اللائقة به وربما اغناك ايضاً عما ذكره البيانيون في مطولاتهم في باب التوكيد واخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر فانه على ما فيه من الفائدة يصعب على المبتدي بل على كثيرين غيره فهم ما يشيرون اليه في كلامهم (١)

بقي عليّ ان اذكر لك شيئاً عن اداة التوكيد (إنّ) فانها قد تستعمل في غير التوكيد كالتعليل مثلاً وتفيد حينئذ ربط جملة ما بعدها بما قبلها وان ما بعدها من الكلام لا ريب في صحته وامثلة ذلك اذا تنبهت لها اكثر من ان تحصى فمنها قوله

يا ايها الملك النائي بغرّتهِ وَجُودهُ لمرجّي جودهِ كَثَبُ
ليسَ الحِجابُ بمُقصٍ عنكَ لي املاً إنَّ السَّماءَ تُرجّى حينَ تحتجبُ

فان في عجز البيت الثاني للتعليل لا للتوكيد ولو كانت للتأكيد لكان ذلك من باب العبث لان القضية بعدها وهي (ترجى الناس السماء حين احتجابها بالغيوم) قضية مقررة في الاذهان ليس من ينكرها ولا من يتردد في صحتها ومثل ذلك قول الآخر

فإن تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منهم فإنَّ المِسكَ بعضُ دَمِ الغزالِ

اي ان تفق الانام وانت منهم فلا عجب لان المسك الخ فمن الواضح انها

---

(١) انظر المطول للعلاَّمة التفتازاني طبع الاستانة من وجه ٤٦ — ٥٣

للتعليل وما بعدها قضية يقينية واليقيني لا يحتاج الى توكيد وقد تستعمل مع الكلام في مقام المدح والذم والترغيب والتنفير والتحسر واشباه ذلك فتزيد من رونق الكلام وطلاوته بما تنبه اليه النفس عند التلفظ بها وبيانه ان الاغراض المذكورة تنتقل الى نفس المخاطب اما بواسطة الالفاظ المعبرة عنها او بها وبغنة الصوت وهيئة الوجه معاً والطريقة الثانية اشدّ وافعل على النفس من الطريقة الاولى كما ان روءية الحزين فعلاً وسماع صوت بكائه مثلاً افعل على النفس من قولنا « هو حزين للغاية وقد بكى بكاءً مرًّا » وعلى هذا المبدا نقول انه يسهل علينا مع ذكر (انّ) في المقامات المذكورة ان نودع اصواتنا غنّة تنبه النفع الى تلك المعاني وتنقلها اليها على صورة اقوى وابلغ مما لو ترك لفظها والمتامل يعلم ان مجرد روءية (ان) عند المطالعة يعرى عن الفائدة الاّ اذا تفطن الذهن حال وقوع النظر عليها لما يصحبها من غنة الصوت وهيئة الوجه عند التلفظ بها كما مرّ بل نقول لك ايضاً ان السرّ في سائر ادوات التوكيد وافادتها الكلام فائدتها المخصوصة انما مرجعه الى غنة صوت المتكلم وهيئة وجهه عند النطق بها بل هذا هو السر في انك تسمع خطاب الخطيب فتحس بشدة تاثيره في نفسك ثم تقراه فتراه قد نقص الكثير من بلاغته وتاثيره والالفاظ باقية على حالها وانت مصيب في ذلك لانه نقص غنة صوت الخطيب وهيئة وجهه . فاذا امكنك ان تجعل نسق كتابتك بحيث يتنبه معها الذهن الى غنة الصوت الحي التي تصحب عادة معاني عباراتك فافعل وكذلك اذا وقفت خطيباً فاحرص على ما يوءديه صوتك كما تحرص على ما توءديه عبارتك ولعل هذا الاستطراد لا يعرى عن فائدة ولنرجع الى (انّ) فنقول

قال الشيخ عبد القاهر[1] (وهو صاحب دلائل الاعجاز وأحد ايمة علماء البيان المتفردين فيه) « قد تدخل كلمة (إنَّ) للدلالة على ان الظن كان من المتكلم في الذي كان انه لا يكون كقولك (احسنتُ الى فلان ثم انه جعل جزائي ما ترى) وعليه (رب اني وضعتها انثى . ورب ان قومي كذبون) ومن خصائصها ان لضمير الشان معها حسناً ليس بدونها بل لا يصح بدونها نحو (إنه من يتقِ ويصبر) الآية و (انه من يعمل سوءًا) و (انه لا يفلح الكافرون) ومنها تهيئة النكرة لان تصلح مبتدا كقوله (ان شواءً ونشوة وحبب البازل الامون) وان كانت النكرة موصوفة تريها مع انَّ احسن كقوله

إنَّ دَهْراً يَلُفُّ شَمْلي بِسُعْدَى لَزَمَانٌ يهمُّ بِالإِحْسَانِ

ومنها حذف الخبر نحو ان مالاً وان ولداً وان زيداً وان عمراً فلو سقطت إنَّ لم يحسن الحذف او لم يجز » (انتهى كلامه)

وقد نقلت كلام هذا الامام رحمه الله ايناساً بما ذكرته من ان كلمة (إنَّ) قد تستعمل لغير التوكيد على ان المثل الذي ذكره الامام « رب اني وضعتها انثى » من قبيل التحسر وان تفيد وتصوّر قوة هذا الاحساس في نفس المتكلم وعبارته السابقة على الشاهد يمكن ان تدل على التحسر دلالة العام على الخاص والله اعلم

---

(١) المطوّل للتفتازاني وجه ٥٣

الجملة الانشائية

تعريف الجملة الانشائية وانواع الانشاء

الجملة الانشائية عكس الخبرية ولذلك يصح ان نقول في تعريفها هي ما لا يتبادر معها الى الذهن عند اول سماعها احتمال الصدق والكذب فيها كقولك « اذهب » و « لا تذهب » و « هل ذهبت » و « من اين اتيت » و « ما احسن ما قلت » و « يا ليتني كنت انتصحت بنصيحتك » وهلمَّ جرًّا

والمهم في هذا البحث معرفة انواع الانشاء وصيغه وادواته المختلفة والفرق بينها في الاستعمال ومعرفة اصل دلالة كل نوع اولاً ، وما يمكن ان يستعمل له ذلك النوع من الاغراض والمقاصد الخطابية المختلفة ثانياً . واليك تفصيل كل ذلك ماخوذاً عن عقد الجمان للعلامة الشيخ ناصيف اليازجي رحمه الله وعن المطوَّل للعلاَّمة التفتازاني رحمه الله مع بعض ما خطر لنا والله الموفق الى الصواب

من انواع الانشاء التمني والاستفهام والامر والنهي والنداء وهي المختصة بموضوع بحثنا الآن لما فيها من التشعبات والاغراض المعنوية المختلفة الكثيرة العروض في كلام البلغاء بخلاف غيرها من بقية انواع الانشاء فان فيما ذكرهُ النحاة بشأنها ما يغني عن افرادها بابحاث خاصة بها الاَّ ما كان من افعال المدح والذم فانا احببنا ان نخصها بنوع بحثٍ خطر لنا فيها كما سترى

التمني

وحدهُ العلامة التفتازاني بطلب حصول الشيء على سبيل المحبة ولا

يشترط امكان المتمنى لان الانسان كثيراً ما يحب المحال ويطلبه فهو قد يكون ممكناً كقول القائل

لَيتَني في المُؤَذِّنِينَ حَيَاتي إِنَّهُمْ يُبصِرونَ مَنْ في السُّطُوحِ
فَيُشيرونَ أَوْ تُشيرُ إِلَيهِم بِالهَوَى كُلُّ ذَاتِ دَلٍّ مَلِيحِ

وقد يكون محالاً اما عقلاً او شرعاً نحو قوله

أَلاَ ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً فأُخبرَهُ بما فعلَ المشيبُ

ونحو

أَيُّهَا الرَّائِحُ المجِدُّ ابتِكارًا قَدْ قَضَى من تِهامَةَ الأَوطَارَا
لَيتَ ذَا الحَجَّ كانَ حتماً علَينَا كلَّ شهرَينِ حجَّةً وَاعتِمارَا

ولما كان التمني اخباراً بغير صورة الخبر عن انفعال النفس وارادتها حصول المتمنى كان له من الوقع غير ما للخبر الذي هو اخبار عن مدرك من مدركات العقل فان قولك «ليت الشباب يعود» تصوير لهيئة النفس عند تصورها الشباب وعودته اليها بخلاف قولك «اتمنى ان يعود الشباب» فانه تصوير لمدرك حاصل عند العقل وشتان بين الاخبار عن حزين انه حزين وبين روءية الحزين وبين الاخبار عن حصول السرور وعن ظهور اماراته في الوجه وبين روءية تلك الامارات عياناً ولما كان التمني ايضاً طلب حصول الشيء على سبيل المحبة كان له بحسب نوع الزمان وقرائن الاحوال المتعلقة به مظاهر تختلف اسماوءها بين «تندّم» كقول التنزيل «يا ليتني كنت معهم فافوز فوزاً عظيماً» ونحو قول القائل

لَيتَ الخَليطَ الذِي قَدْ بَانَ لم يَبِنِ وَلَيتَ مَا كانَ مِنْ حُبِّيكَ لم يكُنِ

و «تحسر او تأسف» نحو قول التنزيل «ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً» و «يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً» و «يوم

ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا» ومنه قول المتنبي في رثاء اخت سيف الدولة

فَلَيتَ طالِعةَ الشمسَينِ غائبةٌ وليتَ غائبةَ الشمسين لم تغِبِ
وليتَ عينَ التي آبَ النهارُ بها فِداءُ عينِ التي غابت ولم تؤبِ

«وتشكٍّ» كقول المتنبي والحريري

لَيتَ التجاربَ باعتني الذي أخذَتْ مني بعلمي الذي اعطت وتجريبي
فليتَ أني لم اكنْ أُرضِعتُ ثديَ الأدبِ
فقد دهاني شؤمُهُ وعقَّني فيهِ ابي

و «تولُّه» كقوله

لبسَ القبابُ علَى الركابِ وإنما هُنَّ الحياةُ ترحّلتْ بسلامِ
ليتَ الذي خلقَ النوى جعلَ الحصى لخفافهنَّ مفاصلي وعظامي

فانه تحير من شدة الوجد فتمنى ما تمنى

و «استعطاف» كقول القائل للامير مثلاً «ليت الامير يأذن لي فاتكلم» ومنه قول ابراهيم الخليل يخاطب الحق سبحانه «ليت اسماعيل يعيش امامك»

ومواقع ليت واستعمالاتها الشائقة لا تخفى على اصحاب الذوق السليم ولا على من راض نفسه بتتبع كلام البلغاء وحذاق الكتاب فان احدهم لينكر على صاحبه ما كان منه من فعل او قول ويعمد الى توبيخه على اخفى صورة والطف اسلوب فيأتي بليت ويقول «ليت اخي لم يصدر منه كذا او لم يعجل في كذا او لم يقل كذا» وقد يريد حثه على فعل لو واجهه به بغير صورة التمني لاستاء منه ولتصلب في العناد فيقول مثلاً «ليتك تكتب الى فلان فان في كتابتك

اليه كذا وكذا من وجوه المنفعة » وجميع هذه الاغراض لا يخفى على اللبيب ان يلحظها في كلام الغير او يودعها في كلام نفسه

وقد يتمنى بلو وهل ولعلّ . اما لو فكقول التنزيل «لو ان لي كرّة فأكون من المحسنين » اي « اتمنى لو ان لي كرة » والراجح ان حكم لو هذه مع فعل التمني كحكم باء التفدية مع فعلها فيحذف فعل هذه كما يحذف فعل تلك وقد اشار الى ذلك الامام ابن مالك على ما نقلناه في بحث (لو) في باب الجملة الشرطية واما هل فكقولك « هل لي من شفيع » حيث تعلم ان لاشفيع وكقول الشاعر

هلِ الشَّبابُ مُلمٌّ بي فَراجِعةٌ   أيّامهُ ليَ في اعقابِ ايامِ

واما (لعل) فمثلوا لها بقولهم «لعلي احج فازورك » بنصب الجواب وارى منه قول البها زهير

لعَلَّكَ تُصغي ساعةً واقُولُ   فَقد غابَ واشٍ بيننا وعَذُولُ

وفي هذا التمني ما فيه من الاستعطاف كما لا يخفى . انتهى

الاستفهام

وهو طلب حصول صورة الشيء في الذهن فان كانت تلك الصورة وقوع النسبة بين الشيئين او لا وقوعها فحصولها هو التصديق والا فهو التصور

والالفاظ الموضوعة له هي الهمزة . وهل . وما . ومن . واي . وكم وكيف . واين . وانى . وايان . ومتى . ولنقدم بحث الحروف وبالله التوفيق

حروف الاستفهام

لما كان الحرفان اي هل والهمزة لا معنى لهما في نفسهما فاستعمالهما متعاقبتين على المحل الواحد من دون تمييز واختصاص بينهما مخالف لحكمة الاقتصاد في استعمال اداتين متمايزتين لغرض واحد . والذي يؤخذ عند التامل من مجمل كلام النحاة والبيانيين انهما كانتا تستعملان اولاً مترادفتين اي متعاقبتين على المحل الواحد الاّ انه مع مرور الايام حصل التمايز واختصت كل من الاداتين بدخولها على ما يكره أن تتخطاه الى غيرهِ لمناسبة اقتضت ذلك وقبل الكلام عماً اختصت به كل اداة لا بدّ لنا من بيان انواع المستفهم عنه وحصرها بما لا تخرج عنه في الكلام

انواع المستفهم عنه

(١) الفعل ، نحو هل ذهب زيد . وهل يذهب

(٢) الاتصاف ، نحو هل زيد عالم . وهل بكر غنيٌّ او جاهل الخ

(٣) الصفة ، نحو اعالم زيد . امسافرٌ بكر ويلحق بالصفة الظرف والمجرور نحو اعندك زيدٌ . الك حاجة

(٤) المتعادلين طلباً للتعيين ، نحو ازيد في الدار ام عمروٌ . اناثرٌ زيدٌ ام ناظمٌ . ازيدٌ قام ام عمرو

(٥) المطلوب الاقرار به ، نحو أأنت فعلت هذا الخ ولنتقدم الآن الى

الفرق بين هل والهمزة والمناسبة التي اقتضت استعمال احداهما دون الاخرى مع نوع من هذه الانواع المارّة

الفرق بين هل والهمزة

اعلم اننا نعتقد ان الاداتين متفرعتان في الاصل عن هاء التنبيه فان الاستفهام نوع تنبيه او يمكن ان يتولد عنه واثبات ذلك ليس من موضوع بحثنا الان وغاية ما نقوله انه بناءً على تفرعهما من اصل واحد كانتا تستعملان متعاقبتين على المحل الواحد كما يؤخذ من كلام النحاة واختلافهم فيهما وكما لا تزال اثار ذلك ظاهرة في امثال اللغة وشواهدها حتى الان ثم مع توالي الايام لحظ بداهة نوع مناسبة ما بين لفظ كل منهما وما بين نوع من الانواع المستفهم عنها على ما ذكرناها لك فأُخذ بتلك المناسبة وما زال حتى انفردت كل دون اختها بمواضع خاصة بها وهذا ما نريد بيانه لك بما يقرب فهمه عليك فنقول

(اولاً) الهمزة مقطع خفيف متحرك يقتضي سرعة الانتقال منه الى ما بعده فيناسبها اذن الجملة الشديدة الارتباط بين اجزائها وذلك لان شدّة الارتباط بين الاجزاء تؤْذن الذهن بسرعة الانتقال من احدها الى ما يليه

(ثانياً) هل مقطع ركين يستقل بنفسه عما بعده ويتاتى فيه من سهولة الوقوف على لفظه وترك مجال للتفكر بعده ما لا يتاتى مع الهمزة فيناسبه من الجمل ما ليس بين اجزائها شديد ارتباط يقتضي سرعة انتقال الذهن من الواحد الى الآخر وهذا امر يشهد به الذوق ويمكن لك الحكم فيه من تلقاء نفسك

(ثالثاً) بناءً على ما قدمناه تكون الهمزة انسب من هل في الاستعمال مع كل ما يقتضي فيه الخفة وسرعة الانتقال من المستفهم عنه الى متعلقه فهي اذاً اجدر بالاستعمال في المواضع الاتية

(١) في الاستفهام طلباً للتعيين والاولى ان يليها احد المتعادلين ويلي (ام) الاخر في آخر الجملة والمتعادلان يكونان اما فعلاين نحو « اقام زيد ام قعد » او فاعلين نحو « ازيد قام ام عمر » . او مفعولاين نحو « ازيداً ضربت ام عمراً » او مبتدأين نحو « ازيدٌ عالم او عمرٌو » او خبرين نحو « اعالم زيد ام جاهل . افي الدار زيد ام في السوق » . او غير ذلك نحو « ابالنحو زيد ثقة ام بالبيان » وهلم جرًّا وسببه انه في طلب التعيين لا بد من سبق تصور المتعادلين وتصور الامر الثالث المطلوب ادراك نسبته الى احدهما وسبق هذا التصور يوذن بسرعة انتقال الذهن من احداهما الى الاخر فيناسب ذلك لفظ الهمزة كما قدمنا

(٢) في الاستفهام لطلب التقرير وذلك لان المطلوب التقرير عنه لا بد ان يسبق له ولمتعلقه نوع تصور في الذهن يوجب سهولة في الانتقال من احد اجزائه الى الآخر وهنا ينبغي ان يلي الهمزة ما يطلب التقرير عنه من فعل نحو « اتُحِبُّ القَتول اخت الرباب » وعليه قول السيد لبطرس « يا سمعان بن يونا اتحبني اكثر من هوءلاء » او فاعل نحو « انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين » ونحو « قالوا انت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم » او مفعول به نحو « اغير الله تدعون » « افغير الله تتقون » او غير ذلك كقوله « أ الي تقول هذا » وكقوله

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجْعَ ما انتَ قائلُهْ وأَبدَى الجوابَ الرَّبْعُ عمَّا تُسائلُهْ

أَفي ذاكَ بُرْءٌ من جَوًى أَلْهَبَ الحشا توقُّدُهُ واستغزرَ الدمعَ جائلُهْ

(٣) في الاستفهام عن الصفات نحو « اعالم زيد » لان الصفات يمتنع قيامها بنفسها ويمتنع ايضاً تصورها بدون تصور موصوفها فلا بد من سرعة الانتقال منها الى صاحبها ويلحق بالصفات الظرف والمجرور ايضاً فان تصورها متوقف على تصور متعلقها فلا بد من اسراع الذهن منها اليه

(٤) مع الجملة الشرطية لما بين فعليها من شدة الارتباط الذي يدعو الى سرعة انتقال الذهن من الاول الى الثاني نحو قوله

أَإِن هتفتْ ورقاءُ في رونقِ الضُحى بكيتَ كما يبكي الوليدُ من الوجدِ

(٥) مع الجملة موكدة بإِنَّ لان التوكيد يقتضي تصور الموكد اولاً وعليه آية التنزيل « وان تعجبْ فعجبٌ قولهم أَئذا كنا تراباً أَإِنا لفي خلق جديد »

(٦) مع النفي وذلك لسبق العلم باصل الجملة في الايجاب وسبق العلم يوذن بسرعة الانتقال كما مر نحو « أَلم تذهب الى المدينة » فانه لا بدَّ من سبق العلم بقصد ذهابه الى المدينة والله اعلم

المواضع التي فيها هل اعرق من الهمزة بالاستعمال

(١) لطلب الاتصاف نحو « هل زيدٌ عالمٌ » « هل من رجل في الدار »

(٢) للاستفهام عن الفعل ويجب ان يليها . نحو « هل قام زيد » و« هل يقوم » وسبب وجوب دخولها هنا على الفعل هو انها اذا دخلت على الاسم تبادر

الى الذهن الاستفهام اما عن الاتصاف او عن التقرير وكلاهما خلاف المقصود او على عكس المنتظر . واعلم ان المتبادر الى الذهن يجب مراعاته والجري على ما يقتضيه والاّ تأذّى العقل لخروج الكلام عن مقتضى الطبع الذي هو اس الفصاحة والبلاغة وعمدتهما كما لا يخفى

تنبيه : قال البيانيون ولأن لها (اي لهل) مزيد اختصاص بالفعل كان « فهل انتم شاكرون » ادل على طلب الشكر من « فهل تشكرون » و « فهل انتم تشكرون » . ومن « أفانتم شاكرون » . وسببه على ما ارى انها لطلب الاتصاف مع الجملة الاولى فيكون مؤداها « هل انتم متصفون بما يوجب الشكر » بخلاف مؤدى الجملة الثانية فانه اما سؤال عن المرّة او مرادف لقولنا « هل يحصل الشكر منكم المرّة بعد الاخرى » . ولا يخفى ان وقوع الشكر المرة بعد الاخرى قد يكون على سبيل العادة وقد يكون تكلفاً ورياءً وهذا لا يستلزم ظهور الشكر في اوقاته دائماً بخلاف الاتصاف بما يوجبه فانه يستلزم ظهوره كما دعا داعٍ له واما الجملة الثالثة فالاولى بها ان تكون للتقرير ثم هي اذا كانت لطلب غير التقرير فمعناها كمعنى الثانية مع احتمال ارادة القصر او الاختصاص . واما الجملة الاخيرة « افأنتم تشكرون » فالاولى بها ان تكون للتقرير واما اذا تحقق انها لغير التقرير فتكون من قبيل توارد هل والهمزة على محلٍّ واحد وحينئذٍ فلا فرق بين الجملتين والقول بالفرق ليس له من دليل يسنده الا ما لا يثبت على محك النقد او ما كان هو والاعتباط من باب واحد والله اعلم

لماذا تستعمل بقية ادوات الاستفهام

بقية ادوات الاستفهام هي : (من) ويسأل بها عن العوارض المشخصة لذي علم كقولك « من فعل هذا » فتقول « زيد » و « من زيد » فتقول « رجل عالم او كاتب او غنيٌّ » فالعلمية والعالمية والكاتبية الخ جميع هذه عوارض تشخص العاقل او ذي العلم لدى الذهن . و (ما) ويسال بها عن

معنى الاسم او عن ماهيته كقولك «ما العنقاء» فتقول «طير» او «طير كبير الجسم غريب الشكل يتوهم وجوده وهو غير موجود» . و (اي) ويسأَل بها عما يميز احد المتشاركين فيما يعمهما نحو «اي الفريقين احقُّ بالأَمن» فتقول «فريق المؤمنين» مثلاً وكقولك «اي الرجلين عندك» فتقول «زيد» فان العلمية تميز احد هذين المشتركين بوصف الرجولية عن الآخر . و (متى) ويسأَل بها عن الزمان ماضياً نحو «متى جئت» ومستقبلاً نحو «متى تذهب» . و (ايان) ويسأَل بها عن المستقبل قيل وتختص بما له شان وخطر نحو «ايان يوم الدين» . و (اين) و يسأل بها عن المكان نحو «اين كنت» . و (كيف) ويسأَل بها عن الحال نحو «كيف انت» و «كيف اتيت» . و (انى) وتكون تارة بمعنى من اين نحو «انى لك هذا» واخرى بمعنى كيف نحو «انى يكون له الملك علينا» . و (كم) ويسال بها عن العدد نحو «كم كتاباً عندك» و «سل بني اسرائيل كم اتيناهم من ايةٍ»

كثيراً ما يستعمل الاستفهام لغير طلب الفهم

الاصل في الاستفهام ان يستعمل لطلب الفهم لكن اذا امتنع حمل اداة الاستفهام على حقيقتها كما اذا كان المستفهم عنه معلوماً مثلاً تولد من ذلك بمعونة القرائن ومناسبات المقام اغراض شتى لا ينحصر شيءٌ منها في اداة دون اداة ومن تلك الاغراض

(١) الاستبعاد . كقولك «اين هذا من ذاك» تستعبد ما بينهما وعليه قوله

اينَ المَعيزُ منَ الآرامِ ناظرَةً وغيرَ ناظرَةٍ في الحُسنِ وَالطِّيبِ

ونحو: ومتى يُساعدُنا الوِصالُ ودهرُنا يومانِ يومُ نوًى ويومُ صُدُودِ

(٢) الاستبطاء نحو «كم دعوتك» ونحو «حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله» وكقوله

الى كم ذا التخلُّفُ والتَّواني وكم هذا التمادِي في التمادي

ونحو: إلامَ وفيمَ تنقُلنا رِكابٌ ونأملُ ان يكونَ لنا أوانُ

(٣) التعجب نحو «مالي لاارى الهدهد» «ما لهذا الرسول يأكل الطعام» وكقوله

مالي اكتِمُ حُبا قد برَى جسدِي وتدَّعي حُبَّ سيفِ الدولةِ الأُممُ

وكقوله: وكيفَ عرَفنا رَسمَ مَن لم يَدَعْ انا فُؤاداً لعِرفانِ الرسُومِ ولا لُبّا

ونحو: وكيفَ تُملُّكَ الدُّنيا بشيءٍ وأنتَ لعِلةِ الدُّنيا طبيبُ

وكيفَ تنوبُكَ الشكوى بداءٍ وانتَ المُستغاثُ لِما ينُوبُ

ونحو: وأنى اهتدَى هذا الرَّسولُ بأرضهِ وما سكَنتْ مذ سِرتَ فيها القساطِلُ

ومن أيِّ ماءٍ كانَ يَسقي جيادَهُ ولم تصفُ من مَزجِ الدماءِ المَناهلُ

ونحو: ما بالُ كلِّ فُؤادٍ في عشيرتها بهِ الذي بي وما بي غيرُ مُنتقِلِ

ونحو: ما لِلجمالِ ومشيِها وئِيدا أجَندلاً يحمِلنَ ام حدِيدا

(٤) التنبيه على ضلال المخاطب او على خطاءه نحو «فاين تذهبون» وكقولك «ما هذا القول الذي قلته». «ما هذا الذي فعلت» ولا يخلو التنبيه على خطاء من نوع توبيخ

(٥) التنبيه على الباطل كقوله

وما الفِرارُ إلى الأجبالِ من أسدٍ تَمشي النَعامُ به في معقِلِ الوَعِلِ

وربما منه قول الآخر

ماذا يُريدُ العاذِلونَ بعذلِ مَنْ لَبِسَ الخلاعةَ وأستراحَ وراحا

(٦) التحقير نحو « اهذا الذي بعث الله رسولاً » وكقوله

فمَنْ انتمْ إنَّا نسينا مَنْ انتمُ وريحُكمُ من ايِّ ريحِ الأعاصرِ

(٧) الوعيد ومثلوا له بقولهم « الم أؤدّب فلاناً » تقوله لمن يسيء الادب وارى منه قول بشر يخاطب الاسد

نصحتكَ فاتخذْ يا ليثُ غيري طعاماً إنَّ لحمي كانَ مُرَّا

ألم يبلُغكَ ما صنعتهُ كفّي بكاظمةٍ غداةَ لَقِيتُ عَمْرَا

(٨) للتشويق والترغيب نحو « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً » « هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم » ومن باب التشويق الاغراء وشاهده ما نقل عن لسان ابليس يخاطب ابا نواس في منامه قال

نمتُ وإبليسُ اتى بحيلةٍ منتدبَهْ

فقالَ لي هل لكَ في جاريةٍ مُطيبَهْ

الى آخر الابيات فانها ضرب من الاغراء ولا يذهب عنك التشوق فانه مما يراد بالاستفهام كثيراً وارى منه اكثر الهلاَّت في قصيدة ابن الفارض العينية ومنها

وهل أرِدَنْ ماءَ العُذَيبِ وحاجرٍ جِهاراً وسِرُّ الليلِ بالصُّبحِ شائعُ

(٩) التمني كقوله

متى أنا في رَكْبٍ يؤُمُّونَ منزلاً توحّدَ من شخصِ الشريفِ بأوحَدِ

ونحو: ألم يرَ هذا الليلُ عينَيكَ رؤيتي فتظهرَ فيهِ رِقّةٌ ونُحولُ

ولقرب التشوق من التمني فقد يظهران في مظهر واحد كما لا يخفى على متأمل فان المتشوق الى ديار احبته يتمنى كل مستحب لها ويتمنى بقاءها على ما كانت عليه من النضارة والنعيم فضلاً عن تمني القرب والله اعلم

(١٠) الانكار وهو ان كان بالهمزة فاولى ان يليها المنكر من (فعل) كقوله

أَيَنكرُ خَدّي دُموعي وقد جرَتْ منهُ في مَسلَكٍ سابِلِ

او (فاعل) كقوله

أَأَوَّلُ دَمعٍ جرَى فوقَهُ وَأَوَّلُ حزنٍ علَى راحلِ

او (مفعول به) كقوله

أَقَراراً الذُّ فوقَ شَرارٍ ومرَاماً ابغي وظُلمي يُرامُ
دونَ أَنْ يَشرَقَ الحجازُ ونَجدٌ والعِراقانِ بالقنَا وَالشَّآمُ

او غير ذلك كالظرف والمجرور نحو قوله

أَمِنّي تخافُ انتِشارَ الحدِيثِ وحظّيَ في سَترِهِ اوفَرُ

ونحو: يقولُ بِشِعبِ بوَّانٍ حِصاني أَعَنْ هذا يُسارُ الى الطِّعانِ

ونحو: أَبعدَ المَشيبِ المُنقضي في الذوائِبِ أُحاولُ لُطفَ الوُدِّ عِندَ الكواعِبِ

واما ان كان بغير الهمزة من بقية الادوات فلا يلزم فيها ما لزم مع الهمزة من ايلاء المنكر لها وامثلة الاستفهام الانكاري اكثر من ان تحصى

ولما كان المراد به انكار حكم الجملة بعده ترتب على ذلك ان ينقلب حكم الجملة من اثبات الى نفي و بالعكس فاذا دخل على الجملة المثبتة انقلبت الى منفية كقوله

تَهدَّدنا وَأَوعِدنا رُوَيداً متى كُنّا لِأُمِّكَ مَقتوِينا

ونحو: وهل يَشينُكَ وقتٌ كنتَ فارِسَهُ وكانَ غيرَكَ فيهِ العاجزُ الضَّرِعُ

ونحو: وهل يَنفعُ الجيشُ الكثيرُ التفافُهُ علَى غيرِ منصورٍ وغيرِ مُعانِ

ونحو: وتَملِكُ أَنفُسَ الثَّقَلَينِ طُرًّا فكيفَ تحوزُ انفُسَها كِلابُ

ونحو: متى يبلُغُ البُنيانُ يوماً تمامَهُ إذا كُنتَ تبنيهِ وغيرُكَ يهدِمُ

ونحو: ولستَ بمُستَبقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ على شَعَثٍ أيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ

واذا دخل على المنفية انقلبت الى مثبتة نحو« الم نشرح لك صدرك» «الم يجدك يتيماً »

وكقوله: أَلَيسَ وعَدتني يا قلبُ أني اذا ما تُبتُ عن ليلى تَتوبُ

فها أنا تائبٌ عن حبِّ ليلى فمالكَ كلَّما ذُكِرَتْ تذوبُ

ونحو: إليكمْ يا بني بكرٍ إليكمْ أَلمَّا تعلموا منَّا اليقينا

أَلما تعلموا منَّا ومنكم كتائبَ يَطَّعِنَّ ويرتمينا

وكثيراً ما يكون الانكار بمعنى ينبغي او لا ينبغي كقوله

أتلومُني يا عاذِلي في حبِّ من يحكي القمرْ

ونحو: أأطرحُ المجدَ عن كِتْفي واطلبُهُ وأتركُ الغيثَ في غِمدي وانتجعُ

ونحو: وكيفَ يتمُّ بأسُكَ في أُناسٍ تُصيبُهُمُ فيؤلمكَ المُصابُ

اي لا ينبغي ان تلومني ولا ينبغي ان اطرح المجد ولا ان اترك الغيث ولا ينبغي ان يتم باسك

ونحو: أَلم يسألِ الوَبلُ الذي رامَ ثَنْيَنا فيُخبرَهُ عنكَ الحديدُ المُثَلَّمُ

اي كان ينبغي ان يسأل وشواهد ذلك كثيرة لا تخفى على المتأمل

واعلم انه يتولد من الانكار معانٍ كثيرة بحسب مقامات الكلام لا تخفى على اللبيب كالتوبيخ والتجهيل والتكذيب والتهكم وكالتاسف والمدح والذم وكالوعيد والتهويل وقد يجتمع في الجملة الواحدة اكثر من معنى واحد من هذه المعاني ومدرك كلّ ذلك انما هو سلامة الذوق ويعين عليه تتبع تراكيب البلغاء واشعارهم فلا ينبغي ان نقتصر على معنى سمعته او مثال وجدته بل عليك بالتصرف واستعمال الروية والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

تنبيه : اذا كان الاستفهام لغير طلب الفهم كثر توارد الاداتين هل والهمزة على الاسم بعدهُ فعله او على الفعل ايضاً من غير تحرُّج في الاستعمال فمن القبيل الاوَّل قول الامام ابن الفارض رحمه الله

أَبَرْقٌ بَدا من جانبِ الغَوْرِ لامعُ أمِ ارْتَفعتْ عن وَجهِ ليلى البراقعُ
أَنارُ الغَضا ضاءت وسلمى بِذي الغَضا ام ابتسمتْ عمَّا حكتهُ المَدامعُ
أَنَشْرُ الخزامى فاحَ ام عَرْفُ حاجزٍ بأُمِّ القُرى ام عِطرُ عزَّةَ ضائعُ

الى ان يقول

وهل عَذَباتُ الرَّندِ يُقطَفُ نورُها وهل سَلَماتٌ بالحجازِ ايانعُ
وهل ظَبَياتُ الرَّقمتينِ بُعَيْدَنا أَقَمنَ بها ام دونَ ذلكَ مانعُ
وهل فَتَياتٌ بالغُوَيرِ يُرِينَني مَرابعَ نُعمٍ نِعمَ تلكَ المرابعُ

ومن القبيل الثاني قول المتنبي

أَأُحِبُّهُ وأُحبُّ فيهِ مَلامةً إنَّ المَلامةَ فيهِ من اعدائهِ
وهل يَشينُكَ وقتٌ كنتَ فارِسَهُ وكانَ غيرَكَ فيهِ العاجزُ الضَرِعُ

فان الاستفهام في البيتين للانكار كما هو ظاهر وقد ادخل الهمزة على الفعل في البيت الاول وهل عليه في البيت الثاني وامثلة ذلك كثيرة لا تراهم يتحرجون فيها باستعمال اداة دون اختها

واما اذا كان الاستفهام لطلب الفهم فالاولى ان لا تدخل هل على الاسم بعدهُ فعله في غير محافظة على وزنٍ او قافية وشبهها الاَّ اذا أُريد الاختصاص بالسؤال عن ذلك الاسم بعينه وان لا تدخل الهمزة على الفعل الاَّ اذا كان بطلب الاقرار به وما خرج عن ذلك فمن قبيل الرجوع الى الاصل في استعمال كلٍّ من الاداتين مكان الاخرى والنحاة لا يمنعونه على ما اعلم بل اختلفوا في طلب التعيين أخاصٌّ بالهمزة ام يجوز استعمال هل فيه فمنهم من منع استعمالها ومنهم من اجازه وتمسك المجيزون بالحديث «هل تزوجت بكراً ام ثيباً» وقالوا في هل انها هنا لطلب التعيين والذي اراه منع انَّ مساق الحديث كان طلباً للتعيين واليك البيان

اعلم أنه لا يلزم في كل جملة ظاهرها مشابه لظاهر الجملة المطلوب فيها التعيين كجملة

الحديث هذه ان تكون لطلب التعيين حتى تلازم معها الهمزة فانّ طلب التعيين يقتضي سبق تصور كلّ من المتعادلين وتصوُّر الامر الثالث الذي له تعلق باحدهما على غير تعيين وكل ذلك غير متحقق في جملة الحديث فان الرسول لما رأى جابراً وكان يعرفهُ عزباً خطر له ان يسأله عما اذا كان قد تزوج ثمّ خطر له متعلق الفعل فقال بكراً ام ثيباً وقدّم البكر لان الغالب ان يتزوج العزب بكراً وكل ذلك موافق لسلسلة ائتلاف الافكار الطبيعية والالفاظ فيها وفقاً للمعاني بحسب ورودها على الذهن كما هو المقتضي . والقول ان الرسول تصور البكر والثيب والتزوج ثم طلب من جابر التعيين وجاء بهل دون الهمزة خلافاً لمتعارف الفصحاء انما هو قول من غفل عن شريعة الفكر ومجرى سلسلة الافكار الطبيعية ولما كان متعلق الفعل تزوجت (اعني بكراً ام ثيباً) ينتقل فيه الذهن بسرعة من الاول الى الثاني لما بينهما من شدّة الاتصال الذهني استعملت ام دون او لان لفظ ام اشدّ اتصالاً بما بعده من لفظ او على ما ارى

وعلى مثل ذلك يجب عندي ان نتأوّل ما يجيء في مواضيع المباحثات كقولك مثلاً « هل يتوقف تقدم البلاد على العلم ام على الصناعة » فانها جائزة وتخرّج على غير طلب التعيين واما العاطف « او » و « ام » فيصح لك استعمال ايهما شئت الاّ انه اذا كان الارتباط الذهني بين المتعاطفين شديداً فلفظ ام انسب والاّ فلفظ او والله يعلم وانتم لا تعلمون

الامر والنهي

والاول طلب انشاء الفعل والثاني طلب الكفّ عنه من الفاعل الا انه لما كان الطالب قد يكون اعلى او ادنى او مساوياً للمطلوب منه كقول السيد لعبده « اذهب الى مكان كذا » و كقول العبد لسيده « ايذن لي ان اذهب الى مكان كذا » و كقول الاخ لاخيه والصديق لصديقه « أعطني كذا » اختلفوا في تسمية هذا الطلب فقال الاكثرون لا يسمى امراً إلا اذا كان الطلب

من الاعلى الى الادنى فاما اذا كان من الادنى الى الاعلى فيسمى دعاء او من النظير والمساوي فالتماساً . والحق انه اختلاف لفظي منشاه اللغة بداعي ما يتبادر الى الذهن من لفظة الامر فان الامر بحسب هذا المتبادر يفهم منه الطلب من الاعلى الى الادنى والمراد به في الاصطلاح مجرد الطلب من غير قيد وهذا بحث يدق على الطلبة لما فيه من المخادعة اللفظية فالاولى ترك التطويل فيه والاكتفاء بما ذكرنا واهم من ذلك ان نذكر لك انه اذا تعذّر حمل صيغة الامر على اصل معناها اي ارادة طلب انشاء الفعل تولد من ذلك معانٍ تختلف بحسب اختلاف المقام ومن هذه المعاني

(١) الاباحة كقولهم «جالس الحسن او ابن سيرين» وكقول التنزيل «كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الصبح» فان تقيد الفعل بحتى التي لانتهاء الغاية يمنع من حمل الصيغة على اصل معناها والا لزم الاكل والشرب كل تلك المدة ولا قائل به بل ليس من قائل بوجوب الاكل في بعض تلك المدة والمعروف ان في ترك الاكل اذا امكن زيادة في الاجر ايضاً . فان قلت وهل يوجب الامر انشاء الفعل ضرورة قلت ذلك يختلف باختلاف الآمر او الطالب فان كان الآمر الله كما في هذه الاية وجب على المأمور انشاء الفعل وفقاً لمشيئة الامر وكل ذلك من مسائل الفقه واشباع الكلام فيه خارج عن بحث المعاني

(٢) التهديد نحو «اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير» فان التعميم المفهوم من القيد بما شئتم وقرينة الحال الواردة فيه الآية كل ذلك يمنع من ارادة طلب انشاء الفعل ويعين ارادة التهديد

(٣) التعجيز نحو «فاتوا بسورة من مثله» ونحو «فاسقط علينا كسفاً من السماء» فان العلم بعدم استطاعتهم على الاتيان وزعمهم عدم القدرة على الاسقاط كل ذلك يمنع من ارادة طلب الانشاء والمقام يعين ان المراد التعجيز

(٤) التهكم ومنه قول المتنبي على الارجح

خُذُوا ما أتاكُمْ بهِ وَاعْذِروا فَإنَّ الغنيمةَ في العَاجِلِ
وَإنْ كانَ اعجبكمْ عامُكمْ فعُودُوا إلى حِمْصَ في القابِلِ
فإنَّ الحسامَ الخَضيبَ الذي قُتِلتمْ بِهِ في يَدِ القَاتِلِ

(٥) الاهانة كقوله

قال قومٌ لا نعرفُ العِشقَ اصلاً قُلتُ كونوا حجارةً او حديدا

فان الغرض اهانتهم وقلة المبالاة بهم كما في جوابك لمن يقول لك «ان لم ترضني اصر مجوسياً» فتقول له «صر شيطاناً»

(٦) التسوية «واسرُّوا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور» والفرق بين التسوية والاباحة انَّ المخاطب في الاباحة كانه توهم ان ليس يجوز الاتيان بالفعل فابيح واذن له فيه مع عدم الحرج في الترك وفي التسوية كانه توهم ان احد الطرفين من الاسرار والجهر انفع وارجح بالنسبة اليه فرفع ذلك التوهم وسوَّى بينهما

(٧) التمني كقولك «اصبح يا ليل» فان طلب الاصباح من الليل متحقق عدم امكانه فحمل الكلام على التمني الدال عليه المقام وعليه قول امرىء القيس

الاَ ايها اللَيلُ الطَويلُ الاَ انجَلِ بِصبحٍ وَما الإصباحُ منكَ بأمثَلِ

فليس غرضه طلب الانجلاء من الليل لانَّ الليل لا يقدر على الانجلاء

لكنه يتمنى ذلك تخلصاً عما عرض له فيه من تباريح الجوى. ويقرب من التمني التشوق على ما جاء في نشيد الانشاد «استيقظي يا ريح الشمال وتعالي يا ريح الجنوب هبي على جنتي فتقطر اطيابها ليأت حبيبي الى جنته ويأكل ثمره النفيس» فان شذا التشوق يتضوّع من خلال هذه الايات على ما ارجح

(٨) لطلب دوام الفعل على سبيل الدعاء او لطلب الثبات على ما هو عليه المخاطب

كقوله : عِشْ ما بدَا لكَ سالماً في ظلِّ شاهقةِ القُصورِ

وكقول الآخر

أجرِ الجيادَ علَى ما كُنتَ مُجرِيَها وخُذْ بنفسِكَ في اخلاقِكَ الأُوَلِ

واعلم ان بعض هذه الاغراض قد تجيءُ مع النهي كالتهديد نحو «لا تطيعوا الله وانظروا العاقبة» وكالتسوية نحو «اصبروا او لا تصبروا» والله اعلم

فائدة جليلة

ذكر صاحب التخليص انّ هذه الاربعة اعني التمني والاستفهام والامر والنهي يجوز تقدير الشرط بعدها وايراد الجزاء عقيبها مجزوماً بان المضمرة مع الشرط . وقد تصدى العلامة التفتازاني لبيان التعليل المسوغ لهذا التقدير فجاء بما هو غاية . وقد ذكر لذلك وجهان نوردهما لك بحروفهما (١) قال

«وقد ذكر في تحقيقه وجهان (احدهما) ان هذه الاربعة فيها معنى الطلب والطلب لا ينفك عن سبب حامل للطالب على ذلك الطلب فوجود ذلك السبب الحامل مسبب عن ذلك الطلب في الخارج لان العلة الغائية بوجودها معلولة بالعلة الفاعلية وان كانت بماهيتها علة لعلية العلة الفاعلية ولهذا قالوا ان العلة الغائية تتقدم في الذهن على المعلول وتتاخر في الخارج عنه وهذا معنى قولهم اول الفكر آخر العمل. ولما كان ذلك اعني كون وجود السبب الحامل مسبباً عن الطلب في الخارج مفهوماً من ذكر الطلب ودل عليه ذكره المسبب الذي يصلح

(١) المطول طبع الاستانة وجه ٢٤٢ و٢٤٣

سبباً حاملاً عليه اغنت هذه القرينة عن ذكر حرف الشرط والسبب اذ ليس معنى الشرط والجزاء الاسببية الاول ومسببية الثاني فالجزم السبب الحامل بان مقدرة بعد هذه الاشياء (وثانيهما) ان كل كلام لا بد فيه من حامل للمتكلم عليه والحامل على الكلام الخبري افادة المخاطب بمضمونه وعلى الطلبي كون المطلوب مقصود المتكلم اما لذاته اولغيره يعني يتوقف ذلك الغير على حصوله وتوقف غيره على حصوله هو معنى الشرط فاذا ذكرت الطلب ولم تذكر بعده ما يصلح توقفه على المطلوب جوّز المخاطب كون ذلك المطلوب مقصوداً لنفسه ولغيره وان ذكرت بعد ذلك غلب على ظنه كون المطلوب مقصوداً لذلك المذكور لا لنفسه فيكون اذن معنى الشرط في الطلب مع ذكر ذلك الشيء ظاهراً هذا اذا كان المذكور بعد هذه الاربعة صالحاً لأن يكون جزاء من مفهومها وقصد به السببية بخلاف قولنا (اين بيتك اضرب زيداً في السوق) اذ لا معنى لقولنا ان تعرفنيه اضرب زيداً في السوق واما قوله تعالى «قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة» فلان الشرط لا يلزم ان يكون علة تامة لحصول الجزاء بل يكفي في ذلك توقف الجزاء عليه وان كان متوقفاً على شيء آخر (نحو ان توضأت صحت صلاتك) واذا لم يقصد السببية يبقى المضارع على رفعه اما حالاً (نحو ذرهم في خوضهم يلعبون) او وصفاً نحو (اكرم رجلاً يحبك) او استئنافاً اي جواباً عن سؤال يتضمنه ما قبله نحو (قم يدعونك) — انتهى

النداء

النداء هو طلب الاقبال بحرف نائب مناب ادعو لفظاً وتقديراً وادواته معلومة على ما مرّ بك في كتب النحو بقي ان تعرف في ماذا قد يستعمل النداء ونذكر لك هنا خلاصة ما ذكره صاحبا التلخيص والمطول قالا

وقد تستعمل صيغته في غير معناه (كالاغراء) في قولك لمن اقبل يتظلم «يامظلوم» فان الغرض اغراؤه على زيادة التظلم وبث الشكوى. و (الاختصاص) واحسن صوره واقربها الى الفهم ما قام فيها مقام ايّ اسم منصوب اما معرّف باللام نحو «نحنُ العربَ أقرى الناس للضيف» او مضاف نحو

إِنَّا بني نَهشَلٍ لا نَدَّعي لِأَبٍ عنهُ ولا هوَ بالأَبناءِ يَشرِينا

قال الامام المرزوقي الفرق بين ان ينصب بني نهشل على الاختصاص وبين ان يرفع على الخبرية هو انه لو جعله خبراً لكان قصده الى تعريف نفسه عند المخاطب وكان فعله لذلك لا يخلو عن خمول فيهم وجهل من المخاطب بشأنهم واذا نصب أمن ذلك فقال مفتخراً « انا (اذكر من لا يخفى شأنه) لا نفعل كذا وكذا » . ومما يستعمل فيه النداء (الاستغاثة) نحو « يا لله من الم الفراق » ومنها (التعجب) نحو « يا للماء » و « يا لك من ليلٍ » كانه لغرابته يدعوه ويستحضره ليتعجب منه ومنها (التدله) (والتحير) و (التضجر) كما في نداء الاطلال والمنازل والمطايا ونحو ذلك كقوله « يا منازل سلمى اين سلماك »

يا ناقُ جِدّي فقد أفنَتْ أناتُكِ بي صبري وعُمْري وأحلامي وأنساعي

ومنها التوجع والتحسر كقوله

فيا قبرَ معنٍ كيفَ واريتَ جُودَهُ وقد كانَ منهُ البَرُّ والبحرُ مُترَعا

وكقوله « يا عين بكي عند كل صباح » ومنها (الندبة) كقولك يا « محمداه » كانك تدعوه وتقول تعال فانا مشتاق اليك (انتهى)

الايجاز والاطناب والمساواة

وهي من الاوصاف التي تتصف بها الجملة لا من العوارض التي تعرض لها فان الجملة بعد اذ تعرض لها عوارض من الحذف والذكر والاتباع والفصل واشباه ذلك على ما تقدم معنا تستقل بوصف من الاوصاف المذكورة اعلاه فيقال انها موجزة او فيها اطناب او مساواة الا ان المساواة ضرب من الايجاز فلا

يذهب عليك ذلك . ولنتقدم الآن الى بيان معاني هذه الاوصاف في الجملة مع ذكر ملاحظات لا تخلو من فائدة

الايجاز

تعريف الايجاز

الايجاز هو اخصر طريق لاحضار المعنى المراد الى ذهن السامع ولا يلزم من كونه اخصر طريق ان يكون احسن طريقٍ دائماً فانَّ من الطرق القريبة المسافة ما يفضل التنكب عنها لما فيها من المخاطر او لما فيها من المشقة على السالك اما لوعرة مسالكها او لضعف قوة السالك فيها عن ان توفي بقطعها

واذا جاز لنا ان نشبه الجملة بالطريق لما ان كلاً منهما واسطة لابدَّ من المرور عليها للوصول الى ما يراد الوصول اليه . فلنا ان نقول ان افضل الطرق ما اوصلت الى المحل المقصود باقرب مدة مع ارتياح السالك اليها اثناء سلوكه فيها ولاينتج من هذا ان افضل الطرق اقربها مسافة لان من الطرق القريبة المسافة ما لا يستطاع قطعها لما فيها من وعرة المسالك وصعوبة المرتقيات ومن هذه ايضاً ما اذا تيسر قطعها فقدلا يتهيأُ للسالك ذلك الاَّ فى مدة تزيد عن مدة غيرها من الطرق السهلة او تساويها ومنها ما اذا تيسر قطعها في مدة دون المدة اللازمة لقطع غيرها وصل السالك الى نهايتها تعباً دامي الاقدام لا يستطيع ملاحقة السير فيفوته من كان قد تأُخر عنه ممن سار على غيرها . جميع هذه الطرق وان كانت اقصر مسافة فعلى الدليل الحاذق ان لايحمل السالكين عليها . ولا تفضل مختصرات الطرق الاَّ بشروط هي ان توصل الى المحل المقصود اولا ، وان توصل اليه باقرب مدة ثانياً ، وان لا ينال السالك منها تعباً يحول بينه وبين

ملاحقة السير او اذا كان قد انتهى به السير فان لا يتأذى بها بما ينهك بدنه ويورثه وهنًا يستمر به اياما ثالثًا . وعلى الدليل ان يعتبر حال تابعيه في الشدة والضعف فلا يغرّر بضعفاء البنية وواهني القوة فكم من طريق يسلكها الشبان شديدو البنية ولا يقوى عليها المستضعفون من الرجال والنساء . وهذه حال الكاتب فانه كالدليل فعليه لذلك ان يعتبر حال القراء فلا يسلك بهم سبل الايجاز الا اذا كان يعلم قدرتهم على فهم المعاني المرادة معه بسهولة . وما حملني على الاستطراد الى ما ذكرت الا ما خطر لي في شان كتابة علماء البيان عندنا فانهم كتبوا للعلماء دون المبتدئين ولذلك احتاجت كتاباتهم الاّ ما ندر الى شرح وشرح الشرح ولكن المتأمل يعلم ان الشرح يصعب على القاري كما يصعب عليه الايجاز لاقتضائه ان يفهم القاري في وقت واحد ما يريده الماتن والشارح ويتابع سلسلة افكارهما وفي هذا من الصعوبة ما لا يقلُّ عن صعوبة الايجاز ان لم نقل انه يزيد عليها . ولنرجع بعد هذا الاستطراد الى موضوع كلامنا

قلنا ان الايجاز اخصر طريق لاحضار المعنى المراد الى ذهن السامع وقلنا ايضاً انه لا يلزم من كونه اخصر طريق ان يكون افضل طريق دائمًا فانك اذا اعتبرت الجمل الاتية « ربي شخت . ربي اني شخت . ربي وهن العظم مني . ربي اني وهن العظم مني . ربي وهن العظم مني واشتعل الراس شيباً . ربي اني وهن العظم مني واشتعل الراس شيباً » علمت ان جميعها تودّي معنى واحداً وان اخصرها الاولى وهي « ربي شخت » الا انها ليست افضل من الاخيرة وهي « ربي اني وهن العظم مني واشتعل الراس شيباً » وذلك لان الجملة الاولى لا تحضر عند اول سماعها الى ذهن السامع ما اراده القائل من تصوير ما صارت

اليه حاله من الضعف ووهن العظام ولون المشيب ولا تنقل الى النفس احساس التاسف والتحسر على مثل ما هما في نفس المتكلم وفقاً لما يقصده بعبارته ولذلك فوضع الجملة الاولى موضع الاخيرة على ما فيها من قلة الالفاظ مغاير للبلاغة ومخالف لمقتضاها كل المخالفة · على انك اذا قلت مثلاً « اذا شاخ المرء فعلى لذاذات الحياة السلام» لا يحسن ان نضع موضعها «اذا وهن عظم المرء واشتعل رأسه شيباً فعلى لذاذات الحياة السلام » لان المقصود ليس الى تصوير الحالة ولا الى اظهار تاسف وتحسر انما المقصود بيان انه اذا مضى الشباب مضت معه لذاذات الحياة ومضيُّ الشباب يفهم من قولنا شاخ المرء كما يفهم من قولنا وهن عظمه واشتعل راسه شيباً فتأمل · وليرسخ في ذهنك ان ليس كل ايجاز بل بالحري ليس كل اختصار بليغاً يفضل على غيره بل ايجاز البليغ ما وافق موضعه والغاية المسوق اليها والاً فلا

اقسام الايجاز

الايجاز يقسم الى قسمين ايجاز بحذف وايجاز بغير حذف والثاني اما ان يكون ايجاز تقدير او ايجاز قصر فصارت جملة الاقسام ثلاثة اليك الكلام في كل قسم منها على حدة

ايجاز الحذف : علمت من تسمية هذا القسم ما المراد منه وقبل ان نشير لك الى نوع المحذوف ما هو لا نرى بدّاً من مراجعة ما تهم معرفته من شروط الحذف ومسوغاته · واول هذه الشروط ان يدل دليل على الحذف وآخر على تعيين المحذوف · وثانيها ان يكون رونق الكلام مع الحذف اطلى واشهى منه بدونه وهذا امر تعرفه بالسليقة وحسن الذوق فلا تحذف اذن الاً اذا رايت الطبع

يدفعك الى الحذف وحسن الذوق يؤذن لك به. وثالثها ان يبقى الكلام على ما كان له من سهولة الفهم فاذا ادى الحذف الى صعوبة فهم المراد فاياك واياه الحذف وان في النظم فان الحذف يعدُّ لك حينئذ من قبيل الاضطرار لا من قبيل البلاغة ولا تخادع نفسك ببعض ما ورد في ايات التنزيل فانه قد تهيأ لتلك من الظروف ومقتضيات الاحوال التي آذنت بالحذف غير ما يمكن ان يتهيأ لك فضلاً عن انك لاتجد من ينزّل لك كلامك بمنزلة كلام التنزيل ولا من يحرص على تراكيب الفاظه ويتصدى لبيان ما تودعه فيها من المعاني الغامضة بل قد لا تجد من يحفل بكلامك غير نفسك فان لم يكن مما تشرّ به الاعين والآذان بغير استئذان فلا من يقدره ما يستحقه الاَّ القليل من المنصفين فلا يدليك اذن الغرور الى تحدي القرآن وتقليد ما فيه من ايجازات احتاجت الى كبار المفسرين لبيان المحذوف منها فانك تكون بذلك قد اصبت من مقاتلك وانت لا تدري بما وضعت من نفسك في غير موضعها وما رفعت من درجة كلامك الى درجة غير بالغها. واذا علمت هذه الشروط الثلاثة فلنتقدم الان الى ذكر ما ينبهك الى نوع المحذوف فتتفطن له في كلام الغير حالما يمرُّ بسمعك وتقيس عليه المحذوف في كلامك فنقول :

المحذوف قد يكون

(١) جزء جملة مضافاً نحو «واسأل القرية التي كنا فيها» اي اهل القرية ونحو «وحيئنذٍ خرج اليه اورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالاردن» وكقولك «لامني العاذل فيه» اي في حبه وهلمَّ جرًّا

(٢) جزء جملة مضافاً اليه نحو «وواعدنا موسى اربعين ليلة واتممناها

بعشر» اي بعشر ليالٍ ونحو «لله الامر من قبل ومن بعدُ» اي من قبل ذلك ومن بعده

(٣) جزء جملة موصوفاً «نحو آمن وعمل صالحاً» وكقول البحتري في صفة ايوان كسرى وما فيه من التصاوير

وإذا ما رأيتَ صورةَ إنطا (م) كيَّة ارتعتَ بينَ رومٍ وفرسِ
والمنايا مواثلٌ وأنو شَرْ (م) وان يزجي الصفوفَ تحتَ الدِّرَفسِ
في اخضرارٍ منَ اللباسِ على اصـ (م) فرَ يختالُ في صبيغةِ ورسِ

اي على فرس اصفر وكقول الآخر

ما لكَ عندي غيرُ سهمٍ وحجرْ وغيرُ كبداءَ شديدةِ الوترْ

اي قوس كبداء واعلم ان الصفات الخاصة بموصوف يفهم منها كعاقل ومذنب وشاعر وكاتب وامثال هذه تنوب مناب موصوفاتها وهو كثير شائع بخلاف الصفات التي مثَّل لها فانها لما كانت لاتختص بنوع موصوف كان لابد أن يتقدم عليه او يتأخر عنها ما يدل على الموصوف عند حذفه ولا يستهويك ما وردمن الحذف في بعض المعلقات فتقيس عليه من غير اعتبار ما ذكرناه لك

(٤) جزء جملة صفة وهو اقل وجوداً من حذف الموصوف واقامة الصفة مكانه ولا يكاد يقع في الكلام الا نادراً لمكان استبهامه كقولك عن زيدٍ مثلاً في اثناء حديث مساقٍ لمدحه «كان والله رجلاً» اي رجلاً فاضلاً او كريماً اوشجاعاً وما جرى هذا المجرى فان خلا المقام عن تعيين الصفة فلا بدَّ ان يتقدم عليها اويتأخر عنها في الكلام ما يدلُّ عليها نحو قوله «اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ

كل سفينة غصباً » اي كل سفينة صحيحة غصباً وقد دل على هذا المحذوف
قوله فاردت ان اعيبها وكقول الشاعر

كُلُّ أمرِىءٍ ستَئيمُ منهُ (م) هُ العِرسُ او منها يَئِيمُ

فانه اراد كل امرء متزوج لدلالة ما بعده عليه اي ستئيم منه او يئيم منها
اذ لا تئيم هي الاّ من زوج ولا يئيم هو الاّ من زوجة ومثله قول ابي الطيب

أُهِمُّ بشيءٍ وَاللَّيالي كأنَّها تُطارِدُني عن كَونِهِ وأُطارِدُ
وَحيدٌ منَ الخُلاَّنِ في كلِّ بَلدَةٍ إذا عَظُمَ المَطلوبُ قلَّ المُساعدُ

اي اهمُّ بشيءٍ عظيم دلَّ عليه البيت بعده

(٥) جزء جملة مفعولاً به وهو كثير شائع صريحاً كقوله

يا بارِقًا بأعالي الرَّقمتَيْنِ بَدَا لقدْ حكيتَ ولكن فاتكَ الشَّنَبُ

اي حكيت ثغره او غير صريح كقوله

فَدَنوتمْ ودُنوكُم من عِندِهِ وسمحتمْ وسَماحُكمْ من مالهِ

اي فدنوتم منه وسمحتم له ان يواصل وكقول الآخر

وأقضي علَى نفسي اذا الأمرُ نابني وفي النَّاسِ مَنْ يُقضَى عليهِ ولاَ يقضي

اي ولا يقضي على نفسه

(٦) قد يكون المحذوف ما يجيء بعد افعل التفضيل كقولنا « الله
اكبر » اي من كل كبير وكقولهم « زيد احسن وجهاً واكرم خلقاً » اي من
غيره وعليه قول الشاعر

أللهُ اعطاكَ المحبةَ في الورَى وحَباكَ بالفضلِ الذي لا يُنكَرُ
وَلأَنتَ أملأُ في العيونِ لديهمِ وأجلُّ قدراً في النُّفوسِ وأكبرُ

اي من غيرك

(٧) قد يكون المحذوف ما يجيء بعد الاَّ الاستثنائية كقوله

لا يَعرِفُ الشَّوقَ إلاَّ وَلا الصَّبابةَ إلاَّ

اي

لا يَعرِفُ الشَّوقَ إلاَّ منْ يكابِدُهُ ولا الصَّبابةَ الاَّ منْ يُعانيها

وكقول الآخر

ولَثْمتُهُ في خَدّهِ تِسعينَ اوتِسعينَ الاَّ

اي الاَّ واحدةً وفي البيت الاول من التلميح ما لا يخفى

(٨) وقد يكون المحذوف جواب الشرط اوفعله او كلاهما معاً وامثلة ذلك كثيرة فمن حذف نحو قوله «لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون» اي لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء وعليه قول ابي تمام

لو يعلمُ الكفرُ كم من أعصرٍ كمنتْ له المَنيَّةُ بينَ السُّمرِ وَالقُضُبِ

اي لاخذ اهبة الحذار او ما يقاربه

ومن حذف الفعل قوله

لو كُنتُ من مازنٍ لم تَستبحْ إبلي بنو اللَّقيطةِ من ذُهْلِ بنِ شَيبانا

إذَنْ لَقامَ بِنَصري مَعشَرٌ خُشُنٌ عندَ الحفيظةِ إنْ ذو لُوثَةٍ لانا

اي اذا لو كنت منهم لقام او اذ لو كانوا قومي لقام

واما حذف الفعل والجواب معاً فكقوله

شهرُ الصيامِ تَقَضَّى وشهرُ شوَّالٍ هلاَّ

وقد حَضرنا جميعاً فإن حَضرتَ وإلاَّ

اي فان حضرت فاهلاً وسهلاً مثلاً وان لم تحضر فلا حاجة بنا اليك ومثله قول الآخر

فوضعتُ في طوقي يديَّ (م) وقلتُ خلوني وإلاَّ

اي وان لم تخلوني شققت طوقي

وقد يحذف الفعل وهو غير فعل شرط ولا جوابه كقول الشاعر

اذا التوديع أعرَضَ قالَ قلبي عَليكَ الصَّمتَ لا صاحبتَ فاكا
ولولا أنَّ اكثرَ ما تمنّى مُعاوَدةٌ لقُلتُ ولا مُناكا

اي ولا صاحبت مناك . ثم قال

ولا ارضى لمُقلتهِ بحُلمٍ إذا انتَبهَتْ توهَّمَهُ ابتشاكا
ولا إلاَّ بأن يُصغيْ وأحكي فَليتَكَ لا يُتَيِّمُهُ هَواكا

اي ولا أرضى الا بان وقد يكون المحذوف جملة اسمية والحذف من قبيل الاضمار على شريطة التفسير كقول ابي نواس

سُنَّةُ العُشَّاقِ واحدَةٌ فاذا أَحبَبتَ فاْستكنِ

اي سنة العشاق واحدة وهي الاستكانه[1] .

ايجاز التقدير : والكلام الذي يوصف بايجاز التقدير هو ما ساوى لفظه معناه وعلى ما حدَّه ابن الاثير « هو الذي يمكن التعبير عنه بمثل الفاظه وفي عدتها » نحو « الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى » . و« المضعف امير الركب » ونحو ما ورد في دعاء الرسول لابي سلمة عند موته « اللهم ارفع درجته في المهتدين واخلفه في عقبه في الغابرين لنا وله يارب العالمين » . وكحديث

(١) راجع المثل السائر طبع بولاق من وجه ٣٠١ — ٣٢٢

الحديبية وهو انه جاء بديل بن ورقاء الى النبي (صلعم) فقال له «اني تركت كعب بن لوي بن عامر بن لوى معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت» فقال له الرسول (صلعم) «ان قريشاً قد نهكتهم الحرب فان شاؤا ماددناهم مدة ويدعوا بيني وبين الناس فان اظهر عليهم واحبوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس والا كانوا قد جمّوا وان ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي هذه ولينفذنّ الله امره»

ومن هذا النمط كتاب طاهر بن حسين الى المامون عند لقائه عيسى بن ماهان وهزمه اياه وقتله وصورة الكتاب هذه «كتابي الى امير المؤمنين وراس عيسى بن ماهان بين يديه وخاتمه في يدي وعسكره مصرّف تحت امري والسلام» ومما جاء منه شعراً واستشهد به العلامة ابن الاثير قول النابغة

وإنّكَ كالليلِ الذي هوَ مُدرِكي … وإنْ خلتُ أنّ المُنتأى عنكَ اوسَعُ

وقوله: ولستَ بمُستَبقٍ اخاً لا تَلُمُّهُ … على شَعَثٍ ايُّ الرّجالِ المُهَذَّبُ

ونحو: وما لامرىءٍ حاولتَهُ عنكَ مَهرَبٌ … ولو حَمَلَتهُ في السَّماءِ المَطالعُ

بلى هاربٌ لا يهتدي لمكانهِ … ظلامٌ ولا ضَوءٌ منَ الصُبحِ ساطعُ

وكقول ابي نواس

ودارِ ندامى عطّلوها وأدلجوا … بها اثرٌ منها جديدٌ ودارسُ

مَساحِبُ من جرّ الزِقاقِ على الثَرى … واضغاثُ رَيحانٍ جَنيٌّ ويابسُ

حبَستُ بها صَحبي فجدّدتُ عهدَهم … وإني على امثالِ تلكَ لحابسُ

تُدارُ علينا الرّاحُ في عَسجَديّةٍ … حبَتها بأنواعِ التَصاويرِ فارسُ

قَرارَتُها كسرى وفي جَنَباتها … مَهاً تدّريها بالقِسيّ الفوارسُ

فللرّاحِ ما زُرّت عليه جيوبُها … وللماءِ ما دارت عليه القَلانِسُ

روي عن الجاحظ انه قال لا اعرف شعراً يفضل هذه الابيات التي لابي نواس ولقد انشدتها ابا شعيب القلال فقال والله يا ابا عثمان ان هذا لهو الشعر ولو نُقر لطنّ فقلت له ويحك ما تفارق عمل الجرار والخزف · قال ابن الاثير ولعمري ان الجاحظ عرف فوصف وخبر فشكر والذي ذكره هو الحق

ايجاز القصر : هو ما زاد معناه على لفظه من غير حذف ومن امثلته قوله « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف » فقوله فله ما سلف من جوامع الكلم ومعناه ان خطاياه الماضية قد غفرت له وتاب الله عليه فيها الا ان قوله فله ما سلف ابلغ اي ان السالف من ذنوبه لا يكون عليه انما هو له وكذلك قوله « من كفر فعليه كفره » فعليه كفره كلمة جامعة تغني عن ذكر ضروب من العذاب لان من احاط به كفره فقد احاطت به كل خطيئة · ومنه ما ورد عنه (صلعم) في حديث مطول يتضمن سؤال جبريل عليه السلام فقال من جملته « ما الاحسان » قال « ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » فقوله تعبد الله كأنك تراه من جوامع الكلم لانه ينوب مناب كلام كثير كأنه قال ، تعبد الله مخلصاً في نيتك واقفاً عند ادب الطاعة من الخضوع والخشوع آخذاً اهبة الحذر » واشباه ذلك لان العبد اذا خدم مولاه ناظراً اليه استقصى في آداب الخدمة بكل ما يجد اليه السبيل وينتهي اليه الطوق ومنه قوله « فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم » فقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم من جوامع الكلم اي غشيهم من الامور الهائلة والخطوب الفادحة ما لا يعلم كنهه الا الله ولا يحيط به غيره وعلى نمط الآية قول ابي نواس

وَلَقَد نَهَزْتُ مَعَ الغُواةِ بِدَلْوِهِمْ   وَأَسَمْتُ طَرْفَ اللَّحظِ حيثُ أَسامُوا
وبلغتُ ما بَلَغَ امرُؤٌ بِشبابِهِ   فاذا عُصارَةُ كلِّ ذاكَ أَثامُ

ومن ايجاز القصر قول بعض الاعراب في دعائه « اللهم هب لي حقك وارضِ عني خلقك » فقال الرسول « هذا هو البلاغة » ومنه حديث الخراج بالضمان وقول الفقهاء « الغرْم بالغنم » ومما ورد منه شعراً قول السموأل

وإنِ هُوَ لم يحمِلْ عَلَى النَّفسِ ضَيمَها   فليسَ الى حُسنِ الثَّناءِ سَبِيلُ

فان ضيم النفس من الكلم الجامعة كما لا يخفى و كذلك قول ابي تمام

وظَلَمتَ نفسكَ طالبًا إنصافَها   فَعَجِبتُ من مَظلومةٍ لم تُظلَمِ

ومن الايجاز المشهور الذي يمثل به قوله « ولكم في القصاص حياة » فانه مما لا يمكن التعبير عنه الا بالفاظ كثيرة لان معناه انه اذا قتل القاتل امتنع غيره عن القتل فاوجب ذلك حياة للناس وكذلك جواب معن بن زائدة وقد سأله المنصور العباسي « ايما احب اليك دولتنا ام دولة بني امية » فقال « ذاك اليك » فقوله ذاك اليك من ايجاز القصر الذي لا يمكن التعبير عنه الا بالالفاظ الكثيرة لان معناه انه ان زاد احسانك على احسان بني امية فانتم احب اليَّ

ملاحظات على ايجاز التقدير وايجاز القصر

قد علمت ما المراد من ايجاز التقدير وايجاز القصر ووقفت على شيء من امثلتهما الا ان معرفة الحدّ والوقوف على المثل شيء وملكة الاقتدار على الاتيان بالكلام الموجز شيء آخر فان معرفة الحدّ لا تفيد من هذا القبيل شيئاً ولا تغني فيما اذا تصديت للاتيان بالكلام الموجز ولذلك رأينا ان نذكر

بل ان نراجع لك بعض ملاحظات اذا انت اتبعت مآلها انتفعت من معرفة الحد وامكنك الايجاز من قياده واليك اهمها :

(١) راجع معاني المفردات الدائرة بين الكتاب وتحرَّ معرفة اصل الوضع فيها والفرق بين المترادفات منها ومهما امكنك ان تجمع في محفوظك من معاني الالفاظ الاصلية والفرق بين المترادفات منها فافعل

(٢) اكثر من حفظ الكلم الجامعة والعبارات الجامعة وتحرَّ معرفة تمام المراد منها فان قلت ومن اين لي بها فاحفظها قلت عليك بالحديث وما ورد من الامثال المتعارفة المالوفة لعصرنا الحاضر ونوادر البلغاء والفصحاء وما يروى عنهم من الاجوبة المستحسنة والخطب الموجزة فاحفظها جميعها عن ظهر قلبك ولا ياخذك ندم مهما اكثرت منها

(٣) انتقِ من دواوين اكابر الشعراء المشهود لهم بالبلاغة وسمو التركيب افضلها ومن كتب التاريخ والادب ودواوين المترسلين خير ما يمكنك التوصل اليه ثم استقصِ في التنقيب عن اسرار البلاغة فيها حتى لا يفوتك منها شيء وحتى تألف جميع ما ذكروه ومهما وجدت من بيت بليغ وعبارات رائعة لما فيها من الايجاز وسمو المعنى فاخزنها في ذاكرتك لا في دفترك واياك والسخيف من الكتب والاقاصيص فانها تفسد عليك حسن ذوقك فتجنبها . واعلم انك ان راعيت ما ذكرته لك فلا يبعد ان كنت من اهل البلاغة ان تبلغ فيها شأواً بعيداً ومكانة تحسد عليها والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الايجاز في المقالات والرسائل

هذا النوع من الايجاز هو العمدة وعليه مدار البلاغة في الحقيقة والفرق بينه وبين ما مرّ انما هو في الجملة الواحدة بمعنى ان تخلو من كل كلمة يمكن الاستغناء عنها وهذا في المقالة او الرسالة بمعنى ان تخلو من كل جملة يمكن الاستغناء عنها ولا بد في كل جملة من جملهِ على حدتها ان تخلو من كل حشو لا فائدة منه . فان قلت فما هو حد هذا الايجاز وعلى ماذا مداره قلت اما حدهُ فاخصر طريق لبلوغ المعاني المرادة الى الذهن واما مداره فعلى التروي والتفكر في الغاية من مقالتك او رسالتك فلا تذكر فيها ما لا تحتاج اليه مما يصرف الذهن عن غايتك او يشوش على السامع معرفة تمامِ مقصودك كما اذا كانت غاية رسالتك استدرار الاحسان على زيد مثلاً فعليك حينئذٍ ان لا تذكر فيها ما يطول به الكلام لغير فائدة ولا ما يصرف ذهن المخاطب عن هذه الغاية وفضلاً عن ذلك عليك ان لا تذكر من الجمل المحركة حاسة الاحسان الاَّ قدر ما ينبغي وعلى ما ينبغي وان يكون انتقال الفكر من الجملة الواحدة الى ما بعدها مألوفاً عند العقل وان يكون على تدريج فتنتقل من منبه الى موثّر الى محرّك للاحسان الى موجب له فعلاً

على ان هذا النوع من الايجاز لا تبلغه الاَّ مع الايام كلما ازددت خبرة باحوال الكون واحوال نفسك وبشريعة ائتلاف الافكار مع ما ينضم الى ذلك من معرفة اطباع الناس وطبقات عقولهم والله اعلم

الاطناب

الاطناب في الجملة ان يزيد لفظها على معناها لنكتة وانواعه على ما ذكروه :

(١) الايضاح بعد الابهام نحو « ربي اشرح لي صدري » ونحو « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت » ونحو « وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولاء مقطوع مصبحين » ومن الايضاح بعد الابهام التوشيع وهو ان يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الاول نحو « يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل » ونحو « اثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال » ونحو « العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان »

(٢) ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس منه نحو « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » ونحو « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » فان الامر بالمعروف داخل تحت الدعاء الى الخير لان الامر بالمعروف خاص والدعاء الى الخير عام . ونحو « انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين ان يحملنها » فان الجبال داخلة في جملة الارض لكن لفظ الارض عام ولفظ الجبال خاص ومن الخاص والعام مع تقديم الخاص قول الشاعر (اعلم ان الاولى بالخاص ان يذكر بعد العام لا قبله)

وإنَّ الذي بيني وبينَ بني أبي وبينَ بني عمي لَمختلفٌ جدًّا
إذا اكلوا لحمي وَفَرْتُ لحومَهم وإن هَدَمُوا مجدي بَنَيتُ لهم مجدا
وإن ضَيَّعُوا غَيبي حَفِظتُ غُيوبهم وإن هُمُ هَوُوْا غَيّي هَوِيتُ لهم رُشْدَا

فان كل لحم يوكل للانسان فهو تضييع لغيبه وليس كل تضييع لغيبه آكلاً للحمه لانَّ اكل اللحم كناية عن الاغتياب واما تضييع الغيب فمنه

الاغتياب ومنه التخلي عن النصرة والاعانة ومنه اهمال السعي في كل ما يعود بالنفع كائناً ما كان

(٣) التكرير لنكتة كزيادة التوكيد نحو «كلاّ سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون» ونحو «وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين» ونحو «ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني ان ينكحوا ابنتهم علياً فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا ان يطلق عليٌّ ابنتي وينكح ابنتهم» وعليه ورد قول الشاعر

أَلا يا اُسْلَمِي ثمَّ اُسْلَمِي ثُمَّتَ اُسْلَمِي

مبالغة في الدعاء لها بالسلامة

ومن نكت التكرير التنبيه والايقاظ يتخللهما شيء من الاستعطاف نحو قوله «وقال الذي آمن ياقوم اتبعونِ اهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع» ومنها زيادة التوجع والتحسر كقوله

فيا قبرَ معنٍ انتَ اوَّلُ حُفرةٍ من الأرضِ خُطَّتْ للسَّماحةِ مَضجَعا
ويا قبرَ معنٍ كيفَ وارَيتَ جُودَهُ وقد كانَ منهُ البَرُّ والبحرُ مُترَعا

ومنها اظهار علائم الاستحسان او المدح وما اشبه من الانفعالات عند النطق باللفظ المكرَّر كقول الشاعر

الى مَعْدِنِ العِزِّ المُؤَثَّلِ والنَّدى هُناكَ هناكَ الفضلُ والخُلُقُ الجَزْلُ

(٤) الايغال من اوغل في البلاد اذا ابعد فيها وقالوا في تفسيره هو ختم البيت من الشعر بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها كزيادة المبالغة او تحقيق التشبيه فمن الاول قول الخنساء

وإنَّ صَخْراً لَتأْتمُّ الهُداةُ بهِ كأنهُ عَلَمٌ في رأسهِ نارُ

فان قولها « كأنه علم » واف بالمقصود وهو تشبيه بما هو معروف بالهداية لكنها اتت بقولها في راسه نارٌ ايغالاً وزيادة للمبالغة ومثل قولها قول الآخر

شيخٌ يرى الصَّلواتِ الخمسَ نافلةً ويستحلُّ دمَ الحُجَّاجِ في الحرمِ

فان قوله « في الحرم » يتم المعنى بدونه ولكنه ذكره زيادة للمبالغة ومثال تحقيق التشبيه قول امرىء القيس

كأنَّ عيونَ الوحشِ حولَ خبائِنا وأرحُلِنا الجزْعُ الذي لم يُثقَّبِ

شبه عيون الوحش بالجزع وهو الخرز اليماني الذي فيه سواد وبياض لكنه اتى بقوله لم يثقب تحقيقاً للتشبيه لان الجزع اذا كان غير مثقوب كان اشبه بالعيون هكذا قالوا . قيل ولا يختص الايغال بالشعر بل يجري فيه وفي النثر كقوله « يرزق من يشاء بغير حساب »

(٥) التذييل وهو تعقيب الجملة بجملة اخرى تشتمل على معناها تاكيداً لمنطوق فيها كقوله « تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » اوتاكيداً لمفهوم منها نحو « يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير » واحسنه ما جاءت فيه الجملة الثانية على صورة المثل اي ان تكون الجملة الثانية حكماً كلياً منفصلاً عما قبلها جارياً مجرى الامثال في الاستقلال وفشوّ الاستعمال نحو « قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً » ومن امثلة التذييل شعراً قولهُ

ولستَ بمستبقٍ اخاً لا تلمُّهُ على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذَّبُ

وقول الآخر

لم يُبقِ جودُكَ لي شيئاً أؤمّلهُ تركتني اصحبُ الدنيا بلا املِ

(٦) التكميل ويسمى الاحتراس ايضاً وهو ان يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم نحو «فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلةٍ على المؤمنين اعزةٍ على الكافرين» فانه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم ان ذلك لضعفهم. ومثله «ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن» ومثاله شعراً

فسقى ديارَكَ غيرَ مُفسِدِها صَوبُ الرَّبيع وديمةٌ تهمي

وقول الآخر

حَليمٌ إذا ما الحِلمُ زَيَّنَ أهلَهُ مع الحِلمِ في عَينِ العدوِّ مَهيبِ

(٧) التتميم وهو ان يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة لنكتة كالمبالغة نحو «ويطعمون الطعام على حبه» اي مع حبه والاحتياج اليه والضمير يعود الى الطعام. اوتقليل المدة نحو «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً» ذكر ليلاً مع ان الاسراء لايكون الا بالليل للدلالة على انه أسرى في بعض الليل (هكذا ذكره العلامة التفتازاني)

(٨) الاعتراض وهو ان يؤتى في اثناء كلام اوبين كلامين متصلين معنى بجملةٍ او اكثر لامحل لها من الاعراب لنكتة سوى دفع الايهام كالتنزيه والدعاء والتنبيه والمطابقة والاستعطاف وبيان السبب لامرٍ فيه غرابة

قال ابن الاثير والاعتراض اذا كان هكذا كسا الكلام لطفاً ان كان غزلاً وكساه ابهة وجلالاً ان كان مديحاً او ما يجري مجراه من اساليب الكلام وان كان هجاءً كساه تأكيداً واثباتاً ومن امثلة الاعتراض قوله «ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون» وكقول الشاعر

إنَّ الثمانينَ وبُلِّغتَها قد احوجَتْ سمعي الى ترجُمانْ

وكقوله : واعلم فعلمُ المرء ينفعهُ أن سوف يأتي كلُّ ما قُدِرا
وكقوله : وخفوقُ قلبٍ لو رأيتِ لهيبهُ يا جنّتي لظننتِ فيه جهنّما
وكقوله: فلا هجرُهُ يبدو وفي اليأس راحةٌ ولا وصلُهُ يصفو لنا فنكارمه

ومن محاسن ما جاء في هذا الباب على ما يقول العلامة ابن الاثير قول بعضهم

فلو سألتْ سراةَ الحيّ سلمى على أن قد تلوّن بي زماني
لخبّرها ذوو احسابِ قومي واعدائي فكلٌّ قد بلاني

وقول الآخر

وإنّ الغنى لي ان لحظتَ مطالبي من الشعر إلاّ في مديحك اطوعُ

وكقوله ايضاً

رددتَ رونقَ وجهي في صحيفته ردَّ الصقالِ بهاءَ الصارمِ الخذمِ
وما أبالي وخيرُ القولِ اصدقُهُ حقنتَ لي ماءَ وجهي ام حقنتَ دمي

وقول الآخر

لو أنّ الباخلين وأنت منهم رأوكَ تعلّموا منكَ المطالا

وهنا نقول ان العلامة ابن الاثير افرد لهذه الانواع الثمانية ثلاثة ابواب على الاستقلال باب الاطناب وباب التكرير وباب الاعتراض (فراجع ما ذكره في كتابه المثل السائر طبع بولاق ٣٣١ الى ٣٧٦) واما السكاكي فلم يجعل الايجاز والاطناب ابواباً مستقلة براسها انما جعلها مبنية على غيره واليك ما قاله « واما الحالات المقتضية لطي الجمل عن الكلام ايجاز ولا طيها إطناباً فمن احاط علماً بما سبق استغنى بذلك عن بسط الكلام هنا فلنقتصر على بيان معنى الايجاز والاطناب وعلى ايراد عدّة امثلة في الجانبين الخ » ومن تأمل ظهر له

صحة ما اعتبره امام البيانيين وشيخهم رحمه الله ولذلك قلنا في بدء هذه الابحاث ان الايجاز والاطناب من الصفات التي تتصف بها الجملة لا من العوارض التي تعرض لها وانها اي الجملة بعد اذ تعرض لها العوارض من الذكر و الحذف الخ تستقل باحد هذه الاوصاف ومن المهم هنا ان ننظر في المسوّغ العقليّ الذي ينبني عليه الاطناب فانك اذا عرفت المسوّغ هان عليك ان تعرف متى يحتاج الكلام الى اطناب ومتى لا يحتاج اليه

ملاحظاتٌ يمكن ان يتفطن الذهن معها لمسوغات الاطناب
ومعرفة المواقع اللائقة بهِ

اعلم (اولاً) ان الغاية من الكلام انما هي نقل المعنى من ذهن المتكلم الى ذهن السامع وتاثيره في نفس السامع وفقاً لما يريده المتكلم. والعمدة في التأثير على وضوح صورة هذا المنقول فكلما كانت الصورة اوضح واجلى كان التاثير اشدّ واقوى والعكس بالعكس فاذن وضوح صور المعاني المدلول عليها بالالفاظ انما هو من الشروط الاولية في البلاغة ومن اهم مقوّماتها واركانها الاصلية فلا يذهب عن بالك هذا الاصل

(ثانياً) لابدَّ مع الاعتماد على نقل صور المعاني واضحة الى ذهن السامع من مراعاة الاقتصاد في استنفاق قواه العصبية اعني ان لا نكلفه الى انفاق شيء من قوة انتباهه سدًى فاننا كلما اقتصدنا عليه في الانفاق على فهم معنى سهلنا عليه الطريق لفهم ما بعده من المعاني وبالعكس مهما تقاضيناه لصرف قوة في غير لزوم على فهم جملة فاننا نعسر عليه الطريق لفهم معنى ما بعدها حتى اذا كلّ

ذهنه بكثرة التقاضي لصرف القوة في غير موضعها امتنع عليه الفهم جملة وفي
امتناع الفهم عليه اخلال بالغاية التي قصدنا لها من نقل المعنى الى ذهنه واخلال
بمقتضى البلاغة ايضاً . واذا علمت هذين الاصلين نعود فنقدم لك الملاحظات
الاتية (١) لاتنبه العقل الى ادراك شيء ثم تصرفه عن ذلك الادراك الى
آخر لانك بهذا تكلفه الى صرف قوتين قوة اقتضت تنبهه اولاً وقوة اقتضت
ازالة ذلك التنبه ثانياً وكل ذلك في غير موضعه (ب) لاتكلف السامع الى
تصور المعنى مرتين ويمكنك ان تستغنى عن المرتين بالمرة الواحدة فان في ذلك
اسرافاً ظاهراً لا حاجة اليه (ج) نبه الذهن الى المعنى المراد اولاً ثم صوّره له
على التدريج او دفعة واحدة على حسب قوة الذهن على الادراك او ضعفه عنه
(د) اذا كان المعنى المراد كبيراً وصوّرته بالجملة دفعة واحدة فقبل ان تنتقل
عنه الى معنى آخر خلافه مكن الذهن من فرصة للاحاطة به وفقاً لما ترغب
وذلك اما باعادة لفظ الجملة او باعادة معناها لانك ان سكتّ فلا يبعد ان الذهن
يتوقف عن الادراك لما يرى فيه من الصعوبة بخلاف ما إذا اعدت لفظ الجملة
او معناها فان الاعادة تنزّل بمنزلة حاثّ يحثّ الذهن على التصور والادراك
ومثل هذا مثل من كلفته لوثبة يشق عليه وثبها او لرفع ثقل يشق عليه رفعه
فانك اذا خليته ونفسه فربما تراخى عن الوثب او الرفع بخلاف ما اذا حثثته على
العمل فان ذلك يدفعهُ الى التجربة وفي التجربة الحصول على البغية كثيراً
(ه) المعاني المراد تصويرها وهي من قبيل الاحداث النفسانية كالتعجب والاستعظام
والتشوق والدعاء والغضب والرضى والمدح والذمّ والفرح والحزن والتأسف
والتحسر وما شابه جميع هذه يجب تكرار اللفظ او العبارة الدالة عليها اما بلفظها

او بمرادفها اذا اريد بيان شدتها وعظم تأثر النفس بها لان مجرّد ذكرها من غير تكرار لايخرج في الغالب عن تنبيه الذهن اليها من غير ان يتجاوز ادراكه الى تصور مقدارها وشدة تأثر النفس بها ومثاله الحديث الذي مرّ بك عن الرسول وعدم رضاه عن تزوج الامام عليّ بنت هشام بن المغيرة فانه قال « ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني ان ينكحوا ابنتهم علياً فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الاّ ان يطلق عليٌّ ابنتي وينكح ابنتهم » فان تكرار لا آذن ثم لا آذن يصور في نفس السامع شدة كراهته ومقدار تأثره من هذا الاستئذان ولو اقتصر على مجرّد قوله لا آذن ما خرجت العبارة عن التنبيه على عدم الرضا ومن قبيل ما ورد عن بعض شعراء الحماسة

الى معدِنِ العزِّ المؤثَّلِ وَالنَّدى هُناكَ هُناكَ الفضلُ والخُلقُ الجزْلُ

فان تكرار هناك ينقل الى النفس من شدة الاستحسان والمبالغة في بيان الفضل ما لا يخفى على ذي ذوق سليم وكذلك قول الاخر في مقام الدعاء

ألا يا أَسْلمي ثمَّ أسلمي ثُمَّتِ اسلمي

فان هذا التكرار ينقل الى ذهن السامع مقدار الانفعال الذي بعث على تكرار الدعاء لتلك الدار بالسلامة ويصوّر له شدّته وعظم تأثر النفس به ومن الواضح في هذا المعنى في مقام التأسف والتحسر قول استاذي العلامة المرحوم ابراهيم حوراني يرثي ولده قال

أسفي على ولدي نسيبٍ ما سلا قلبي النسيبَ وغادرَ الأغزالا
أسفي على الصبح المسجّى ما سَجا ليلُ الفراق على الأسيفِ وطالا
أسفي عليهِ ما حييتُ ولاحَ لي صُبحُ الثلاثا أسوَداً مُغتالا

فان حاسة الحزن والاسف ما كانت لتسعها لفظة اسفي مرةً واحدة فاقتضى

الامر التكرار والتكرار ينقل الى نفس السامع من شدّة الحزن والاسف ما نعلمه

وهنا ينبغي ان يعلم ان لغنّة الصوت مع هذه الالفاظ المكررة اعظم دخل في نقل الانفعال الى النفس وتصوير مقداره لان في غنة الصوت من الدلالة الطبيعية على تصوير الانفعالات النفسانية ما لا ينقلها مجرّد روية الالفاظ مكررة ولهذا الامر اعني غنة الصوت ينبغي ايضاً ان تنسب كثيراً مما تراه من حسن وقع الكلام عند ذكر الادوات التي لا معنى لها في نفسها كلفظة ألا في بيت الحماسة المارّ ذكره ولفظة (يا) في نحو قول «ياليتني كنت معهم»

ونحو : يا حبَّذا المتحمِّلونَ وحبَّذا وادٍ لثمتُ بهِ الغزالةَ كاعبا

ولفظة ها السكت في نحو «واحسرتاه · واحرَّ قلباه ممن قلبه شبم» وما الزائدة في مثل قوله

إنْ كُنتِ ازمعتِ على هجرنا من غيرِ ما جُرْمٍ فصبرٌ جميل

وغير هذا مما اذا تفطنت لها لايخفى عليك معرفتها والله يعلم وانتم لاتعلمون

ابحاث متفرقة

بحث

في المراد بدلالة فاعل نعم و بئس المحلى بأل

نعم وبئس افعال خاصة بالمدح والذم الا ان المدح والذم انما يتوجهان الى الافعال او الصفات دون مجرد الذوات لان الذوات من حيث هي ذوات لا يتوجه اليها مدح او ذم وذلك لايخفى على المتأمل

على ماذا تدخل هذه الافعال

(١) تدخل على المحلّى بالالف واللام بعده المخصوص نحو «نعم الرجل زيدٌ وبئس الفارس عمرٌو»

(٢) على نكرة منصوبة على التميز بعدها المخصوص نحو «نعم رجلاً زيد وبئس عالمًا عمرو»

(٣) على ما والفعل نحو «نعم ما فعلت وبئس ما شروا به انفسهم» والواقف على اقوال النحاة يعلم انهم نصوا على ان المحلى بالالف واللام لايجتمع هو والمنصوب اذا كان من لفظ واحد لعدم الفائدة نحو «نعم الرجل رجلاً زيد» وسبب عدم الفائدة انما هو لان دلالة المنصوب ودلالة المحلى بالالف واللام دلالة واحدة

ماذا يؤخذ من ذلك

بناءً على ان دلالة «نعم الرجل زيدٌ» ودلالة «نعم رجلاً زيدٌ» هي دلالة واحدة وبناءً على ما قدمناه من ان المدح والذم لا يتوجهان الى الذوات من حيث هي ذوات بل يتوجهان اما الى افعال الذوات او الى الصفات المتصفة بها يوخذ من كل ذلك ان المراد من قولنا «نعم الرجل زيدٌ» انما هو مدح الصفات المقومة للرجل التي يتصف بها زيد اي مدح الرجولية التي فيه وعليه فمدلول الرجل في المثال انما هو الماهية بمعنى انها مجموع الصفات المقومة لمفهوم الرجل. وهكذا قولنا «نعم العالم زيدٌ» فان معناه نعم زيد من حيث اتصافه بالعلم او نعم العالمية التي فيه

وعليه فقولهم في « نعم الرجل زيد » انه مدح للجنس على المبالغة من اجل زيد قول لا سند له الا على التأويل الذي قدمناه وفيه غفلة عما صرح به غير واحد منهم من ان متوجه المدح والذم لا يكون الا الى الافعال او الصفات ان كان مرادهم بمدح الجنس مدح سائر افراده فتأمل

بقي علينا تخريج مثل قولهم « نعم ما فعل زيد » وتخريجه بناء على ان المدح يتوجه راساً الى الافعال واضح كل الوضوح لانا نعرب ما موصولية وهي فاعل نعم ولا حاجة الى المخصوص لانه مدلول عليه بالصلة ويكون منطوق العبارة « نعم الذي فعله زيد » وهو مساوٍ لقولنا « نعم فعل زيد » والفعل كما قدمناه غاية يتوجه اليها المدح والذم راساً والله اعلم

بحث

في المراد بدلالة علم الشخص وعلم الجنس واسم الجنس والمعرّف بلام الحقيقة او لام الجنس

هذا البحث فلسفي يظهر منه لاول وهلة انه من المسائل العقلية التي لادخل لها بعلم المعاني الا ان المتامل يرى فيه ما يروض الذهن ويقويه على فهم حقيقة المعاني المرادة بالالفاظ وهذا من اجلّ غايات علم المعاني على ما ارى لان صاحب هذا العلم ان لم يدرك على اتم صورة حقيقية المعنى المراد باللفظ كان حكمه حكم قوم لم يشامّوا هذا الفن وفاتهم ما فيه من المباحث الجليلة

واول ما نوجه النظر اليه ان هذه الاسماء تدلّ على صورة ذهنية ماخوذة اما عن حقائق موجودة راساً في الخارج او مجردة عنها بعد الملاحظة والاستقراء . والحقائق الموجودة في الخارج المتعلقة بموضوع بحثنا الآن انما

هي افراد الانواع او الاجناس واما الانواع والاجناس نفسها فلا وجود لها في الخارج انما هي صور ذهنية مجردة عن تلك الافراد بعد الاستقراء والمقابلة

اذا نظرت الى افراد الانواع رأيت كل فرد منها متمايزاً عن الآخر بمميزات وخصائص تفرده عن غيره ثم اذا الفت تلك الافراد وحدقت نظرك بمميزاتها استقلت صورة كل فرد منها في ذهنك عن صورة غيره من الافراد وامكنك بعد غيابها عن عينك تصوُّرها واضحة من غير اختلاط بغيرها من الصور الذهنية · فهذه الافراد من حيث وجودها في الخارج مستقلة متمايزة لا يختلط احدها بالآخر يمكنك ان تضع لها علامات من الاسماء مستقلة متمايزة فتضع لكل فرد اسماً حتى اذا ذكر لك ذلك الاسم تصوَّرت المسمى على مثل ما هو في الخارج متميزاً من غير اختلاط بغيره والاسماء الموضوعة على مثل ما قدمنا انما هي الاعلام الشخصية فاحفظ ذلك في ذهنك · على انك لو اردت ان تضع لكل فرد من افراد الانواع اسماً خاصاً على الوجه الذي ذكرناه كثرت عليك اسماء الاعلام على غير طائل وحال ذلك دون سهولة التفاهم والفائدة منه المقصودة من اللغة · والذي نرى اللغة عليه ان اسماء الاعلام قليلة في استعمالها واكثر منها اسماء الانواع والاجناس كانسان ورجل وامرأة وصبي وابنة واسد ولبوءة وحصان وحِجْر وحجرَ وشجر وهلم جرًّا وعلى هذه الاسماء لا على اسماء الاعلام اغلب مدار احكام اللغة فكيف جاءت هذه الاسماء وما هي الصور الذهنية الموضوعة بازائها ومن اين جاءت اذا لم يكن لها وجود مستقلّ في الخارج · قلنا جاءت من افراد الانواع بطريق التجريد على البيان الذي ترى

اعلم ان افراد الانواع كزيد وعمر وبكر الخ من افراد الرجل وغيرها

مما هو من بابها اذا تاملتها وحدقت بنظرك اليها وجدتها تتشابه في اشياء كثيرة فكل فرد منها يشبه كل ما سواه من بقية الافراد في اشياء ويختلف عنها في اشياء (والاختلاف هو سبب التمايز والاستقلال في الصورة دون التشابه) ثم اذا تاملت رأيت ذلك التشابه ساريًا في كل فرد من افراد النوع وهو واحد لا يتعدد ولا يتكثر بوجه من الوجوه ولو تعدد وتكثر لخرج عما به التشابه الى ما به التخالف والامتياز فان في زيد وعمرو وبكر الخ من افراد الرجل شيئًا واحدًا لا يختلف في واحد منهم عما هو عليه في الآخر وهكذا في كل افراد غيره من الانواع فهذا الشيء القائم به التشابه بين الافراد والذي لا بد من وجوده في كل فرد من غير اختلاف ولا تخلف هو ما يسمونه بالماهية فالماهية اذن هي معنىً او مجموع معانٍ تشترك بها كل الافراد التي هي من نوع او جنس واحد . ولا يذهب عنك ان المعاني التي بها الاشتراك والتشابه بين الافراد والتي هي الماهية تكثر او تقل على حسب قرب الانواع والاجناس او بعدها فاذا قربت الانواع والاجناس كثرت المعاني المقوّمة للماهية واذا بعدت قلّت . وربما رادفت الحقيقة الماهية في بعض المواقع كقولنا « الحقيقة الانسانية» فانها بمعنى الماهية الانسانية

عرفت مما مرّ بنا ما هي الماهية وما المراد بها ونعيد عليك ان الماهية لا وجود لها على الاستقلال انما هي موجودة ضمن الافراد ولا تتحقق تحققًا يتمكن معه العقل من تجريدها الا مع التعدد والاختلاف فما لم تتعدد الافراد وتختلف مع تعددها ايضًا فلا يمكن تجريد الماهية وفصل صورتها عن صورة الفرد . وعليه فلو فرضنا انه لا يوجد من نوع او جنس الا فرد واحد لكان ذلك

الفرد والماهية شيئاً واحداً لا يقدر الذهن على تصوُّر الماهية بصورة غير صورة الفرد و كذلك لو تكثرت الافراد وكانت جميعها متماثلة لا اختلاف بينها في شيء من المميزات فلا يتصوّر ان تتميز صورة الماهية عن صورة فرد من تلك الافراد

عرفنا ما هي الماهية وعرفنا ان اساس تجريدها مبني على التعدد والاختلاف ونزيدك ان العقل وان امكنه تجريد الماهية فلا يمكنه فصلها عن الفرد وعن اختلاف في الفرد (مهما كان) يتمايز به ذلك الفرد عن غيره وذلك الاختلاف ايضاً وان كان لا يمكن العقل تعيينه ما هو فلا بد من ان يتوجه اليه التفاته كلما ذكر الاسم الدال على الماهية . وبعد ان وقفت على ما قدمناه نقول لك ان اسم الجنس كرجل مثلاً هو ما وضع لواحد من افراد جنسه من حيث دلالته على الماهية قصداً مع توجه الفكر الى ان لا بد من مميزات كيف كانت تضاف الى الماهية فيحصل بها التمايز بين فرد وآخر في الخارج

ومن خصوصيات اسم الجنس انه يذكر بالكثرة وان الصورة التي يتصورها السامع عند ذكره هي صورة خفية مضطربة تظهر له لمحة تارة بصورة هذا الفرد الذي كان رآه قبلاً واخرى بصورة ذاك ومنها انه كثيراً ما ينتظر العقل بعد ذكره ارداقه بمميز من الصفات التي تستقل بها صورته بعض الاستقلال في الذهن عن غيره من بقية الافراد المدلول عليها كقولك جاءني رجل فان العقل ينتظر ارداقه بصفة مما يعلم امكان اتصافه بها كطويل او قصير وعالم اوجاهل الخ فاذا لم يردف بقي الكلام مضطرباً او عارياً عن الفائدة الا اذا تقدم عليه او تاخر عنه من قرائن الاحوال ما يدلُّ على صفة .

وهذا هو السبب في ان التنكير يدلُّ تارة على التعظيم واخرى على التحقير بحسب دلالة المقام على الصفة التي هي منشأ لاحدهما

قد عرفت ما هو مدلول اسم الجنس (اي الوحدة والماهية) فلنتقدم لبيان ما هو المدلول عليه بعلم الجنس . وهناك نرجع بك الى الافراد ايضاً لكن على غير ما عرفت

قلنا ان الافراد تتشابه من جهة وتختلف من أُخرى الا ان بعض الانواع (لا سيما القريبة كاصناف او تنوعات النوع الواحد) قد يغلب بين افرادها التشابه على الاختلاف فاذا نظر اليها لاول مرة ظهرت المشابهة غالبة جداً ولا يظهر التمايز بين فرد منها وآخر الا بعد الالفة بها فهذا التشابه الغالب هو المسوّغ لوضع بعض اعلام الاجناس كأُسامة للاسد وذؤالة للذئب وثعالة لانثى الثعلب فان افراد الاسد لما كانت قريبة المشابهة بعضها من بعض جداً وهكذا افراد الذئب والثعلب وكانت هذه الحيوانات في غاية النفور من الناس لا يتهيأ لهم الفتها كما تهيأ لهم ذلك في الفرس والجمل ليروا التمايز الواضح بين افرادها تخيلوا في افرادها التماثل فوضعوا لها اعلامها جرياً على مبدإ ان ما صح اطلاقه على احد المتماثلات يصح اطلاقه على غيره منها

ومن باب اسامة للاسد (جون بول) للانكليزي و (جوناثان) للاميركاني عند الانكليز والاميركان

واذا علمت مبنى وضع العلم الجنسي ومسوغه صار يمكننا تحديده لك فنقول « هو ما وضع لكل واحد من افراد نوع او جنس بناء على التشابه

الغالب بينها المتخيل بلوغه الى درجة التماثل مع قطع النظر عن التفرقة بين خصوصية المميزات بينها»

بقي علينا المعرّف بلام الجنس او لام الحقيقة وهو قريب الدلالة جداً من علم الجنس كما ترى في قولنا «الاسد اشرف من الذئب» وقولنا «اسامة اشرف من الذئب» فانك لا تكاد تحس فرقاً بين ما تصورته من الجملة الاولى وبين ما تصورته من الثانية وهكذا اذا قلنا «اسامة اشجع من ذوالة» وابدلنا علم الجنس بالمعرف بلامه وقلنا «الاسد اشجع من الذئب» فانا لانكاد نرى من فرق بين المفهومين في كلتا الصورتين فما هو المشار اليه اذن بهذه اللام فان قيل هو الماهية قلنا اسم الجنس موضوع للدلالة عليها مع اللمحة الى وجوب اقترانها بمميز ما في الخارج كما ذكرنا وان قيل هو الحقيقة قلنا وما المراد بالحقيقة ان لم تكن الماهية وعندي ان المشار اليه بلام الحقيقة انما هو الصورة الذهنية المأخوذة من معدل صور الافراد في الخارج ولهذا يشابه علم الجنس في مفهومه شديد المشابهة التي تعلمها وتحسها من نفسك كما رأينا في الامثلة المارة ولا بأس من بعض البيان

اعلم انه اذا امكننا ان نرى تشابهاً بين الافراد وان نجرد هذا الذي به التشابه لوحده فليس ما يمنع ان نرى صفات الافراد وان نأخذ صورة من معدلها وهذا لا يصعب على العقل بل ربما هو اسهل عنده من تجريد الماهية من صور الافراد ولا هو ايضاً غير مشاهد في اعماله بل ميل العقل واتجاهه لاخذ معدل لا ينكره الا غافل او مكابر دعنا من قولهم المتداول معدل عمر الانسان كذا ومعدل عمر الفرس كذا ومعدل عمر الفقراء كذا ومعدل

الاغنياء كذا او ما نسمع عوام الناس وخواصهم يقولون مئات من المرات ان اهل بلد كذا اطول او اقصر او اشجع او اكرم او افصح الخ من اهل بلد كذا . افليس مثل حكمهم هذا مبني على اخذ معدل الطول والقصر والشجاعة والكرم والفصاحة الخ في افراد البلدتين

وبناءً على كل ذلك وعلى امكان انطباق كل امثلة المعرف بلام الحقيقة على مبدإ المعدل اقول ان المعرَّف بها او المشار اليه بها انما هو الصورة الذهنية المأخوذة على سبيل الاستقراء من معدل صور الافراد في الخارج (لا يذهب عن بالك ان صورة الفرد انما هي صفاته المحسوسة والمعنوية المعلومة عندك) وانت اذا طابقت امثلة اللغة على هذا الحد لا تراها تشذ عنه في شيء ولا تخرج الا فيما تعليله واضح كل الوضوح . مثال ذلك التمثيل المشهور عند النحاة والبيانيين « الرجل افضل من المرأة » فانه لا يستقيم معناه الا اذا قلنا ان معدل الفضل المنتزع من افراد الرجل اكثر من معدل الفضل المنتزع من افراد المرأة وقولهم حقيقة الرجل افضل من حقيقة المرأة لا محصل الا اذا حملناه على هذا المحمل ومن بابه قولك « الانكليزي اطول من الفرنساوي » اي ان معدل طول القامة المنتزع من افراد الانكليز اكثر من معدل طول القامة المنتزع من افراد الافرنسيس الى غير ذلك من الامثلة كقولك الاسد اقوى من الانسان والمرأة اسرع احساساً من الرجل واشد منه حباً او بغضاً الى غير ذلك من الامثلة

ثم انه على مبدإنا هذا لا يجب الاستغراق (ومعنى الاستغراق ان يشمل الحكم كل فرد من افراد النوع) في شيء من الامثلة المارّة فانه اذا كان

معدل الفضل المنتزع من افراد الرجل اكثر من معدل الفضل المنتزع من افراد المرأة فلا ينتج من ذلك ان يكون كل رجل افضل من كل امرأة فيفسد ويفسد المبدأ المستند اليه في تأويلها على انه كما لا يجب الاستغراق لا يمتنع ايضاً فقد يصح ارادته وذلك كما اذا اتفق ان تكون الصفة المنتزعة من كل فرد من افراد نوع اكثر من الصفة المنتزعة من كل فرد من افراد نوع آخر فانه حينئذ يكون معدل الصفة المنتزعة من كل افراد هذا اكثر من معدل الصفة المنتزعة من افراد ذاك وبالضرورة يدل الكلام على استغراق الحكم ومثاله قولنا « الفيل اضخم جثة من الانسان » فانه اتفق ان كل فرد من افراد الفيل اضخم جثة من كل فرد من افراد الانسان فبالضررة يكون معدل الضخامة في افراد هذا اكثر ايضاً من معدل الضخامة في افراد ذاك والاستغراق لا مانع منه٠ وقد يظهر الاستغراق في غير صورة التفصيل كالمثال المار ذكره ومثاله قولنا « الرجل يختلف عن المرأة في شكله الظاهر بمميزات لا تخفى على ذي مسكة » فانه اذا كانت الصورة المنتزعة من معدل صور افراد الرجل تختلف عن الصورة المنتزعة من معدل صور افراد المرأة فبالضررة تكون صورة كل فرد من افراد الاول تختلف عن صورة كل فرد من افراد الثاني وبالضررة يدل الكلام على استغراق الحكم فتأمل

واعلم ايضاً ان الماهية مشار اليها ضمناً في المعرّف بلام الجنس لان الصورة المنتزعة من معدل الافراد هي الماهية وزيادة ولذلك فقد يمكن ان يتوجه الحكم رأساً الى الماهية واذا توجه اليها راساً دلّ الكلام على الاستغراق من دون حاجة الى تكلف ملاحظة الصورة المأخوذة من معدل الافراد كقولنا

« الانسان ضعيف » فان الحكم بالضعف يصح ان يتوجه الى الماهية لانها جزء مدلول الانسان فيصح لذلك ان يكون شاملاً لكل فرد من افراده ومثله قولنا « الانسان حيوان ناطق . والاسد حيوان مفترس . والحيوان جسم نام حساس متحرك بالارادة . والكلمة لفظ دال على معنى مفرد » واشباه هذه من سائر امثلة التعاريف فان الحكم في جميعها يصح ان يتوجه الى الماهية فتصح دلالته على الاستغراق طبعاً فقس على ما ذكر ما لم يذكر والله الهادي الى الصواب

بحث
في دلالة النكرة في الايجاب ودلالتها بعد النفي

النكرة واسم الجنس اسمان مختلفان لمعنى واحد فان لفظة انسان تسمى نكرة باعتبار انها مسمى شائع في جنسه واسم جنس باعتبار ان الرجل والمرأة نوعان داخلان تحته وهكذا غيرها من النكرات كرجل وامرأة وشجر وحجر وهلمّ جرًّا

قلنا ان النكرة تدل على الوحدة والماهية فاذا اسند اليها حكم في الايجاب نحو « جاءني رجل » فيمكن ان يراد اسناده الى واحد من افراد تلك الماهية لا الى اكثر من واحد او الى واحد من افراد تلك الماهية لا الى واحد من افراد غيرها من الماهيات وعلى الاعتبار الاول يصح ان نقول « جاءني رجل لا رجلان او لا رجال » وعلى الثاني « جاءني رجل لا امرأة » ويمتنع في هذا المثل وما يشبهه ارادة الاستغراق على انه اذا قوبل بين نكرتين في حكم ويغلب ان يكون على ارادة تفضيل احداهما على الاخرى نحو « تمرة خير من جرادة »

دلت النكرة على استغراق الآحاد لتوجه الحكم الى الماهية دون الوحدة اي ان الماهية المدلول عليها بلفظ تمرة مع اي وصف اقترنت به في الخارج خير من الماهية المدلول عليها بلفظ جرادة مع اي وصف اقترنت به كذلك · ومثله «مؤمن خير من كافر» و «فقير كيّس خير من غني احمق» و «صديق وصول خير من اخٍ قاطع» وهلم جرًّا

النكرة بعد النفي

اذا وقعت النكرة بعد ادوات نفي غير (لا) التي لنفي الجنس نحو «ما في الدار رجل» او «ليس في الدار رجل» فيحتمل ان يكون النفي متوجهاً الى الوحدة او الى الماهية فان توجه الى الوحدة انتفت هذه دون الاثنينية والجمع وان توجه الى الماهية انتفت كل افراد تلك الماهية دون غيرها من الماهيات وعلى ارادة نفي الوحدة يصح ان نقول «ما في الدار رجل بل رجلان او ثلاثة» وعلى ارادة نفي الماهية ليس في الدار رجل بل امرأة واما النكرة بعد (لا) التي لنفي الجنس فيراد توجه النفي فيها الى الماهية لان هذه مجعولة نصاً لنفي الماهية فيجب نفي جميع افراد النكرة بعدها ولهذا يمتنع ان يقال «لا رجل في الدار بل رجلان او رجال»

قابل ما ذكرناه في شان علم الجنس واسم الجنس والمعرّف بلام الجنس على ما في المطول للعلامة التفتازاني في حواشيه للسيد الشريف طبع الاستانة وجه ٧٩ الى ٨٧ واحكم لنفسك بين ما اوردناه هنا وما هو وارد هناك

انتهى

فهرس الكتاب

صفحة